

دكتور
محمود موسى حمدان
الأستاذ بجامعة الأزهر

أَذْوَاتُ التِّشْبِيهِ كُلًا لِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

مَكْتَبَةُ وَهْبَ

١٤ اِشْعَاعُ الْجَمْهُورِيَّةِ - عَابِدِينِ
القَاهِرَةُ نَسْخَةٌ: ٢٣٩١٧٤٧٠
فَاکسل: ٢٣٩٠٣٧٤٦١

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarab.com

دكتور
محمود موسى حمدان
الأستاذ بجامعة الأزهر

أَكْوَافُ الْتِشْبِيهِ كَلَّا لِإِنَّهَا وَلَسِعَ الْأَنْهَا فِي الْقُرْآنِ الْجَيْمِينِ

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ www.lisanarab.com
اشتَابَعُ الْجَمْعُ وَهُوَ يَنْدَمُ
القايمَةُ نَبِيَّنَ: ٢٣٩١٧٤٧
فَاكِنَّ: ٢٣٩٠٣٧٤٦

اسم المؤلف : دكتور محمود موسى حمدان

اسم الكتاب : آلوات التشبيه دلالاتها

واستعمالاتها في القرآن الكريم

الطبعة : الثانية

١٤٢٨ - ٢٠٠٢ م

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -

القاهرة . عابدين

٢٨٠ صفحات ١٧ X ٢٤ سم

رقم الإيداع : ٩٤٨٢/١٩٩٢

تحذير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف غير
مسروح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو
أي جزء منه ، أو تغزيله على أجهزة
استرجاع أو استرداد إلكترونية ، أو
ميكانيكية ، أو نقله إلى وسيلة أخرى ، أو
تصويره ، أو تسجيله على أي نحو ، بدون
أخذ ملقة كتابية مسبقة من الناشر أو
المؤلف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين - حمد الشاكرين الطائعين ، والصلة والسلام على خاتم المسلمين ، مسيدنا محمد النبي الأتمى ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .
وبعد ،

فهذه هي الطبعة الثانية لكتابنا (أدوات التشبيه ...) قد جاءت بعد طول التظار أهل العلم لها ، وكثرة سؤال الإخوان عنها ؛ إذ لم تُـفِـ الطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ بتـلـيـةـ حـاجـةـ جـهـرـةـ القراءـ إـلـيـهاـ ، مما دفع بعض المكتبات إلى تصوير الكتاب دون موافقة منا !!

واللـذـىـ أـوـدـ أـضـعـهـ بـيـنـ يـدـىـ هـذـهـ الطـبـعـةـ ماـ يـأتـىـ :

أولاً : إن هذا الكتاب - كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى - هو الكتاب الوحيد الذي تفرد بتناول أدوات التشبيه تناولاً جامعاً مستقصياً مدققاً ، وبيان الفروق بينها في الاستعمال والدلالة في ضوء القرآن الكريم بياناً لم يسبق إليه أحد قبل؛ يشهد بذلك ما نال من ثناء وتقدير متوج برأي اللجنة العلمية بجامعة الأزهر ، الذي جاء فيه " وهذا الكتاب من أفضل الكتب التي ظهرت في دراسة البلاغية في السنوات الأخيرة ، ويأخذ تقدير ممتاز ".

ثانياً : إنه عند مراجعي الكتاب قبل دفعه إلى المطبعة لم أجده فيه خللاً يحتاج إلى تسديد ، أو قصوراً يحتاج إلى تميم ، فلم أضف إليه شيئاً ، عدا إضافة واحدة عند تحقيق الفرق بين ضرب تشبيه الأفعال بالكاف ، إذ ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرُوْنِي عِيسَى بْنُ مَرْيَم) -

زيادة في تحقيق الفرق ، وبيان أن الكاف هنا بمعنى (مثل) وأن النهي عن إطراء مماثل للإطراء على عيسى في المبالغة وتجازئة الحد ، لا عن مطلق الإطراء اللاحق بالرسل عليهم الصلاة وأتم السلام.

ثالثا : وممّا لا ينبغي فوئه الإشارة إلى أن ما ناله كتابنا من تقدير لما حواه ولده من مسائل لها قيمتها وثرازها - قد أغري بعض المهتمين بهذا الباب أن يتغفّلوا ظلل كتابنا ، ويستوحوا منه ، ويقدموا بعض البحوث - دون ذكر أسمائها - رغبة فيما نظن أن تعال حظاً مما نال كتابنا ، وهيئات ١١ فلم تكن إلا عيالاً عليه ، وحسبهم أن حاولوا ... ، وحسبنا أن كنا رؤاداً لهم في هذا الباب.

رابعا : من الواجب على أنأشكر كل من قرأ الكتاب ، وأتزيّن في نفسه المرلة الكريمة ، فماستوجب أن يقال له : " إنما يعرف الفضل من الناس ذوره " وأخص بالذكر شيخنا صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأزهر وجامعة (أم القرى) بعكة المكرمة ، جزءاً الله عمما بدل للعلم وأهله خيراً في الدنيا والآخرة .

ثم أختتم بجزيل الشكر للمولى الجليل ، الذي تم بفضلـه الصالـاتـ، وأسـأـله في عـلـاهـ أـنـ يـنـفعـ بـماـ وـفـقـنـ إـلـيـهـ.

وأصلـى وأسـلـمـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ سـيدـ الـخـلـقـ وـخـاتـمـ الـمـرـسـلـينـ.

د/ محمود موسى حمدان

الأستاذ بجامعة الأزهر
وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
بالرياض

شين الكوم

١٤٢٨ هـ

٢٠٠٧ م

مقدمة الطبعة الأولى

حمدًا لك - اللهم - كما ينبعى بجلال وجهك وعظمي سلطانك ، وسلامة
وسلاما على صفوتك خلقك وخاتم أنبيائك.

وبعد ،

فمن المعلوم أن علم البلاغة يتأسى ترسيخ الملكة القادرة على الإحاطة
بالمعنى المختلفة إنشاء وتلقيا . لايستطيع البليغ بذلك نظم المعنى ، والتغير عنها
بصيغ وترأكيب وصور مختلفة في دلالاتها وخصوصيتها ، تبعا لما تقتضيه مقاماتها .
ولايستطيع - أيضا - أن يميز بين ما يتلقاه من أساليب وترأكيب بما لها من دقائق
وخصوصيات .

ومن الأساليب التي لها أهليتها في إبراز المعنى أسلوب التشبيه ، لما فيه من
الدقائق والخواص وكثرة اللطائف والاعتبارات المختلفة التي جعلته في موضوع
الاهتمام في حقل الدراسات البلاغية ، فنان مبحثه بمسالله ولقسماهه باعتبارات
مختلفة حظا موفورا توفر له كثير من الكتاب الدين أفرغوا فيه من كتاباتهم
وجوهنهم ما لا يحصى عددا .

وما يلفت النظر أنهم أفردوا لكل ركن من أركان التشبيه مباحث خاصة
به عالجوا فيها قضيائاه ومسائله معاجلة مستفيضة . لكنهم دأبوا على المرور بركن
(الأداة) مرورا عابرا دون أن يفصلوا القول فيه تفصيلا يتناول حقيقة الأداة ،
وما يدخل تحتها ، وما بينها من فروق .

ولم نجد من البلاغيين الأقدمين من تعرض لسرد أدوات التشبيه وبينان الفروق بينها بياناً منفرداً بما عدا البهاء السبكي - رحمه الله - في كتابه عروس الأفراح، وما كان له من جهد في تحقيق الفروق بينها في الدلالة استلهماها من شذرات من أقوال بعض البلاغيين وأهل اللغة ، وهي - وإن كانت جليلة - إلا أنها لا تفي بالمؤمل في هذا الباب.

من هنا كانت بدأة التفكير في هذه الدراسة لـ (أدوات التشبيه).

ثم إنه لما كان من مسالك الفهم الدقيق للقرآن الكريم ، ولدبر معانيه ، والوصول إلى أحکامه - الاهتمام بدراسة الفنون البلاغية، بما لهذه الفنون من أسس وأركان تقوم عليها . وخصائص تميّزها ، وبخاصة منها مباحث البيان، من تشبيه ومجاز وكتابية - لما كان الشأن كذلك اخترنا أن يكون مجال هذه الدراسة (أدوات التشبيه) دلائلها واستعمالاتها في القرآن الكريم.

والمسلك الذي اخترناه لهذه الدراسة يتبدى فيما يأتى:

أولاً : استقراء جميع شواهد القرآن الكريم التي اشتملت على أدوات التشبيه . والاستشهاد بها في موضوعها من الدراسة حسب دلالة الأداة ، وطريق استعمالها. وكذلك الكلمات التي تفيد الحكم بالمشاهدة فيه.

وهذا مما لا نشك في سلامته وجدواه . ذلك لأن تتبع جميع كلمات التشبيه في تراكيب القرآن الكريم ، ووجوه نظمها المختلفة ، ومقاماته الثرية يفيدنا كثيراً في تحديد دلالة هذه الكلمات ، وطرق استعمالها في الأساليب.

ثانياً : اتباع مسلك أهل العلم في حل الآيات على أحسن وجهه
الإعراب، ومعاني التراكيب ، تاركين التقديرات البعيدة المستكرهة التي يبعد حل
المعنى عليها ، وكذلك البعد عن حل الآية على قول شاعر مهما كانت طبقته.
ثالثاً: المعي ببعض الشواهد من آشعار العرب استئنافاً بما في بعض
المواقع، واستشهاداً بما في مواقع أخرى على دلالة بعض الكلمات التي تفيد
الحكم بالمشاهدة التي لا يوجد لها شواهد في القرآن الكريم.

على أن إقلالنا من شواهد الشعر لم يكن تقليلاً من أهميته. إذ هو ولا شك
"ديوان العرب" وإنما كان ذلك لوجود غيبتنا في شواهد القرآن الكريم من
ناحية، ولرغبة في عدم الإطالة وترهل الدراسة ترهلاً تتحاشاه من ناحية أخرى.
ثم - أخيراً - نرجو أن يكون ما بذلناه من جهد في هذه الدراسة بعون الله
تعالى قد آتى ما أمل فيه ، أو بعضاً منه ، وأن يكون خالصاً لوجه الله الكريم.
وصلة على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ".

شين الكروم

في ربيع الثاني ١٤١٣ هـ

المؤلف

أكتوبر ١٩٩٢ م



”مدخل“ التشبيه وأركانه

عند تحديد المصطلحات وبيان مفاهيمها يتبعى أن يرجع أولاً - إلى المعنى اللغوى ، لأنه الأصل الذى يقوم عليه المعنى ، وجنسه العام . والتشبيه ”لغة“ كما تقتضى مادة الكلمة وصيغتها: ”جعل الشىء شيئاً بالآخر“^(١) أى اعطاؤه شبه غيره ، وتصيره على صورته بحيث لا يتميز عنه . يشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُواْ وَمَا صَلَبُواْ وَلَكُنْ شَيْءٌ لَّهُمْ﴾^(٢) قالوا : ”إن معنى شبه لهم أى صور الله غيره بصورته فشبه لهم“^(٣) وقال القرطبي : ”أى ألقى شبهه على غيره ...“^(٤) .

فالتشبيه - أصلاً - يكون من حيث الهيئة والصورة ، وما جاء في المعاجم من تفسير الشبه بالمثل - كما في لسان العرب من أن : ”الشبة والشبيه والشبيه المثل ... وشبيه إيه ، وشبيه به مثله“^(٥) . إنما هو ضرب من المساحة والتوصع . لأن الشبيه والمثل ليسا بمعنى واحد ، لكون المائلة - كما سنبين بعد - لا تتحقق إلا بالشبيه من جميع الوجوه ، ما عدا ما يقع به التغاير . وصاحب اللسان نفسه قال في بيان معنى (مثل) : ”المائلة بين المتفقين في الجنس“^(٦) .

إذن إطلاق المائلة على الفاقدين في جهة واحدة يكون على سبيل المجاز^(٧) .

^(١) عروس الألواح : شروح الطغيمص ٢٩٢/٣.

^(٢) سورة النساء ١٥٧.

^(٣) جامع البيان عن تأويل آتى القرآن ١٢/٦.

^(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٠٠٥.

^(٥) لسان العرب لابن منظور ٢١٨٩.

^(٦) المرجع السابق ٤١٢٢.

^(٧) ينظر عروس الألواح ٣٩٢/٣.

وعليه للدعوى ابن الأثير عدم الفرق بين التشبيه والتلميل متحاجاً بتفسير الشبه بالمثل في المعاجم دعوى غير محيرة^(١) لأن أصل المعرفة للكلمتين مختلف. وإن كان قد اتسع ذلك وكثير في المعاجم حق صار حقيقة عرفية.

وقد عرف البلاغيون التشبيه لغة : بأنه الدلالة على مشاركة أمر في معنى^(٢). أي أن يأتي المتكلم بما يدل على التشبيه والمشاركة مطلقاً، سواء كان على سبيل الاستعارة التحقيقية ، أو المكفي عنها . أو على وجه تبني عليه الاستعارة، وهو ما يكون بالأدلة .. كما يشمل مثل : قاتل زيد عمرا وجاء عمرو وبكر ، لأن المثالين يستلزمان المشاركة في القتل والنجيء ، كما هو ظاهر الكلام، لأنه لا يلزم في دلالة اللزوم القصد على الأصح . ولا يخرج المثالان عن دائرة التشبيه اللغوي إلا إذا اشترط في الدلالة أن تكون صريحة مقصودة^(٣).

«التشبيه في اصطلاح البلاغيين» :

يتفق جميع من قاموا بتعريف التشبيه في الاصطلاح^(٤) على التصريح بأن عقده يقوم على اشتراك شيئاً في صفة، وإن اختلفت عباراتهم في التصريح بقوة الصفة ، وظهورها في المشبه به عن المشبه ... وكونه بالأدلة ملفوظة أو مقدرة. من هؤلاء:

الرماني (٢٨٤هـ) يقول في تعريفه : "التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل..

^(١) ينظر المثل السادس ٣٨٨/١.

^(٢) ينظر شرح التلخيص ٢٩٢/٣.

^(٣) ينظر شرح التلخيص ٢٩٢/٣ والمطول وحاشية السيد عليه ٣١٠.

^(٤) لما كان في إطلاق كلمة التشبيه على التشبيه الاصطلاحي وتسميه بما بعد تكون مدلولاً في اللغة جعل الشيء شيئاً بغيره والتشبيه الاصطلاحي ليس له ذلك بين الياء السبكى أن هذه التسمية على سبيل المجاز . وتوضيح ذلك أنه أطلق لفظ (التشبيه) على ادعاء التشبيه أو اعتقاده مثل قوله زيد كعمرو، فهو مجاز على مجاز ، للتتجوز بالثانية عن الأولى . انظر عروس الألواح ٢٩٢/٣.

ويذكر بعض الشواهد التي أسس لها لتقسيمات التشبيه باعتبار الموجه ، وباعتبار الطرفين ، ثم يقول : والتشبيه البليغ^(١) إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف ...

ويبين الوجوه التي يقوم عليها الخروج بالأغمض إلى الأظهر قاتلاً: منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة. ومنها إخراج ما لم تجربه عادة إلى ما جرت به العادة، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهية، ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة، فالأول: نحو، تشبيه المعلوم بالغائب، والثاني تشبيه البعض بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم ، والثالث تشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب ، والرابع تشبيه ضياء السراج بضياء النهار^(٢).

أبو هلال العسكري (٤٩٥ـ٥٣٥) :

يقول في تعريفه : هو الوصف بأن أحد الموصوفين يتوب مناب الآخر، بأداة التشبيه ، ناب منابه أو لم يتتب^(٣).

ثم يذكر الوجوه الأربع التي ذكرها الرقانى لحسن التشبيه وبلاغته ، ويرفض استحسان تشبيه المحسوس بالمعقول ويعتبره ردينا ...
الإمام عبد القاهر الجرجانى (٤٧١ـ٥٤٦) :

يعرفه خلال عرضه شواهد وتحليله وتقسيمه إلى تشبيه ، وتمثيل بأنه : الجمع بين شيئاً في صفة من جهة الحس أو العقل ، وبأنه الدلالة على اشتراك شيئاً في صفات الشيء في نفسه خاصة كالشجاعة في الأسد والنور في الشمس^(٤).

(١) يقصد بالبليغ ما كثُرَت فيه المبالغة بالحاق الأدنى بالأعلى، وليس مراده ما اصطلاح عليه بعد: محدوف الأدلة . ووافقه - أيضاً - في هذا القصد السكاكى . النظر مفتاح العلوم ١٨٩.

(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ٨٠ ، ٨١ .

(٣) كتاب الصناعتين ٢٣٩.

(٤) أسرار البلاغة ٦٤ وما بعدها والنظر الإبابي على البيانية للبيان ٣٨.

أبو يعقوب السكاكي (٥٦٢٦هـ):

يقول في تعريفه : " هو وصف المشبه بمشاركة المشبه به في أمر " ^(١).

الطوسي البغدادي (٥٧١٦هـ):

يقول : " هو إلحاد أدنى الشئين بأعلاهما في صفة اشتراكها في أصلها واختلافها في كيفيتها قوة وضعفا " ^(٢).

الخطيب القرزيوني (٥٧٣٩هـ):

يعرف بأنه " الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى ، ولم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، والاستعارة بالكتابية ، والتجريد " ^(٣).

السعد التفتازاني (٥٧٩٢هـ):

يرى السعد أن يزداد على تعريف الخطيب القول : " بالكاف ولحوه لفظاً أو تقديراً " ^(٤).

ابن يعقوب المغربي (١١١٠هـ):

يتميز تعريف المغربي بجمعه كل عناصر التعريف وقيوده ، فهو يقول : " هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية ، والمكفي عنها والتجريد ، وذلك بأن يكون بالكاف ولحوها ، لفظاً أو تقديراً " ^(٥).

هذه التعريفات وما اتصل بها من شروح دلتا على أن وجه الشبه يكشون أشهر في المشبه به عن المشبه وأكمل ، كما هو صريح تعريف الطوف . وأنه لا بد من وجود أدلة لفظاً أو تقديراً ، كما هو في كلام الرمان وتعريف السعد.

(١) مفتاح العلوم ١٧٧.

(٢) الاكابر في علم التفسير ١٣٢.

(٣) المطول على التلخيص ٣١١، ٣١٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مواهب الفتاح: شروح التلخيص ٢٩٥/٣.

وإذا كان هذا هو جوهر التشبيه وحقيقةه، وكنا بقصد الحديث عن أدواته في دلالاتها واستعمالاتها .. فإننا بحاجة إلى التمهيد لذلك بيان المسائل الآتية :

المسألة الأولى "أركان التشبيه" :

يقوم بناء التشبيه على أركان أربعة : المشبه ، والمشبه به ، والوجه والأداة.

فالباحث في قوله :

دان على أيدي العفة وشاسع

عن كل ند في الندى وضرير

كالبدر أفرط في العلو وضئورة

للعصبة السارين جد قريب^(١)

يشبه مدوحه في شسوع مكانته وعلوه مع قرب عطایاه من العفة ، بالبدر في بعد مكانه ، وقرب ضئورته للسارين في الليل.

فالمشبه (المدوح) والمشبه به (البدر) ووجه الشبه (البعد مكاناً والقرب عطاء) والأداة (الكاف).

وأركان التشبيه الأربع قد توجد ، وقد تختلف حلطاً على الانفراد ، أو معاً ، لوجود دليل ، ما عدا المشبه به^(٢).

المسألة الثانية) الفرق بين التشبيه والتشابه :

الأصل في التشبيه إلهاق الناقص في الصفة بالكامل فيها ، حقيقة ، أو ادعاء.

قال المزري :

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك

وقدمة التشبيه نقصان ما يحكى^(٣)

(١) البيتان في الإيضاح ١٢١ وديوان البحتري ١/٤٨٢.

(٢) في حل المشبه به مناقشة بينظر الأطول ٦٥/٢ وحادية الأنبا على الرسالة اليابانية للصحن ٣٩.

(٣) البيت في التبيان للطبيبي ٢٠٠.

لوجه الشبه الذي هو الضخامة ، عند تشبيه صورة الفلك بصورة الجبل في قوله تعالى : « هَوَّةُ الْجَوَارِ الْمُشَتَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ »^(١) أكمل في المشبه به عن المشبه حقيقة.

والكمال على سبيل الادعاء قد يكون راجعا إلى كون المشبه به مشتهرا بالصفة عن المشبه ، مع كونها أكمل في المشبه حقيقة ، لكنها لا تدرك فيه إلا على سبيل التخييل.

مثال ذلك قوله تعالى في صفة الحور « كَالْهُنَّ بَيْضٌ مَّكْتُونٌ »^(٢) فالحور وإن كانت أشد بياضا وحسنا من البيض إلا أنه فيها خفي غير معهود لعدم مشاهدتها ، وهو في البيض - وإن كان أقل - مشاهد معهود . فكان من هذه الجهة أكمل في المشبه به لا من حيث الحقيقة»^(٣) .

وقد يكون الكمال ادعاء مبناه مخالفة الواقع دون اعتماد على شهرة . فيجعل الفرع أصلا ، والأصل فرعا . ويلحق الناقص بالكامل على هذا السبيل « ولا نكاد نجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة .

فمما جاء في ذلك للعرب قول ذى الرمة :

ورمل كاوراك العدارى قطعه

إذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعا ، والفرع أصلا ؟ وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبيه أعيجاز النساء بكثبان الأنقاء»^(٤) .

(١) سورة الرحمن ٢٤.

(٢) سورة الصافات ٤٩.

(٣) ينظر الاكسير ١٣٢ وما بعدها.

(٤) الخصائص لابن جن ١ / ٣٠٠.

وهذا التصرف يجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً لفرض المبالغة، دليل قوى على أن الأصل في التشبيه الحق الناقص بالكامل ، وإلا لما تحقق بهذا التصرف غرض المبالغة والإدعاء.

وإذا بان لنا ذلك فإنه يُصبح أن فيه فرقاً بين التشبيه وبين أسلوب آخر يسمى (التشابه) وهو ما يدل على مشاهدة كلام الطرفين للأخر على حد سواء. أو مجرد إفادة أصل الاشتراك دون نظر إلى زيادة أو نقصان^(١).

وإذا كان عذراً لهذا النوع من التشبيه لا يخلو من تسامح^(٢). فإننا سنتحدث عنه بمزيد بيان مرتبط بشواهدنا في القرآن الكريم لسبعين :
الأول : مراعاة هذا الاعتبار ، أي كثرة إطلاق اسم التشبيه عليه على سبيل التسامح.

الآخر : مراعاة أحد نوعيه ، الذي هو في أصله تشبيه اصطلاحي ، مستوفٍ لأركانه، ووجه الشبه فيه أكمل في المشبه به، وأشهر. لكن ترك النظر إلى هذا، وأدخل في باب التشابة. وموضع ذلك بمشيئة الله تعالى - البحث الآخر.

المسألة الثالثة "المقصود بأداة التشبيه وما يدخل تحتها :

يقصد البلاطغون بأداة التشبيه آلة التي يتوصل بها إليه.

قال الطبي : " وهي ما يتوصل به إلى وصف المشبه بمشاركة المشبه به في الوجه . وهي : الكاف، وكان ، ومثل ، وشبه، وما في معناهما . كحكى، ونحو ، وأخ ".^(٣).

(١) ينظر شروح التلخیص ٤١٢/٣.

(٢) ينظر عروس الارواح ٣٩٣/٣.

(٣) البيان في علم المعان والبديع والبيان ٢١٢.

وعللوا إطلاق (الأداة) عليها لتشمل الاسم والفعل والحرف^(١) وسماها السكاكي : كلمة التشبيه^(٢).

وسماها العضد الإيجي : صيغة التشبيه ، وعلل شارحه - أيضا - هذه التسمية : لتشمل الاسم والفعل والحرف^(٣).

وكلام أكثرهم يدل على أن الأداة ليست الكاف، وكان ، فحسب. وإنما تشمل أسماء وأفعالا ، دون أن يحددوا عددها ، عدا ابن أبي الإصبع فقد قال : " أدوات التشبيه خمسة : الكاف ، وكان ، وشبه ، ومثل ، والمصدر بتقدير الأداة"^(٤) وهذا الكلام صريح في إرجاع المصدر إلى الكاف ، فتكون الأدوات أربعة.

وقال الخطيب : " أدواته : (الكاف) في نحو قوله : زيد كالأسد ، و (كان) في نحو قوله : زيد كأنهأسد. و(مثل) في نحو قوله : زيد مثل الأسد . وما في معنى (مثل) كلفظة (نحو) وما يشتق من لفظة (مثل) و (شبه) و (نحوهما)^(٥).

وقال البهاء السبكي : " كل ما كان بمعنى (مثل) و (شبه) أداة . فمن أدوات التشبيه : الكاف ، وكان ، وباء النسب ، ومثل ، ومثل ، وشبه ، وشيء ، ونحو ، ذكره جماعة .. وضرير ، وشكل ، ومضاه ، ومساو ، ومحاك ، وأخ ، ونظير ، وعديل ، وكفاء ، ومشاكل ، وموازن ، ومواز . ومضارع ، وند ، وصنو . وما كان بمعناها ، أو كان مشتقا منها ، من فعل أو اسم ، وأشار الطبي إلى أن من أدوات التشبيه (أفضل التفضيل) مثل زيد أفضل من عمرو ...

^(١) ينظر عروس الأفراح ٣٨٦/٣.

^(٢) مفتاح العلوم ١٨٩.

^(٣) شرح الفوائد الفيالية ٢١٤.

^(٤) تحرير التحبير ١٦١.

^(٥) الإيضاح ١٢٣.

ومن أدوات التشبيه (لعل) ففي البخاري في قوله تعالى : ﴿ وَتَخْلُدُنَّ مَصَانِعَ لَعْلَكُمْ تَخْلُدُنَّ ﴾^(١). عن ابن عباس رضي الله عنهما ، معناه : كأنكم «^(٢)» .

وقال العصام : " ولا يبعد أن يجعل من أدوات التشيه حسيفة (التفعل)
لحو: تحلم ، وتصبى ، وتشيخ ، فأنه في معنى : صار حليما ، وصار صبيا ، وصار
شيخا .. ولا يخفى أنه لم يصر شيخا بل صار كالشيخ في صدور أفعاله عنه ،
وظهور صفاته منه ^(٣) ."

وهذه الأدوات التي ذكروها ، وإن اتفقت في إلادة اشتراك اثنين في صفة، إلا أن لكل أدلة منها خصيصة في هذه الإلادة، راجعة إلى أصل مادتها اللغوية.

القول بفروج ما عدا (الكاف ، وَكَانَ) :

ناقش بعض البلاغيين دخول ما عدا الكاف و (كان) في أدوات التشبيه ، ذاهبين إلى أن الكلمات : مثل ، وشبه ، ونحوهما وما اشتقت منها ليست من أدوات التشبيه ، والأمثلة التي تجيء فيها ليست من التشبيه الاصطلاحي.

وقد استحسن البهاء السبكي ذلك في سياق شرحه كلام الخطيب قائلاً :
”والكلام من المصنف يقتضي أن قوله : زيد يشبه الأسد تشبيهٍ . وفيه نظر .
قال في شرح ضوء المصابح : إنه ليس تشبيهاً . فإنه كلام متضمن
الوصف بالملائكة بين زيد والأسد ، لا بواسطة أدلة تفيد ذلك الوصف ، بل
بووضع الجملة الخبرية دالة عليه ، انتبه . وهو حسن ويلزمه إجراؤه في (مثل)
و(خوا) وغير هما“^(٤) .

(١) سورة الشعراء ١٢٩

(٣٩٢/٣) عروض الأفراح

٨٨/٢ الأطهار

٣٨٧/٢-١٩٦١

ويذهب - أيضاً - ابن يعقوب إلى ذلك قائلاً : " ما يشتق من المماثلة ، وما يؤودى هذا المعنى ، كالضاهاء ، والمحاكاة ، ونحو ذلك ، كقولك : زيد يصاهمي ، أو يشبه ، أو يحاكي ، أو يماثل ، أو مضاه ، أو مشبه ، أو محاك عمراً ، فكل ذلك يفيد التشبيه . والمتبادر أن هذه المشتقات إنما تفيد الإخبار بمعناها . فقولك : زيد يشبه عمراً إخبار بالمشاهدة ، كقولك . زيد يقوم ، فإنه إخبار بالقيام ، وليس هنا أدلة داخلة على المشبه به . ومثل هذا يلزم في لفظ (مثل) فعدها من الأدلة لا يخلو من تساؤل^(١) .

وتحrir القول في هذا المطلب بما يأتي :

أولاً : إن هذه الكلمات (الأسماء والأفعال) يعبر بها عن معانيها الوضعية ، فيدل الإخبار بها على معانيها من المماثلة والمشاهدة والمشاكلة .. إلى آخره كما يدل الاخبار بأى فعل أو اسم مشتق آخر ، فهو ليست للدلالة على التشبيه الاصطلاحى وإن أفادت المشاهدة .

قولنا : زيد يشبه الأسد ، مثل قولنا : زيد يصاحب عمراً في الحكم بمعنى الفعلين والإخبار بهما دون اختلاف . والمثالان وإن أفاد الأول منها اشتراك زيد والأسد في الشبه ، والآخر اشتراك زيد وعمرو في الصحبة إلا أن هذه الإفادة بطريق التزوم ، لا يتعين القصد إليها . وإن تحقق القصد إليها فلن يكون المثالان تشبيهاً اصطلاحياً على حد سواء ، وإن كان الحكم في الأول بالمشاهدة فعلاً .

وقد صرخ العلامة السيد يأن قوله : جاءنى زيد وعمرو يدل لزوماً على مشاركة أحدٍ لما للآخر في الجيء ، فإن قصده المتكلم يعد تشبيهاً لغة لا تشبيهاً اصطلاحياً ، وكذا نظائره ثم نبه على الفرق بين ثبوت الحكم لشيئين وبين مشاركة أحدٍ لما الآخر فيه بأنهما مفهومان متغيران متلازمان ، وأن دلالة اللفظ على أحدٍ لما ليست عين الدلالة على الآخر وإن استلزمتها . كما لا تستلزم دلالة

المتكلم على أحدهما دلالة على الآخر ، إذ ربما يكون الآخر غير مقصود عنده أصله^(١) .

ثانياً : يدل كلام العصام على أن أدلة التشبيه لا تكون لفائدة الحكم بالتشابه . وإنما هي آلة للاحظة الطرفين والربط بينهما ، للدلالة على الماقع أحدهما (المتشبه) بالآخر (المتشبه به) . وعليه فلا تكون إلا حرفًا .

أى هي غير مستقلة بالمعنى ، ولا تدل على المعنى بذاتها . وعبارته : " والأدلة ليست أدلة للتشبيه . بل هي أدلة دالة لربط أحد الطرفين بالآخر في مقام التشبيه "^(٢) .

إذن : أدلة التشبيه للاحظة الطرفين وارتباطهما بعضهما ولذلك يتعين وجودها في اللقط أو التقدير . وعند التقدير تكون الكاف خاصة ، والدال على التشبيه بمجموع الطرفين والأدلة ومقام التشبيه .

ولا يدفع هذا ما سبق ذكره عن العصام من أن صيغة (التفعيل) من أدوات التشبيه . لأنه ذكر هذا على سبيل عدم استبعاده من أدخلوا غير المعرف في الأدوات بأن يجعلوها من الأدوات . ولم يصرح هو بأنما من الأدوات يدل على هذا عبارته بهذاخصوص .

ثالثاً : إنه مما يعكر على القول بأن الكلمات التي هي أسماء وأفعال أدوات تشبيه دلالة كل منها على معنٍ معين عند الإخبار بها . هو نفسه مضمون وجه الشبه ، لكون مفهوم مثل المشابهة في الجنس والصفة ، وشيء في الهيئة والصورة ، والشكل في المقدار والمساحة ، وهكذا ... وهذا واضح المخالف للمعهود من التشبيه بالكاف و (كان) من كون الأداة شيئاً والوجه شيئاً آخر .

(١) حاشية السيد علي المطrol . ٣١٠ ، ٣١١ .

(٢) الأطول ٦٥/٢ .

(وخلصة القول) أن اعتبار الأسماء والأفعال التي ذكروها من أدوات التشبيه يعد من باب التسامح ، لأن حقيقتها الحكم بالماللة والمشاهدة والمشاكلة والمضارعة إلى غير ذلك . ولا يسلم اعتبار شواهدها من التشبيه الاصطلاحي لعدم وجود الأداة ، وإن صح كونها تشبيها لغويًا لإفادته اشتراكَ الْتَّيْنِ في صفة كما بينا .

المبحث الأول

الأسماء والأفعال التي تفيد الحكم بالتشابه

١- كلمة "مثل" ^(١):

من الكلمات التي تأتي للأخبار بمعناها كلمة (مثل) والمعنى الذي تدل عليه كون المحكوم عليه بالمثلية متفقا مع ما يعاتله في جميع الجهات التي يصير بالاتفاق معه فيها على مثاله ، فيكونان جنسا واحدا يسد أحدهما مسد الآخر ^(٢).

يدل على ذلك مجيء المادة للدلالة على الاتفاق في الصورة جنسا وصفة .
قال تعالى في قصة الملك ومريم : ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سُوِّيًّا﴾ ^(٣).

قال الطبرى : " فتشبه ها في صورة إنسى سوى الخلق منهم ، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق " ^(٤).

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الوحي : " وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمك فاعي ما يقول " ^(٥) أي يكون في الصورة من جنس الرجال له من صفاتهم ومثل كلامهم ولغتهم .

ومن أمثلة ذلك في الشعر قول عنترة :

(١) جاءت كلمة (مثل) في القرآن الكريم لمئتين شاهدا وقفت في مئان وسبعين آية إذ ذكرت في آياتين ، منها ستة شواهد سنذكرها في مبحث (التشابه) وقد رقينا الشواهد وما أعيد ذكره وضمنا رقمها السابق بين مغفولين هكذا [...] .

(٢) ينظر الفروق في اللغة ١٤٧ وما بعدها.

(٣) سورة مريم . ١٧

(٤) جامع البيان ٦٠١٦ وانظر الكشاف ٥٠٥/٢ .

(٥) صحيح البخارى ٣/١ .

إن المثلية لـو تمثل مثلث

مثلي إذا نزلوا بضمك المرل^(١)

والالأصل الذي تقوم عليه المثلية الاتفاق في الجنس. قال في اللسان :
 "المماطلة بين المتفقين في الجنس"^(٢) وعند الاختلاف في الجنس يكون الجحىء ^{هـ}
 على سبيل المجاز^(٣). ويكون تمام المماطلة وتحققها عند الاتفاق في بقية الصفات،
 لأن الشئ لا يمكن مثل غيره في الحقيقة إلا إذا أشبهه في جميع الوجه^(٤) ماعدا
 ما يقع به التعدد^(٥).

"وجوه الدلالة بـ (مثل)" :

قلنا : إن المماطلة الاتفاق في الجنس والصفة . إلا إنه قد يكون محظوظاً
 الاهتمام بإبراز الاتفاق في الجنس ، وقد يكون إبراز الاتفاق في صفة أو صفات
 حق تتم المماطلة . يدل على هذا ما يصاحب (مثل) من قرائن المقام والسياق .
 ذكر سيبويه رحمه الله - أن قوله : مررت برجل مثلك يتحمل وجهـاً
 ثلاثة ، قال : " ومن النعمت مررت برجل مثلك . فمثلك نعمت على أنك قلت :
 هو رجل كما أنك رجل ، ويكون نعمـاً أيضاً على أنه لم يزد عليك ولم ينقص
 عنك في شيء من الأمور ، ومثلـه : مررت برجل مثلك ، أى صورـه شبيهة
 بصورـتك "^(٦).

(١) ديوان عترة ١١١ وفي الشعر والشعراء ١/٢٥٤.

(٢) لسان العرب ٤١٣٢.

(٣) ينظر الأكسير ١٣٢.

(٤) ينظر الفرقـ ١٤٩.

(٥) ينظر عروس الألواح ٣/٣٩٣ . الكتاب ١/٤٢٣.

(٦) الكتاب ١/٤٢٣.

فالوجه الأول : الاتفاق في الجنس . والثاني : الدلالة على المساواة . والثالث : الدلالة على المشابهة في الصورة المحسومة . ثم يقى بعد ذلك تعدد وجوه الاتفاق إلى أن تأخذ المائلة كمالها حتى يمكن أن يسد أحدهما مكان الآخر . وقد جاء القرآن الكريم مفيدة هذه المعان بكلمة (مثل) وكذلك جاء في الشعر العربي .

الاتفاق في الجنس :

يبدو واضحًا كون المقصود من المعنـى بـ(مثل) الدلالة على الاتفاق بين الطرفين في الجنس في الآيات الآتية :

١- قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوَّلَنَّ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّمِ الرِّضَاةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَغْرُوفِ لَا تَكُلُّفُ نَفْسَ إِلَّا وَسُعْهَا لَا تُصْطَارُ وَالدَّةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُ لَهُ بِوَلَدَهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ فَصَالًا عَنْ ثَرَاضِنَ مِنْهُمَا وَتَشَارُرٌ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدُوكُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهَا أُولَادَكُمْ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَغْرُوفِ وَأَقْبَلُوا اللَّهُ وَأَغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(١) .

(وعلى الوارث مثل ذلك) المائلة في جنس الواجب ، قال الرمخشري : المعنـى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة ^(٢) .

يدل على ذلك سياق الآية بما تضمن من الإشارة إلى هذا الواجب بعد سبق ذكره في أول الآية " وعلى المولود له رزقهن وكسوهن " .

٢- قال تعالى : ﴿ فَهُلْ يَتَنَظَّرُونَ إِلَّا مِثْلُ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاتَّظِرُوْا إِلَى مَعْكُمْ مَنِ الْمُنْتَظَرُونَ ﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة ٢٢٣ .

(٢) الكشاف ١ / ٣٧١ .

(٣) سورة يونس ١٠٢ .

فالمعلم والله أعلم - هل يبقى هؤلاء الكافرون مصررين على كفرهم -
لايصرفهم عن ذلك إلا أن يصيّبهم الله بأيام من جنس ما أصاب الأمم قبلهم.
فالممالة في جنس هذه الأيام بما لها الجنس من خصائص العذاب والشدة . ومن
هذا القبيل قول المسaur بن هند :

وأدر كفى يوم إذا قلت قد مضى
يعود لنا أو مثله فيعود ^(١)

أى من جنس ما عشناه.

٣ - قال تعالى : هُوَ إِنَّا قَوْمٌ لَا يَجِدُونَكُمْ شَقَاقٍ أَن يُصِيبَكُمْ مُثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مُنَكِّمٌ بَعْدِهِمْ ^(٢) يَخْرُفُ شَعِيبَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَوْمٌ أَن يُصِيبَهُمْ مِنْ جَنْسِ مَا أَصَابَ الْعَصَابَةَ قَبْلَهُمْ .
وَمِنْ هَذَا الضَّرِبُ أَيْضًا - الْآيَاتُ الْآتِيَةُ :

٤ - ٥ قال تعالى : هُوَ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَنِّيْكُمْ مُثْلُ
يَوْمِ الْأَخْرَابِ مُثْلُ ذَبَابٍ قَوْمٌ نُوحٍ وَغَادٍ وَثَمُودٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ^(٣).
(ومثل) الثانية تفيد ما أفادته الأولى . فهي تعرب بدلا منها أو عطف
بيان.

٦ - وقال تعالى : هُوَ فَإِنْ أَغْرَضُوا فَقُلْ أَنذِرُوكُمْ صَنَاعَةً مُثْلَ صَنَاعَةِ عَادٍ
وَثَمُودٍ ^(٤).
الممالة كما سبق في الجنس . ولا يخفى وجود صفات لهذا الجنس . إلا أن
الأساس بيان الممالة في الجنس .

^(١) البيت في الشعر والشعراء ١/٣٤٩.

^(٢) سورة هود ٨٩.

^(٣) سورة غافر ٣٠ ، ٣١ .

^(٤) سورة فصلت ١٣ .

- ٧- قال تعالى: ﴿يَعْظُمُكُمُ اللَّهُ أَن تَمُوذُوا لِمُثْلِهِ أَبْدًا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١)
المتألهة في جنس الإلحاد والافتراء والكذب على رسول الله وأهل بيته.
- ٨- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتَيْتُ مُثْلَ مَا أُوتَى مُوسَى أَوْ لَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوتَى مُوسَى مِنْ قِبْلَةِ قَاتَلُوا سِخْرَانٍ نَظَاهِرًا وَقَاتَلُوا إِلَّا بِكُلِّ كَافِرٍ وَهُنَّ﴾^(٢).
- أى لولا أوتي من جنس ما أوتي موسى من الكتاب المول جملة واحدة،
وقلب العصا حية ، وخلق البحر ، وغير ذلك من الآيات ^(٣).
- (الدلالة على المساواة) :**

وتأتي (مثل) للدلالة على المساواة مع الاتفاق في الجنس كثيرا في سياق الحديث عن بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام وعن جزاء الحسنة والسيئة، وفي آيات المواريث ، وعند الحديث عن الافتداء من العذاب ، وعند بيان قدرة الله على الخلق وكثرة عطائه لهم.

وشواهد الحديث عن البشرية جاءت على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام إثباتا للمساواة فيها ، مع إخبارهم بأنهم يتميزون عن غيرهم بما وراء صفة البشرية من الوحي والتبلیغ والهدایة ..
وجاءت أيضا على لسان الكافرين نفيا للرسالة لمنافقها - في زعمهم - للبشرية.

والإخبار بالمساواة في البشرية على لسان الأنبياء جاء في ثلاث آيات. تغير إحداها بتميز الأنبياء عن غيرهم بصفة منها الله عليهم ، وفضلهم ما .
والأخريان تخبران بجوهر الدعوة التي تميزوا بها عن سائر البشر.

(١) سورة التور ١٧.

(٢) سورة القصص ٤٨.

(٣) بيت الكلاف ١٨٣/٣.

٩- الآية الأولى : قول الله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ تُعْنِنَ إِلَّا بَشَرٌ مُثْلَكُمْ وَلَكُنَ اللَّهُ يَعْلَمُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نُأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١).

يمكى الله جل وعلا تسليم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمساواتهم غيرهم في البشرية . لكنهم يتميزون عن غيرهم بما من الله عليهم بالرسالة والوحى والدعوة إليه . واضح أن الخبر بالتميز بالرسالة جاء في مقابلة الإخبار بالمساواة في البشرية .

١٠- الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَفْعَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^(٢).

توجيه لرسوله ﷺ بأن يقر لهم بمساواة لهم في البشرية مع غيরه عنهم بالرسالة والدعوة ، التي جوهرها التوحيد الخالص ، ومظاهر العمل ، وغرتهم الجنة .

١١- الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَفِرُوهُ وَوَتَلِّ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣). إخبار بالمساواة في البشرية والتمييز بالرسالة .

وقد جاء الإخبار بالمثلية للدلالة على المساواة في البشرية على لسان الكافرين المعاندين نفيا للرسالة وبريرا لعنادهم وتعنتهم في طلب الآيات والمعجزات في الآيات الآتية :

(١) سورة إبراهيم . ١١.

(٢) سورة الكهف . ١١٠.

(٣) سورة لقمان . ٦.

١٢ - قال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمَهُ مَا كُرِّاَكُ إِلَّا بَشَرًا مُتَنَّا وَمَا كُرِّاَكُ الْجَعْلَكُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوكُنَا بِأَدْيَ الرَّأْيِ وَمَا كُرِّى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ إِلَّا لِظُنْكُمْ كَمَا ذِيَنَكُمْ ﴾^(١)

١٣ - وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ وَسْلَمُهُمْ أَفِي اللَّهِ هَذِهِ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوْكُمْ لِتَعْفَرُوكُمْ وَيُؤْخِرُوكُمْ إِلَى أَجْلٍ مُسْمَى قَالُوكُمْ إِنَّكُمْ إِلَّا بَشَرٌ مُتَنَّا تُرِيدُوكُمْ أَنْ تَصْدُرُوكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُوكُمْ فَأَنْتُوكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾^(٢)

١٤ - وقال تعالى : ﴿ لَا هُنَّ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوْهُمْ بِالْجُنُوْنِ الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُتَنَّكُمْ أَفَأَتُوكُمُ السُّحْرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ ﴾^(٣)

١٥ - وقال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوكُمْ مِنْ قَوْمَهُ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُتَنَّكُمْ يُرِيدُهُ أَنْ يَفْضُلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْتُوكُمْ بِهِمْ دَاهِنِيَا الْأَوْلَيْنَ ﴾^(٤)

١٦ - وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمَهُ الَّذِينَ كَفَرُوكُمْ وَكَلَّوْكُمْ بِلَقَاءَ الْآخِرَةِ وَأَفْرَقْتُهُمْ فِي الْأَيَّةِ الَّذِيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُتَنَّكُمْ يَا كُلُّ مِنْ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَتَشْرَبُ مِنْ مَا تَشْرِبُونَ ﴾^(٥)

و واضح من هذه الآية والقى قبلها ما للسياق من دلالة على معنى المساواة، لأن إثبات صفة البشرية من الأكل والشرب لنفي تميز الأنبياء بشئ عنهم مما يكون دليلا على اختلافهم في البشرية عن سائر البشر، وكذلك نفي التفضيل -

(١) سورة هود ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم ١٠.

(٣) سورة الأنبياء ٣.

(٤) سورة المؤمنون ٢٤.

(٥) سورة المؤمنون ٣٣.

في الآية قبلها - إثبات للمساواة في البشرية . أما بقية الآيات فمقام الآيات يدل على القصد إلى الإخبار بالمساواة في البشرية .

١٧ - وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مُّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ هُنَّ﴾^(١) .

١٨ - وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمَا مِثْلَنَا وَقُوَّتْهُمَا لَنَا عَابِدُونَ هُنَّ﴾^(٢) .

١٩ - وقال تعالى : ﴿ مَا أَلْتَ إِلَّا بَشَرًا مُّثْلَنَا فَأَتَ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ هُنَّ﴾^(٣) .

٢٠ - وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَلْتَ إِلَّا بَشَرًا مُّثْلَنَا وَإِنْ تُظْنِكَ لِمَنِ الْكَاذِبِينَ هُنَّ﴾^(٤) .

٢١ - وقال تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مُّثْلَنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْلِبُونَ هُنَّ﴾^(٥) .

وهكذا أفادت هذه الشواهد المائلة في الجنس والمساواة في صفاته .

وتأتي (مثل) عند الحديث عن جزاء الحسنة والسيئة للدلالة على المساواة فضلا عن الاتفاق في الجنس ، وذلك لنفي الزيادة والنقصان .

وتكون المساواة في جانب الحسنة لنفي النقصان ، أما في جانب السيئة فتكون لنفي الزيادة ، وهو الغالب الكبير فيها . وقد تكون لنفي النقصان ترهيبا ، وزجرا عن التمام في الباطل وهو القليل فيها .

ويكون للمقام والسياق توجيه إدراك المساواة لنفي النقصان أو نفي الزيادة . وشهاد ذلك الآيات الآتية :

^(١) سورة المؤمنون ٢٤.

^(٢) سورة المؤمنون ٤٧.

^(٣) سورة الشعراء ١٥٤.

^(٤) سورة الشعراء ١٨٦.

^(٥) سورة يس ١٥.

٢٢ - قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيْئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^(١).

في الآية شاهدان : أحدهما : الكلمة (مثل) في جانب الحسنة ولم تأت (مثل) في الجزاء عنها إلا في هذه الآية . وهي تدل على نفي القصمان في الجزاء . وما يؤكد إفادتها المساواة مجئها بصيغة الجمع ، ومعدودة ، لإفادة الزيادة عن طريق ذلك ؛ لكون صيغة المفرد تدل على المساواة .

الآخر : مجئها في جانب المسينة للدلالة على المساواة ، ونفي الزيادة في الجزاء . ولأسلوب القصر دلالته الواضحة على ذلك .

٢٣ - قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَوَّقَ بِهِ ثُمَّ يُفْسِي عَلَيْهِ لَيْنَصُرُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ ﴾^(٢).

المثلية في كون ما يعاقب به من جنس المسينة التي يعاقب عليها ومن باها ، بحيث تكون على مقدارها لا تزيد . والإيمان بطل دون الكاف للدلالة على أن القصد ليس إلى مجرد وقوع الحدتين الذي يقاد بالكاف ، وإنما لإفادة أن العقاب مماثل لسببه في جنسه ومقداره ، لأن نصر الله مترب على هذه الماثلة والله أعلم.

٤ - قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَذْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ لِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٣).

أفادت (مثل) المساواة دفعاً للزيادة ، وإقامة للعدل بينهم وسياق الآية واضح الدلالة على ذلك .

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

(٢) سورة الحج ٦٠.

(٣) سورة غافر ٤٠.

٤٥ - قال تعالى : ﴿ وَجْزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْنَعَ فَأَجْرُهُ عَلَى
اللَّهِ إِلَهٌ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

المثلية لإفاده المساواة بعدم مجازة الحد، فيكون العقاب على قدر السيئة،
ومقام الآية وسياقها واضح الدلاله على ذلك.

٤٦ - قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَكُمْ شَيْءاً مِنْ آزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمُ فَاتَّوْا
الَّذِينَ ذَهَبْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْشَمْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾^(٢).
أى آتوا من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تتوه
زوجها الكافر، على أن يكون ذلك على سبيل المساواة ، ورد الزائد من عقب
الصادق الذي عند المسلمين ، أو أن يكون ذلك مما عاقبتم يا صاحبكم غنيمة
منهم^(٣).

وقد جاءت (مثل) للدلالة على المساواة . منها للنقصان في المقوبة في
الآيات الآتية :

٤٧ - قال تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قَصَاصٌ فَمَنْ
اعْتَدَى عَلَيْنَكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَنْفَقُوا اللَّهُ وَأَغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٤).

الغرض من الآية وسياقها يدلان على المساواة منها للنقصان لأنما تحدث
المسلمين على رد العدوان بالعدوان ، دون توان أو تراخ فيه . فإن للمسلمين أن
يهاجموا على المشركين حرمة الشهر الحرام كما يهاجمونه عليهم وألا يبالوا ، وألا
يقصرروا في رد الإعتداء لكي لا يتمادوا في ظلمهم . ثم تختم الآية بما يدل على

^(١) سورة الشورى . ٤٠.

^(٢) سورة المحتجة . ١١.

^(٣) ينظر الكتاب ٩٤/٤ و تفسير ابن كثير ٤/٣٥٣ .

^(٤) سورة البقرة . ١٩٤.

مراقبة الجانب الآخر من المساواة وهو عدم مجاوزة الحد الذي أحله الله لهم بقوله تعالى "وَالْقَوْمُ أَعْلَمُ بِأَنَّهُمْ مَعَهُمْ" فإنك من يتقى ذلك كان الله معه^(١).

٢٨ - قال تعالى : « وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءً مَّسْتَحْيَةً بِمَا لَهُمْ وَكَرْهُهُمْ ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَمَا أَغْشَيْتُ وَجْهَهُمْ قِطْعًا مِّنَ الظَّلَلِ مُظْلِمًا أَوْ تِلْكَ أَصْنَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »^(٢).

(بعملها) أي تساوى ما فعلوه ولا تقل عنه . وسياق الآية بما يشتمل عليه من بيان حال الذل والهوان التي هم عليها، وأنهم لا يحملون بينهم وبين عذابه ما يمنعه عنهم أو يخففه ، كل ذلك يدل على أن مثل المساواة لها للنقمان .
وقال أبو حيان : " - بعملها - أي لا يزاد عليها " ^(٣) وهذا التفسير لا يتفق مع مقام الآية وسياقها ، وكان أولى أن يقول : أي لا ينقص عنها .

٢٩ - قال تعالى : « فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُكْرًا مُّثُلًا ذُكْرُ أَصْنَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ »^(٤).

المثلية للمساواة في الجزاء ، لدفع توهם النقص فيه ، والتساهل مع الذين يظلمون رسول الله بالتكذيب ، فهم يساورون من سقوتهم بتكذيب الأنبياء فيما يصريحهم من العذاب .

وجاءت (مثل) دالة على المساواة في آيتين من آيات المواريث :
٣٠ - قال تعالى : « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أُولَادِكُمْ لِلَّذِكَرِ مُثُلُ حَظِّ الْأُنْثَيْنِ فَإِنْ كُنْنَ نِسَاءً فَرَبِّنَ النِّسَاءَ فَلَهُنَّ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النُّصْفُ وَلِأَبْوَاهُنَّ كُلُّ

(١) ينظر الكشاف ١/٣٤٢.

(٢) سورة يونس ٢٧.

(٣) البقر الخريط ٥/١٤٨.

(٤) سورة الداريات ٥٩.

وَاحِدٌ مِنْهُمَا السُّلْطُنُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَثَةً أَبْوَاهُ
فَلِأُمِّهِ الْثَلَاثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْرَجٌ فَلِأُمِّهِ السُّلْطُنُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ ذِيْنَ
آبَاؤُكُمْ وَآبَاءِنَّا كُمْ لَا تَذَرُونَ أَهْلَهُمْ أَقْرَبَ لَكُمْ لِفَعًا فِي رِضَةٍ مَنْ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْهَا حَكِيمًا^(١).

٣١ - وقال تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُوكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتَيْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ افْرَدُوا
هُنَّكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أَخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرْثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ
فَإِنْ كَانَا أَنْتَيْنِ فَلَهُمَا الْقِلْعَانُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْرَجٌ رُجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّهِ ذُكْرٌ
مِثْلُ حَظِّ الْأَنْتَيْنِ يَيْسِنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصْلِلُوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ^(٢) .

جاءت (مثل) في الآية الأولى (للذكر مثل حظ الأنثيين) وفي الآية الثانية
(للذكر مثل حظ الأنثيين) - لتدل على المساواة في المقدار بحيث لا يزيد ولا
ينقص.

وجاءت (مثل) دالة على المساواة في سياق الحديث عن قدرة الله وسعة
علمه ، وكثرة عطائه في الآيات الآتية :

٣٢ - قال تعالى : ﴿ مَا نَسْخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ لَنِسَهَا نَاتٍ بِعَزِيزٍ مِنْهَا أَوْ مِنْهَا أَلْمٌ
تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٣) .

قال أبو حيان : " - أو مثليها - أي مساوا لها في التكليف والشواب ،
وذلك كنسخ التوجّه إلى بيت المقدس بالتعوجه إلى الكعبة " ^(٤) ودلالة (مثل) على
المساواة يساعد عليها . - أيضا - نظم الآية ؛ لأن المثلية للتوزيع مع الزيادة ،

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سورة النساء ١٧٦.

(٣) سورة البقرة ١٠٦.

(٤) البحر الخفيط ١/٣٤٤.

فالنقدان غير وارد؛ ولأن الآية في مقام الحديث عن قدرة الله تعالى. وعلمه بما
له الخير عند التشريع خلقه، فكلمة (مثل) أثبت المساواة بين ما يأتي من
الآيات مع ما نسخ منها بحيث لا تتفق عنها.

٣٣ - قال تعالى : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ حُرْبٍ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلُهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرُنَا لِلْعَابِدِينَ﴾^(١).

٣٤ - وقال تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلُهُمْ رَحْمَةٌ مِنْنَا وَذِكْرَ
لِأَوْلَى الْأَنْبَابِ﴾^(٢).

الإياتان تحدثان عن إيمان الله أيوب أهله الدين أهلكرأوا ومعهم ما يساوهم
عدها في الدنيا وعدة في الآخرة . وهذا لا يكون إلا من القادر جل وعلا^(٣).

٣٥ - قال تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ
يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بِيَتْهِنُ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَاطَبَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٤).

المعنى - والله أعلم - أي مثلكن في جنس الخلق والعدد.

ودلالة (مثل) على المساواة في العدد لها مزيد اختصاص بالفرض قال
الزمخشري : " ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه"^(٥).

٣٦ - قال تعالى : ﴿فَلْ تُؤْنَ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلْمَاتِ رَبِّي لَنْفَدَ الْبَحْرُ
قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلْمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا﴾^(٦).

(١) سورة الأنبياء ٨٤.

(٢) سورة من ٤٣.

(٣) ينظر البحر الطيب ٢٣٤/٦.

(٤) سورة الطلاق ١٢.

(٥) الكشاف ٤/١٢٤.

(٦) سورة الكهف ١٠٩.

قال الزمخشري : " ولو جتنا بمثل البحر مداداً لنفدي أياضها والكلمات غير
نافلة "(١) .

واوضح أن النفاد يرتبط بالمقادير وأن (مثل) هنا للمساواة - أياضها - في
جنس المداد.

٣٧ - قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمَهُ فِي رَيْسَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ
الْدُّنْيَا يَا تَعَزَّزْ لَنَا مِثْلًا مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) يَتَّمِنُونَ أَنْ يَكُونُ
عِنْهُمْ مِنَ الْمَالِ وَعَرَضَ الدُّنْيَا مَا يَسَاوِي مَلْكَ قَارُونَ فَكَلِمَةً (مثلاً) لِلدلالة عَلَى
المساواة .

أما شواهد (مثل) التي تفيد المساواة في معرض الحديث عن الاتداء من
العذاب فهي الآيات الآتية :

٣٨ - قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ
مَعْنَاهُ لَفَقِدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

٣٩ - وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِبُوا
لَهُ لَوْلَا أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعْنَاهُ لَفَقِدُوا بِهِ أَوْلَانِكَ لَهُمْ سُوءُ
الحِسَابِ وَمَا وَهُمْ بِهِ مُهَاجِرُونَ ﴾ (٤) .

٤٠ - وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ
مَعْنَاهُ لَفَقِدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا
يَعْتَسِبُونَ بِهِ ﴾ (٥) .

فكلمة (مثل) في الآيات تدل على المساواة أى أن الله لا يقبل الفداء وإن
كان ما في الأرض جميماً ومعه ما يساويه مقداراً وقيمة . والله أعلم .

(١) الكشاف . ٥٠١/٢ .

(٢) سورة القصص . ٧٩ .

(٣) سورة المائدة . ٣٦ .

(٤) سورة الرعد . ١٨ .

(٥) سورة الزمر . ٤٧ .

[دلالة (مثل) على المشابهة]

جاءت (مثل) للدلالة على المشابهة في الهيئة والصورة مع دلالتها على الاتفاق في الجنس على حد قوله : مررت برجل مثلك . أي شبهك - في الآيات الآتية :

٤١ - وقال تعالى : **هُدْيَا أَيْهَا الَّذِينَ آتَيْنَا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَتْمِمْ حُرْمَةً**
وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءُهُ مُثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النَّعْمَ يَحْكُمُ بِهِ ذُو الْعِدْلِ مِنْكُمْ
هُدْيَا بِالْعَلْيَ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَارَةً طَعَامَ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلًا ذَلِكَ صَيَامًا لَّيْلَقَ وَهَالَ أَمْرِهِ
عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ غَادَ فَيَسْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو اِنْتِقامَةٍ^(١).

(مثل ما قتل) قال الجمهور : المثلية في الصورة والخلقية ، والصغر والكبير، اعتمادا على أن (مثل) في الآية تقتضي بظاهرها المثل الخلقي الصوري، يساعد على ذلك تفسير المثل بقوله (من النعم) وقوله (هديا بالع الكعبه). وهذا مستند الإمام الشافعى - رحمه الله - لاستخراج الحكم من الآية، وهو أن ما يجزى عن قتل الصيد نظره في الخلقة والصورة استدلا على هذه الدلالة اللغوية لكلمة (مثل).

اما الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - فقد استدل على كون المثلية راجعة إلى القيمة، دون الهيئة والصورة - بجزء آخر من السياق ، وهو ارجاع تحديد المثل إلى (ذوى عدل) إذ لو كانت المثلية في الخلقة والصورة لما أرجع الأمر إلى حكمهما ، لعدم خفاء النظر عنى بذلك، وكون معرفة الجراء مستطاعة^(٢).

٤٢ - قال تعالى : **فَلَنَاتَّيْنَكَ بِسُخْرِيْرِ مُثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْتَنَا وَبَيْتَكَ مَوْعِدًا لَا**
لَخَلْقَهُ لَخْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَى ^(٣)

(١) سورة المائدة ٩٥.

(٢) ينظر الكشاف ٦٤٤/١ والبحر الطيب ١٩٤ و الجامع لاصحاح القرآن ٢٣٠٧.

(٣) سورة طه ٥٨.

حكاية لما قاله فرعون لموسى - عليه السلام - قوله (مثله) أى من جنس ما جنت به ، وعلى هيئة وصورته المشاهدة ، التي تأخذ بالأعين ، وتأثير على المشاهد .

وهذا خبر من فرعون ، ومحاولة منه إنكار ما يعلمه من كون ما جاء به موسى عليه السلام أمر معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بما يناله هيئة وصورة.

الدلالة على تمام المثالثة :

يتحقق تمام المثالثة عند دلالة (مثل) على الاتفاق في الجنس وصفاته بحيث لا يتميز أحد الطرفين عن الآخر ، ليكونان شيئاً واحداً، أو كالشئ الواحد. ويكثر ذلك في الحديث عن القرآن الكريم وتعدد المعاندين أن يأتيوا بمثله. وكذلك عنبعث وإعادة الأجسام بعد موتها . فمن شواهد تحدى الكافرين الآيات الآتية:

٤٣ - قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مُّمَّا كُنْزْلَنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِ وَأَذْعُرُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١).

في الآية تحدى للكافرين بأن يأتيوا بكلام من جنس الكلام الذي يقرره محمد - ﷺ - في عربته التي يمكن ناصيتها ودقها تراكيبيه ومعانيه، ويساويه في علو بلاغته وفصاحته . لكنه تصح لهم دعواهم بأنه افراه وخالفه.

فالملائكة تامة ، لأنها في الجنس بما له من صفات يدل عليها مقام التحدى.

٤٤ - قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِّنْ استطاعتم مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢).

أى سورة تناهه في البلاغة وحسن النظم بحيث يكون ما يأتيون به كأنه القرآن . وذلك يستحيل عليهم.

(١) سورة البقرة ٢٣.

(٢) سورة يونس ٢٨.

٤٥ - قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنْوَا بِعَشْرِ سُورٍ مُّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَأَذْغَوْا مِنْ إِسْتِطْعَتْهُمْ مِنْ ذُوْنَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) . وهي كالآية السابقة . فالمبالغة في كونه من جنس كلامهم وفي التعمير بالبلاغة والفصاحة .

وعلل أبو حيان مجىء (مثل) الثانية دون الاكتفاء بالضمير ليبيان أن المطلوب الإتيان بمنتهيه، لا أن يأتوا بالقرآن بجواز حل المثل على الشيئ نفسه لسو جي بضميره ، فكورة توضيحا وتوكيدا^(٣). وهذا يفهم أن المائلة بلغت حد الكمال ، وإلا لما كان يصح حل المثل على الشيئ نفسه.

١٣- سورة هود

٨٨- سورة الإسراء

(٧٩) ينظر البحر المحيط ٦ /

٣٤ الطاولة

٤٨ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا كُلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ كَشَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(١).

أى أنهم يستطيعون أن يأتوا بثله في كونه كلاما من أساطير الأولين، وفيه من القصص والحكايات الغريبة، وكونه باللغة العربية الفصيحة. والمماللة التي يدعونها كاذبة ومفتوحة لا حقيقة لها.

والشاهد الذي جاءت في معرض الحديث عنبعث وإعادة الأجسام، وتدل (مثل) فيها على تمام المماللة من الاتفاق في الجنس وصفاته وهيتها بحيث لا يكاد يتميز أحد المتماثلين عن الآخر فيكونان كالشني الواحد هي ما يأتي :

٤٩ - قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَبَّ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورُهُمْ ﴾^(٢). أى - والله أعلم - مثله في الجنس أى يكونون إنساناً مثلهم وفي صفات الإنسان وهيتها المعروفة التي هم عليها ، فالملائكة تامة في جميع الصفات.

ومثلها أيضاً في هذه الدلالة :

٥٠ - قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُمُ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ ﴾^(٣).

أى مثلهم في الجنس والصفات ، وماهم عليه من الهيئة الإنسانية المعروفة. ويؤكـد دلالة (مثل) على تمام المماللة في هذه الآية والتي قبلها أن مآل الغرض إفادـة أن الله قادر على أن يخلقـهم إعادة كما خلقـهم بدءـا.

٥١ - قال تعالى : ﴿ لَخْنُ قَدْرَكُمَا يَتَنَاهُ الْمُرْتَ وَمَا لَخْنُ بِمَسْتَوِيْنِ * عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَتُنَشِّكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤).

(١) سورة الأنفال . ٣١.

(٢) سورة الإسراء . ٩٩.

(٣) سورة يس . ٨١.

(٤) سورة الواقعة . ٦٠ - ٦١.

٥٢ - وقال تعالى : ﴿ لَخَنْ خَلْقَنَاهُمْ وَشَدَّدَكَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبَدِيلًا ﴾^(١).

(أمثال) جمع مثل (سكنون المثلثة). المراد المائلة في الخلقة البشرية وصفاتها ، والهيئة التي بدأ عليها خلقهم.

وقد جوز الزمخشري أن تكون (أمثال) جمع مثل بالفتح بمعنى صفة^(٢)، وإن كان كذلك فالصفة صفة ظاهرة متصلة بالهيئة والصورة.

٥٣ - قال تعالى : ﴿ هَارَمْ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَادِ ﴾^(٣). أى لم تخلق مدن مثلاها في عظيم اجرامها وقوتها بنيانها . وامتلاكتها باهلها . فالمائلة تامة في الجنس وصفاته وهيئته الظاهرة المرئية.

ومن الشواهد التي يتسع فيها مجال المائلة اتساعا ناشتا من المقام الدال على قصد المائلة في كل شيء حتى يمكن أن يقصد بالمثلين شيئا واحدا فيقال : هو هو - الآية الآتية :

٥٤ - قال تعالى : ﴿ هَفَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مَنْ أَنْفَسْكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَلْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٤). (ليس كمثله شيء) المثل المنفي عنه مشاهدة شيء له مقصد به - على سبيل الفرض - من يسد مسد من يماثله ، لكونه على أخص أو صاله ، وكان المقصد ذلك لأن الفرض تحقيق نفي المائلة لله تعالى عن طريق الكناية ، لأن نفي المشاهدة للمثل لافي مشاهدة غير الله له.

^(١) سورة الإنسان . ٢٨.

^(٢) ينظر الكشاف . ٥٦ / ٤.

^(٣) سورة الفجر . ٨ ، ٧.

^(٤) سورة الشورى . ١١.

وَمَا يَشْهُدُ لِدَلَالَةِ (مِثْلِ) عَلَى ثَقَامِ الْمَالَةِ ، وَأَنَّهَا فِي الْجِنْسِ وَجِيعِ
الصَّفَاتِ أَنَّ الْعَرَبَ كَثِيرًا مَا تَكْفِي بِالْكَلْمَةِ (مِثْلِ) عَنِ الدَّلَائِلِ . وَمَثَالٌ : أَنَّ
تَقُولُ : مِثْلِي لَا يَقُولُ لَهُ هَذَا . أَيْ أَنَا لَا يَقُولُ لِي هَذَا ^(١) .

قَالَ الْفَرِزَدْقُ :

وَتَقُولُ كَيْفَ يَمْلِئُ مِثْلُكَ لِلصَّبَا
وَعَلَيْكَ مِنْ سَمَاءِ الْكَبِيرِ عَذَارٌ ^(٢)

أَيْ قَمِيلُ أَنْتَ .

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُ السَّابِقِ (طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ) :
عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي
أَلَا لِيَقُولَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْنِدِي ^(٣)
(عَلَى مِثْلِهَا) يَرِيدُ نَاقِتهُ أَيْ عَلَيْهَا أَمْضِي ..
وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ الشَّمَاحِ :

عَلَى مِثْلِهَا أَقْضِي الْهُمُومَ إِذَا اعْتَرَتْ
إِذَا جَاهَشَ هُمُ النُّفُسَ مِنْهَا ضَمِيرُهَا ^(٤)
(عَلَى مِثْلِهَا) أَيْ عَلَيْهَا ، عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ : مِثْلُكَ يَحْمِي الْحَرَمَ . أَيْ أَنْتَ
تَحْمِي الْحَرَمَ .

(١) يَنْظَرُ الْكَشَافُ ٤٦٢/٣ وَالْبَحْرُ الْأَغْيَطُ ٥١٠/٧ .

(٢) دِيْوَانُ الْفَرِزَدْقِ ٣٧٢/١ وَفِي الشِّعْرِ وَالشِّعْرَاءِ ٤٩٣/١ .

(٣) الْبَيْتُ لِشَرْحِ الْمَعْلُوقَاتِ السَّبْعِ الطَّوَالِ ١٨٢ . وَالضَّمِيرُ لِ(مِنْهَا) لِلْفَلَاءِ . وَجَاءَ بِهِ مَعَ عِلْمِ تَقْلِيمِ ذِكْرِهَا لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ كَقُولَهُ تَعَالَى : « حَقُّ تَوَارِتَ بِالْحِجَابِ » سُورَةُ صَ ٢٢ .

(٤) دِيْوَانُ الشَّمَاحِ ١٦٩ .

(بقاء ما يقع به التعدد) :

إذا كان الأصل في الممالة الاتفاق في الجنس والصفة فإنه لا يمنع الممالة أو بعض منها وجود اختلاف في بعض الصفات . لأن هذا أمر يقتضيه التغاير بين الأشياء .

٥٥- قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدْتُ مَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِطْلِهِ قَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

قال الزمخشري : " على مثله - الضمير للقرآن ، أو على مثله في المعنى ، وهو ما في التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن ، من التوحيد ، والوعد ، والوعيد ، وغير ذلك ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زَيْرِ الْأُولَئِينَ ﴾^(٢) وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحْفِ الْأُولَئِينَ ﴾^{(٣)، (٤)} .

والمعنى وإن كانت متطابقة بين المتماثلين : القرآن ، والكتب السابقة من حيث اشتتمالها على جوهر التوحيد ، والإسلام لله تعالى والدعوة إلى مكارم الأخلاق إلا أن فيه تميزاً بينها في خصوص المناسب والمترد عليه ، وأمة الرسول ، وغير ذلك من الصفات التي تخص كل واحد دون الآخر .

فالممالة لا تناول بقاء ما يدل على تميز لطرفين ، لاستحالة الفاقهما في كل شيء ، وإلا كانا شيئاً واحداً . لذلك فإنه عندما تأخذ الممالة تمامها فلن يغيب عن المدقق أن يلحظ ما بين المتماثلين من اختلاف مهما عاتلا .

(١) سورة الألطاف ١٠.

(٢) سورة الشعراة ١٩٦.

(٣) سورة الأعلى ١٨

(٤) الكشاف ٥١٨/٣

(اختلاف المثلين في النوع) :

وإذا كانت المثلية تقتضي الاتفاق في الجنس والصفة ، فإنه لا يسعن أن يكون طرفاها متفقين في النوع ، إذ لا يسع تحقيقتها مع اختلافهما.

٥٦ - قال تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَبَصَّرُنَّ بِأَنفُسِهِنَّ فَلَا هُنَّ قُرُودٌ وَلَا يَحْلُّ
لَهُنَّ أَن يَكْحُمُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْضَاهُنَّ إِن كُنُّوا يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِغَوَّثِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدَّهُنَّ فِي ذَلِكَ إِن أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ
بِالْمَغْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١).

قوله تعالى : (وهن مثل الذي عليهن) المماثلة في الجنس والصفة من حيث كونهما واجبين ، لا ينبع التفريط ليهما من الزوج والزوجة وإن كان الواجبان مختلفين من حيث النوع . فنوع الواجب على الزوج غيره على الزوجة.

قال الزمخشري : " المراد بالمماثلة مماثلة الواجب للواجب في كونه حسنة ، لا في جنس الفعل ، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه ، أو غبرت له أن يفعل نحو ذلك . ولكن يقابلها بما يليق بالرجال " ^(٢).

وكلامه وإن أفهم اختلافهما في الجنس ، إلا أن الجنس الذي قصده هو الداخل تحت جنس الواجب ، والذي صرخ به أول كلامه . وقد ذكر أبو حيان ضرورة من المعانى للمثلية في الآية لتفيد تحقيق المثلية في الجنس والصفة ^(٣).

[٢٢] ^(٤) - قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٢٢٨.

(٢) الكشاف ٣٦٦/١.

(٣) ينظر البحر المحيط ١٨٩/٢.

(٤) وضع الرقم بين معمولين للدلالة على سبق الاستشهاد بالآية تحت هذا الرسم لكلمة التشبيه نفسها.

(٥) سورة الأنعام ١٦٠.

قال أبو حيان : " لا يلزم في المثلية أن تكون في النوع ، بل يكفي أن تكون في قدر مشترك ، إذ النعيم السرمدي والعقاب المؤبد ليسا مشتركتين في نوع ما كان مثلاً لهما ، لكن النعيم مشترك مع الحسنة في كونهما حسنتين . والعقاب مشترك مع السيئة في كونهما يسوءان " ^(١) .

فإن الجنس الذي يحصل فيه الاتفاق هو جنس الحسنة، وجنس السيئة. وإن اختلاف في النوع لأن حسنة العبد حسنة دنيوية ، وكذلك سيئة . فهـما غير دائمـين، بخلاف الجزاء عليهـما.

(المبالغة في الدلالة على المماثلة) :

عندما يتحقق للمماثلة كـماها قد يسلك بكلمة (مثل) مسلك المبالغة في الدلالة على المماثلة ، بأن يقلب الحكم بما فيجعل ما شأنه أن يكون محکومـا عليه محکومـا به . وجاء ذلك في آية واحدة .

٥٧ - قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَخْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسْ ذَلِكَ بِالْكُفُورِ قَاتَلُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الْرِّبَا وَأَخْلَقَ اللَّهُ التَّبَيْعَ وَحَرَمَ الْرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِدَةً مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَى اللَّهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٢) .

" إنما الـبيـع مثل الـربـا " هذه مـقالـة الكـافـرـين الذين يـحملـون ما حـرـمـ اللهـ ، اـدعـوا المـمـاثـلة بين الـربـا ثم بالـغـوا في إـلـيـاتـ هذا الـادـعـاء وـعـكـسـوا بـجعلـ الـبيـع مثلـ الـربـا .

قال الزمخشـري : " فـإـنـ قـلـتـ : هـلـاـ قـيلـ : إنـماـ الـربـاـ مـثـلـ الـبيـعـ لأنـ الـكـلامـ فـالـربـاـ لـاـ فـالـبيـعـ ...ـ قـلـتـ : جـيـ بهـ عـلـىـ طـرـيقـ المـبـالـغـةـ ، وـهـوـ آنـهـ قدـ بـلـغـ منـ اـعـقـادـهـمـ فـحلـ الـربـاـ أـفـمـ جـعلـوهـ أـصـلـاـ وـقـانـونـاـ فـالـحـالـ حـقـ شـبـهـواـ بهـ الـبيـعـ " ^(٣) .

(١) البحر الخـيط ٤/٢٦١.

(٢) سورة البقرة ٢٧٥.

(٣) الكشـاف ١/٣٩٩.

وكلام الزمخشري واضح في أن الجني بـ (مثل) لتشبيه البيع بالربا في الحلل ، وجاء هذا التشبيه معكوسا لإفادة المبالغة في هذه المشاهدة ، فمثل يعنى (الكاف) مجرد التشبيه في صفة.

وكلام ابن المنير تعقيبا على ما ذكره الزمخشري على أن مآل اختلاف وضع الطرفين في الجملة إلى مقصود واحد من إثبات الحكم على طريق قياس الطرد أو العكس ، فليس فيه حاجة إلى اعتبار أحد هما خارجا عن الظاهر لعدم المبالغة^(١).

على أن أرى أن الإثبات بـ (مثل) دون الكاف للدلالة على تمام المماطلة بين الربا والبيع في كونهما عقدين ، فهما من جنس واحد وفيهما من منافع المبادلة ، وكذلك الحال ، فهما على حد سواء على حسب مدعاهما ، ثم بالغوا في إثبات هذه المماطلة يجعل الفرع أصلا والأصل فرعا . والله أعلم .
(المماطلة بين الأفعال) :

كما تأتى (مثل) للحكم بالمماطلة بين النوات ، تأى - أيضا - للحكم بالمماطلة بين الأفعال والأحوال ، المدلول عليها بالفعل أو المصدر صريحا أو مؤولا ، شأنها في ذلك شأن الكاف . غير أن (مثل) تختلف بحكم طبيعة دلالتها على الاتفاق في الجنس والصفة . إذ يتعين عند الحكم بما المماطلة بين الفعلين في صفاتهما وخصائصهما ، لا في مجرد الواقع كما هو حال الكاف في أحد استعماليهما كما سنبين ذلك في مبحثها إن شاء الله .

يجلى لنا ذلك الشواهد الآتية :

٥٨ - قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ رَبَّكُمْ هُدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتِيَنِي أَحَدًا مِثْلَ مَا أُوتِيَنُمْ أَوْ يَحْاجِجُوكُمْ عِنْدَ رِبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الرَّفِيقَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِسِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) .

(١) الالتفاف لما تضمنه الكتاب / ٣٩٩ .

(٢) سورة آل عمران . ٧٣ .

قوله : (أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ) المماثلة فيه تختتم : إما أن تكون بين المصطرين على معنى إخبار الرسول ﷺ - أمته بأن الله لا يعطي أحدا ولا أعطي فيما سلف مثل عطائه أمة محمد من الإسلام والمهدى، أو كونها أمة وسطا. فالمماثلة بين العطاءين في الجنس والصفة من خصوصية الفضل والتكرير.

وأما أن تكون (مثل) صفة لموصوف مذوق (اسم ذات) وليس صفة للمصدر. أي أن يؤتى أحد كتابا مثل الكتاب الذي أعطاه الله لكم. والمماثلة أيضا في الجنس والصفة . أي كتابا من جنس القرآن وعلى صفتة: بلاغة، ودقة أحكام وتشريع.

وهذا الاحتمال المذكوران من كون المماثلة بين الأفعال أو بين الذوات بغيران أيضا مع كون هذا الكلام (أَن يُؤْتَى أَحَدٌ ..) حكاية لما قاله اليهود لبعضهم ^(١) .

٥٩ - قال تعالى: هُوَ مَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ النَّجَرِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيْيَ
وَلَمْ يُوَحِّ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزُلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي
غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسْطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرُجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ لَجْزَوْنَ عَذَابَ
الْفُوْنِ بِمَا كَسْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرُ الْحَقِّ وَكَشْمَ عَنْ آيَاتِهِ تُسْتَكْبِرُونَ ^(٢) .

قوله (سأنزل مثل ما أنزل الله) حكاية لقول كاذب . والمعنى : أي يكون مني إنزال كلام كان زوال الله - حسب زعمكم - على محمد . فالمماثلة بين الفعلين . ويؤيد هذه كونه لا يعتقد أن الله أنزل شيئا ، ولفظ (ما) . عندئذ موصول حرفي . وتسميتها ما يأتي به إنزالا مجاز ، لأن المعنى على نظمها كلاما كنظم القرآن ^(٣) فالمماثلة ليست في مجرد الفعل ، بل مع صفتة.

^(١) ينظر جامع البيان ٣١٣/٣ والبحر الخبيط ٤٩٤/٢.

^(٢) سورة الأنعام ٩٢.

^(٣) ينظر البحر الخبيط ٤١٨٠/٤.

ويصبح كون (ما) اسمًا موصولاً مرواداً به القرآن الكريم ، وتكون المماثلة بين ما يؤلفه وبين القرآن الكريم في الجنس ، لكونهما كلاماً عربياً، وفي الصفة من البلاغة ودقة النظم.

٦٠ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَنَّهُمْ آيَةً قَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتَنِي مِثْلَ مَا أُوتَيْتِ رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيِّصِبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَفَارَ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابَ شَدِيدٍ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾^(١).

تحكى الآية الكريمة مقاولة الكافرين المعاندين ، وتعليقهم لإيمانهم على أن يؤتونا مثل ما أوتي رسول الله ، أى أن يكون إيمان الله لهم مماثلاً لإيمانه رسلاً من العجزات ، فيحيى لهم الأموات ويخلق لهم البحر ونحو ذلك^(٢). فالمماثلة بين الفعلين في الجنس ، فكلاهما عطاء ، وكذلك في صفة هذا العطاء والفضل بأن يكون على صفة ما أعطى رسلاً.

أو أن تكون المماثلة بين ذاتين أى أن تؤتى كتاباً مثل الكتب التي يؤتى بها الله رسلاً ، لأن الرسل - على حسب زعمهم - قاتلهم الله - ليسوا أفضلاً منها.

٦١ - قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوْلَوْنَ ﴾^(٣). أى قالوا قولًا مثل قول الأولين وهو قوله : أئنا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لم نعودون.

والمماثلة بين الفعلين أقرب ، وقد مال إلى ذلك الزمخشري قال " أى قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم " ^(٤) أى كقول الكفار قبلهم . بصفته التي

^(١) سورة الأنعام ١٢٤.

^(٢) ينظر البحر الأفلاط ٤/٢١٦.

^(٣) سورة المؤمنون ٨١.

^(٤) الكشاف ٣/٤٠.

كانت له . فمثيل دلت على أن المماثلة ليست في مجرد كوفة فولين وإنما في خصوصيات هذا القول .

وبحى (مثل) للدلالة على المماثلة بين الأفعال كثير في الشعر من ذلك قول سعيد بن أبي كاهل عن حاسده :

لم يضرني غير أن يحسدني

فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع^(١)

فالمماثلة بين فعلين جنساً وصفة .

وقال أبو عرار عمرو بن شاس يوصي زوجته بابنه .

فإن كنت مفأ أو تريدين صحبق
فكوني له كالسمن ربت له الأدم

ولالا فيبني مثل ما بان راكب

تيمم حمساً ليس في سيرة أم^(٢)

أى بيفي بينا ماما لا بين راكب ليس في سيرة قصد .

وقال كعب بن زهير يرفع من شأن الحطينة ١١

فمن للقوافي شائعاً من يحوكها

إذا ما مضى كعب وفوز جرول

كفيتك لا تلقى من الناس واحداً

تنخل منها مثل ما يتخل

يشقها حق تلين كعورها

فيقصر عنها من يسى ويعمل^(٣)

^(١) يزقو: يصبح - والضوع : ذكر اليوم - والبيت في الشعر والشعراء ٤٢١/١.

^(٢) الأدم : النعى ، أى كونى له كسمن رب أديعه ، أى طلى برب التمر - الحمس : من أطماء الأبل ، وهو أن ترد الأبل الماء اليوم الخامس ، الأمم : القرب والقصد . والبيان في الشعر والشعراء ٤٢٥/١.

^(٣) الآيات في الشعر والشعراء ١٥٦/١ . وقد قالها كعب بعد أن طلب منه الحطينة أن يذكره في شعره لپذكرة الناس به .

وهكذا ...

وقد يزتى بكلمة (مثل) للدلالة على المائلة بين المختلفين من حيث كون أحدهما ذاتا والآخر فعل.

٦٢ - قال تعالى : ﴿ فَوَرَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ إِنَّهُ لَحَقٌ مُّثِلٌ مَا أَكَمْ تُنْطِقُونَ ﴾^(١).

(انه حق) الضمير هو المشبه ، وهو عائد على الكلام السابق ، لتكون المائلة في الجنس والصفة من حيث إن الطرفين فيه اشتراكا في جنس القول ، وفي الصفة من حيث كونهما حقا.

وعبارات العلماء تدل على ذلك . قال الطبرى : " يقول تعالى ذكره ، مقسما خلقه بنفسه ، فورب السماء والأرض إن الذى قلت لكم أيها الناس إن في السماء رزقكم وما توعدون حق كما حق أنكم تنتظرون " ^(٢) .

وقال الزمخشري : " هذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق ، وأمر النبي ﷺ ، أو إلى ما توعدون " ^(٣) .

ويذكر أبو حيان وجوها لعود الضمير ، لم يستظهر فيها عوده إلى مثل ما ذهب إليه الطبرى والزمخشري قائلا : " والضمير في (إن) عائد على القرآن ، أو إلى الدين في قوله (وإن الدين الواقع) أو إلى اليوم المذكور في قوله (أيام يوم الدين) أو إلى الرزق ، أو إلى الله ، أو إلى النبي ﷺ ، أقوال منقوله . والذى ظهر أنه عائد على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدم في هذه السورة من صدق

(١) سورة الذاريات ٢٣.

(٢) جامع البيان ٢٠٦ / ٢٦.

(٣) الكشاف ٤ / ١٧.

الموعود ووقوع الجزاء ، وكوفهم في قول مختلف . وقتل اخراصون وكينونة المتنين في الجنة على ما وصف ، وذكر أوصافهم وما ذكر بعد ذلك . ولذلك شبه في الحقيقة بما يصدر من نطق الإنسان بجماع ما اشتراكا فيه من الكلام ^(١) .

وقد أطلت تفصيل ذلك بقول من كلام السلف لبيان دلالة (مثل) على المائلة في الجنس والصفة بين الأفعال في الآية المذكورة على الوجه الظاهر من كون الضمير عاليا على فعل ومعنف من المعان .

أما بعض الوجوه الأخرى من عود الضمير على الله ، أو النبي ، أو الرزق إلى آخر ما قيل .. فإن (مثل) معها لا تفيض المائلة في الجنس ، كما هو واضح من حقيقة الطرفين . فتكون المائلة غير تامة .

ولعل أبي حيان استظهر عود الضمير على الإغخار السابق الذي أداه الكلام اعتمادا على دلالة (مثل) من كوفهم قالوا : أنها تدل على الاتفاق في الجنس والصفة . ويكون مرجع تضييف الوجه الأخرى في إرجاع الضمير ترتب عدم الاتفاق في الجنس عند الإغخار بمثل . وهو ما يخالف أصل دلالتها .

وإنما نجزم بأن هذا ما حل بأبي حيان على ذلك لأن له رأيا في دلالة (مثل) مستعرفة فيما يأتي . ويجري ما ذكرنا مع وجوه الإعراب في (مثل) سواء كانت مرفرعة صفة لحق ، أو كانت بالفتح على أنها مع (ما) في موضع رفع صفة - أيضا - لحق ، أو كانت لفتح نصب صفة لمصدر مدلوف ^(٢) .

رأى أبي حيان في دلالة (مثل) :

يدهب أبو حيان إلى أن (مثل) تدل على مطلق الاتفاق ولو في جهة واحدة ، فلا يعنين في دلالتها الاتفاق في جميع الصفات ما عدا ما يقع به التمايز - كما سبق - من بيان دلالتها .

(١) البحر الخيط ١٣٦/٨ .

(٢) ينظر الكتاب ١٤٠/٣ والمحاصص ١٨٢/٢ .

فعد تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَإِن كُثُرْتُمْ فِي رَبِّ مَمْلَكَتِنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَلْتُوا بِسُورَةِ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُثُرْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

- يقول : " المائلة نفع بادئ مشاهدة " ويكرر ذلك في مواضع مختلفة^(٢).

وقد سبقه الرمخشري بمثل ذلك قالاً " المائلة مشاركة في بعض الأوصاف"^(٣) لكن يبدو أنه أطلق المائلة وأراد بها المشاهدة على سبيل التوسيع في العبارة ، والمشاهدة يكفي فيها بعض الأوصاف.

والذى يدل على هذا القصد أن كلامه هذا جاء في سياق تفسيره قول الله تعالى ﴿وَإِنْ تَقْتَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَتَلَ آدَمَ خَلْقَةً مِنْ تُرَابٍ فُمْ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

فقد بين ما تفيده الكاف في الآية لا ما تفيده (مثل) لأنها ليست موجودة في الآية ، وإنما الموجود كلمة (مثل) بفتح المثلثة بمعنى (صفة) فالكاف أفادت مشاهدة عيسى لأدم في خرق العادة عند الخلق ، فأطلق الرمخشري المائلة مریدا المشاهدة التي يكفي فيها بعض الأوصاف.

والذى نرتضيه ما سبق أن قرناه وقال به العلماء ، من أن المائلة تفيد الانفاق في الجنس والصفة.

قال أبو هلال عن مثل الشى : " لا يكون مثله في الحقيقة إلا إذا أشبهه من جميع الوجوه لذاته"^(٥).

^(١) سورة البقرة . ٢٣

^(٢) البحر المحيط ١٠١/١ والنظر ٦٢/٣، ٣٦٧/١

^(٣) الكشاف . ٤٣٣١

^(٤) سورة آل عمران . ٥٩

^(٥) الفروق في اللغة . ١٤٩

و جاء في عروس الأفراح " لفظ المثل دال على المساواة بين الشترين إلا فيما لا يقع العدد إلا به ، هذا حقيقته . ويستعمل مجازاً فيما دون ذلك " ^(١) .
 لكن البهاء السبكي اتبع ذلك ببعض الآيات قائلاً : إنما أفادت التشبيه في شيء واحد لا من كل وجه ^(٢) مع أن بعض هذه الآيات تفيد المماثلة في الجنس والصفة ، كما سبق أن استشهدناها على دلالة (مثل) على تمام المماثلة . كقوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِمْ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَصُمُوا عَلَيْهِ بِمُثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٤) وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ^(٥) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّبَعُ مِثْلُ الرَّبَّيْهِ ﴾ ^(٦)

أما بعض الآيات الأخرى فواضح فيها دلالة (مثل) على الشبه في صفة .
 تكون على سبيل المجاز . من إطلاق دلالتها على الاتفاق في الجنس والصفة إلى مجرد الاتفاق في صفة .

وهذا الضرب الثاني وهو ما كان القصد فيه إلى الحكم بالمماثلة في صفة .
 تكون على سبيل المجاز . من إطلاق دلالتها على مجرد الاتفاق يتبع إلى نوعين : لأن الطرفين فيه قد يكونان معتملين أيضاً في الجنس ، وقد يكونان مختلفين فيه .

فمن شواهد النوع الأول ما يأتي :

^(١) عروس الأفراح : طروح ٣٩٣/٣.

^(٢) المرجع السابق الموضع نفسه .

^(٣) سورة البقرة ٢٣ .

^(٤) سورة البقرة ١٩٤ .

^(٥) سورة البقرة ٢٢٨ .

^(٦) سورة البقرة ٢٧٥ .

٦٣ - قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيَسْتَهِزُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعْهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِلَّا كُمْ إِذَا مُتَلِّهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَقْبِلِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾^(١)

(إنكم إذا مثلهم) أي في الإثم والمعصية . ذكر أبو حيان عن ابن عطية قوله : وهذه المائلة ليست في جميع الصفات ، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة^(٢).

وهذا الكلام معناه أن الاتفاق في الصفة دون الجنس ، لكن ييدو أن (مثل) هنا تدل على المائلة في الصفة الدالة على الاتفاق في الجنس - أيضاً لأنهما اتفقا في النفاق والكفر . لأن القعود معهم وقت الاستهزاء رضا بالكفر والراضي بالكفر كافر^(٣).

ولا ضير إذا رأينا هذا الاعتبار أن تكون المائلة تامة ، ويكون استعمال (مثل) حقيقة في دلالتها . لأن الاتفاق في صفات الكافرين وتحقق ذلك في الطرفين يقتضي كونهما جنساً واحداً ، والمائلة بينهما حقيقة.

٦٤ - قال تعالى : ﴿ إِنْ تَذَعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِكِكُمْ وَلَا يَبْتَلَكُمْ مِثْلُ خَيْرِهِمْ ﴾^(٤)
(ولا يبتلكم مثل خيرهم) هذا من الإيجاز في العبارة^(٥).

قال الزمخشري : ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خير عالم به ، يريد أن الخير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به^(٦).

^(١) سورة النساء . ١٤٠ .

^(٢) البحر المحيط . ٣٧٤/٣ .

^(٣) ينظر الكافش . ٥٧٢/١ .

^(٤) سورة فاطر . ١٤ .

^(٥) ينظر دلائل الإعجاز . ٣٢٠ .

^(٦) الكافش . ٣٠٤/٣ .

فالمماثلة على سبيل النفي أي لا يعاتل الجاهل بحقيقة الأمر من يعلمه ويخبر به في صحة الاخبار بالحقيقة.

فالمماثلة في صفة وهي المنظور إليها والمقصودة من العبارة ، ولا ينظر إلى الجنس وإن اتفق الطرفان فيه من حيث الإنسانية وصفتهما ومن حيث القيام بالأعيار.

وأن أريد بالخبر الله تبارك وتعالى فالاختلاف ذاتاً واضح . ويكون القصد إلى الصفة وهي دقة الاخبار بالأمر على سبيل نفيها . أي نفي مماثلة غير الخبر الله تعالى.

قال الطبرى : وذلك الخبر هو الله الذى لا ينفى عليه شىٰ كان أو يكون سبحانه ^(١) .

وذكر هذا -أيضاً- أبو حيان عن المفسرين ، ثم حكى عن ابن عطية أن تكون الجملة من تمام ذكر الأصنام وأنما المراد بكلمة خبر ^(٢) .

ويكون الجنس أيضاً مع هذا الاحتمال مختلفاً.

وما هو على طريقة الآية مع اختلاف الجنس قول عمرو بن كلثوم:

وما منع الظعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلين ^(٣)

أى ليس فيه شىٰ يعاتل الضرب في منع الظعائن وصونها .

وقول الشماخ :

ولم يسل أمراً مثل أمر صريحه إذا حاجة في النفس طال اعتراضها ^(٤)

(١) جامع البيان ١٢٦/٢٢ .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٥/٧ .

(٣) البيت في شرح القصائد السبع الطوال ٤٢٥ . والقلين : جع فلة وهي خشبة يلعب بها الصبيان .

(٤) ديوان الشماخ ٢١٥ .

المعنى : أنه إذا كان هناك أمر يقلق النفس فإنه لا يسليها عنه إلا عزيمة صارمة . أى ليس فيه شىء يحابل العزة في تسلية النفس .

٦٥ - قال تعالى : **﴿فَمَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُذْعَنُونَ لَتَشْفَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ كُمْ مَنْ يَنْخَلُ وَمَنْ يَنْخَلُ فَإِلَمَا يَنْخَلُ عَنْ لَفْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلُّوْنَا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾**^(١)

(لا يكونوا أمثالكم) أى في الخلاف والتولى والبخل . فنفي المماطلة في هذه الصفات ، وقيل في هؤلاء : هم الملائكة ، وقيل : هم الأنصار وقيل : فارس والروم إلى غير ذلك ^(٢) .

فعلى القول بأهم قوم من البشر تكون المماطلة في الجنس محققة لكنقصد لا يتوجه إليها وإنما إلى الصفة التي أريد نفي المماطلة فيها . فيكون المعنى على نفي المماطلة في الصفة لا نفي الجنس معها .

أما على القول بأهم الملائكة تكون المماطلة المنافية في الصفة دون نظر إلى الجنس ؛ لأن الجنس بطبيعته ليس فيه اتفاق .

أما النوع الثاني : وهو ما قصد فيه الحكم بالمماطلة في صفة مع اختلاف الجنس فمعنى ما يأتى :

٦٦ - قال تعالى : **﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَنْجَحُ فِي الْأَرْضِ لِيَرِئَ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا رَبِّنِي أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأَوْارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾**^(٣)

(أن أكون مثل هذا الغراب) تخbir الآية الكريمة بندم قabil على قتل أخيه هابيل ، وتنبه أن لو كان مثل الغراب في معرفة ما ينبغي أن يكون في مثل حالته

(١) سورة محمد صلى الله عليه وسلم . ٣٨ .

(٢) ينظر الكشاف ٤٠/٣ و البحر الطيب ٨٦/٨ .

(٣) سورة المائدة ٢١ .

فيوارى سوأة أخيه ، فالمشاشة في صفة والجنسان مختلفان . وهذا الاختلاف ، والتباین مع ما للإنسان من تميّز هو الذي أهب في نفسه نار الندم ، والحزن لفقد إلهام الفطرة لما يتبين أن يكون في هذا الموقف . والصفة هنا صفة معنوية . وما جاء في الشعر من قبيل ذلك كثیر . قال الأعشى يمدح قوما :

قوما بيوقم أمن جمارهم

يوما إذا ضمن الخضورة الفرغعا

وهم إذا الحرب أبدت عن نواجزها

مثل الليوث وسم عائق نفعا^(١)

فـ (مثل) دلت على المائلة بين هؤلاء وبين الليوث والسم في صفة الجرأة ، وشدة الإصابة والقتل ، والبعد بينهما في الجنس واضح وقال حسان :

واقافية مثل السنان رزتها

تناولت من جو السماء نزولها

لقالت ابنته :

يراهما الذي لا ينطق الشعر عنده

ويعجز عن أمثالها أن يقولها^(٢)

فمثل في البيت الأول تدل على المائلة في صفة القسوة والمضاء دون أن يكون بين المماطلين اتفاق في الجنس .

وفي الثاني - وهي بصيغة الجمع - تدل على المائلة في الجنس والصفة . وقد تكون كلمة (أمثال) جمع (مثل) بفتح المثلثة . بمعنى الحكمة ، وعليه فلا شاهد فيها .

(١) ديوان الأعشى ١٠٨ . والخضورة الجماعة الحاضرة والسم العائق القوى القاتل .

(٢) البيان في الشعر والشعراء ٣٠٧/١

٦٧ - قال تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۗ كَامِلَ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْتُونِ ﴾^(١).

(كامِل) جمع (مثل) والنظر في المماثلة من عدة وجوه : من ناحية دلالة الآية على المماثلة دلالة حقيقة ، أو مجازية. ومن ناحية معنى لفظ (مثل) جمعاً، ومن ناحية اجتماعها مع الكاف واحتمال زيادة إحداها.

أما من الناحية الأولى - وهي غرضنا الآن - فقد جاءت (مثل) للدلالة على الشبه في الصورة المشاهدة، التي تجمع بين الحور واللؤلؤ. وتعني بما الصفاء والتألق، والذي أكدتها بتابع اللؤلؤ بصفة الكنّ والحفظ (مكتون) قال أبو حيyan: " وصف اللؤلؤ بالمكتون لأنّه أصفي وأبعد من التغير " ^(٢).

وواضح أن بين الحكمين بينهما بالمماثلة اختلافاً في الجنس.

فالمماثلة هنا ليست كاملة . فالإيتان بكلمة (مثل) خروج بما عن أصل دلالتها ، وتجوز بما في هذه الدلاللة.

وهذه شواهد من الشعر جاءت فيها (مثل) للدلالة على الانفاق في الصورة المشاهدة مع اختلاف الطرفين في الجنس على سبيل المجاز.

قال لييد :

تاوى إلى الأطنان كل رذية مثل البليبة قالص أهداها ^(٣)
 يشبه حال المرأة من النساء اللاتي يلجان إلى في الشدة ، وقد أرذها أهلها
 والقوها بالناقة التي تعقل عند قبر صاحبها ، في هيئة الرثابة والإهمال.
 فالاتفاق في الصورة المشاهدة مع اختلاف جنس الطرفين . فالمماثلة ليست
 حقيقة.

(١) سورة الواقعة ٤٤، ٤٣.

(٢) البحر المحيط ٨/٤٠٦.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال ٥٨٩.

وقال الأعشى يصف ناقته :

وألواح رهب كان السر
ع ابن في الدف منها سطارا
ودأيا تلاحقن مثل الفؤور
من لاحم منها السليل الفقارا^(١)
شبه حلق فقارها في صورته بالفؤوس الموضوعة بجوار بعضها وليس بين
الطرفين مغالية في الجنس.

وقال عنترة يصف الناقة - أيضا - :

أبقي لها السفار مقرضا
سندًا ومثل دعائم التخيم^(٢)
يشبه ناقه في ضمورها ونحوها الظاهر فوق أرجلها الطوال بالخيمة
ودعائمه. فكلمة (مثل) دلت على اتفاق أرجل الناقة ودعائم الخيمة في الهيئة
والصورة.

وقال الشماخ يصف شفر امرأة :

قامت تربك أليث البيت منسدلا

مثل الأسود قد مسحن بالفراق^(٣)

(مثل الأسود) دلت (مثل) على مغالية الشفر للحيات السوداء في
الصورة المشاهدة من الاستطالة والسوداد واللمعان ، ولا تدل على الاتفاق في
الجنس لأنهما مختلفان.

ولعل هذا البيان يكون قد تجلى لنا الفرق بين دلالة (مثل) على معنى
(شيء) عند استعمالها في دلالتها الحقيقة . إذ تكون دلالتها على الهيئة والصورة

^(١) ديوان الأعشى ٨١ . والرهب : الناقة المزيلة . والدأي: حلق الفقار. تلاحقن : تلازم. السليل : السنام.

^(٢) شرح الفصالد السبع الطوال ٣٢٨ .

^(٣) ديوان الشماخ ٤٥٣ . والفردات أليث: كيف غير- الأسود : الحيات فيها سواد - العافق: البان أو
الزيت المطبوخ ، وقليل : المشط .

داخلة في إطار دلالتها على الاتفاق في الجنس وجميع الصفات ما عدا ما يقع به التمايز كالشاهد (٤٢) في قوله تعالى : ﴿فَلَنَّا تَيْكَ بِسُخْرَ مُتْلِهِ﴾^(١) - وبين دلالتها عليه عند استعمالها في مطلق المائلة استعمالاً مجازياً ، فتدل مثل على الهيئة والصورة دون الاتفاق في الجنس كالشاهد (٦٧) في قوله تعالى : ﴿كَأَمْثَالِ الْلَّوْلُوِ الْمَكْنُونِ﴾^(٢).

محن (مثل) بصيغتي التثنية والجمع :

يدل كلام سيبويه أن للوصف بكلمة (مثل) وجوداً مختلفاً من الدلالة على المائلة تبعاً لصيغتها إفراداً وتثنية وجماً .

قال : " ومن النعت - أيضاً - مررت برجلين مثلين ، ففسر المثلين : أن كل واحد منهما مثل صاحبه ، ومثل ذلك سيان وسواء . ومنه مررت برجلين مثلك ، أى كل واحد منهما مثلك . ووجه آخر على أقهما جيئاً مثلك وكل ذلك جر " ^(٣) .

وفي ضوء هذا نجلي هذه المعانى لصيغ (مثل) الثلاث :
صيغة الأفراد :

عندما تجيء (مثل) مفردة ، قد يكون الطرفان مفردين ، مثل : مررت برجل مثلك ، فالمعنى الذي تدل عليه العبارة هو مائلة أحد الطرفين للآخر ، ومن شواهد ذلك :

[٤٧] قوله تعالى : ﴿فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مُتْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٤) .

[٤٨] قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾^(٥) .

^(١) سورة طه ٥٨ .

^(٢) سورة الواقعة ٢٣ .

^(٣) الكتاب ٤٢/١ .

^(٤) سورة الطور ٣٤ .

^(٥) سورة هارون ٤٠ .

وقد يكون الطرفان جمعا . مثل مررت برجال مثلكم فيكون المعنى أى كل واحد منهم رجل كما أن كل واحد منكم رجل ومن شواهد ذلك :

[١٣] قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾^(١) أى كل واحد منكم بشر كما ترون بشرية كل واحد هنا . وما هو من قبيله :

[٦٣] قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا مُّتَّهُمْ ﴾^(٢) .

وقد يكون الطرفان مختلفين ، فان كان المحكوم عليه بالمثلة جمعا أو مشن والممثل به مفردا مثل : مررت برجال مثلك ، أو بргلين مثلك فالمعنى - كما قال سيبويه - كل واحد منها مثلك ، فمثل مفردة بمعنى الجمع . وهو الوجه في :

[٤٥] قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلَوْا يَعْشِرُ سُورَ مُثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾^(٣) .

قال الرحمنى : " مثله - بمعنى أمثاله ، ذهابا إلى المثلة كل واحدة منها له " ^(٤) وأيضا :

[١٨] في قوله تعالى : ﴿ أَلَوْمَنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلُنَا ﴾^(٥) .

[٣٧] قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ لَكَ مِثْلَ مَا أَوْتَيْ قَارُونَ ﴾^(٦) أى ليت كل واحد مثله .

والوجه الآخر أن يكون الرجال أو الرجال جميعا مثله . وما هو من قبيل ذلك :

^(١) سورة إبراهيم ١٠ .

^(٢) سورة النساء ١٤٠ .

^(٣) سورة هود ١٣ .

^(٤) الكشاف ٢٦١/٢ .

^(٥) سورة المؤمنون ٤٧ .

^(٦) سورة القصص ٧٩ .

[٤٦] قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بِقُضَّتِهِ لِيَنْعَشِ ظَهِيرًا ﴾^(١) فان المعنى - والله أعلم بمراده - لو بروزت الجن واجتمعوا معهم الإنس وتظاهروا ، وبدل كل منهم ما في وسعه للإثنان بمثل القرآن في حسن نظمه وبلاغته ، فإن كل ما يأتيون به - على فرض وجوده - لن يكون مثل القرآن. وليس المعنى في هذه الآية نفي مماثلة ما يأتي به الجن للقرآن ، وما يأتي به الإنس - أيضا - للقرآن . لأن قرائن السياق من قوله : لئن اجتمعوا الإنس والجن .. وقوله : ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - تدل على أن المعنى نفي كون ما يأتيون به مماثلا للقرآن.

ويجري - أيضا - هذان الوجهان فيما كان فيه الحكم عليه بالمماثلة مفردا والممثل به مثنى أو جمعا ، مثل : مررت برجل مثلكما أو مثلكم. أي هو مثل لكل واحد ، أو مثل لهم جميعا .
ومن شواهد ذلك :

[١٢] قوله تعالى : ﴿ مَا كَرَّاكُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلًا ﴾^(٢) أي أنت قابل كل واحد منا في البشرية .

وعلى الوجه الثاني [٣٠] قوله تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثِيَنِ ﴾^(٣) فالمعنى - والله أعلم - أي للذكر نصيب مماثل لما تأخذه امرأة وأخرى . فالمضاف الممثل به وهو (حظ) في معنى المثل لكونه مضافا إلى الانثيين فهو في تأويل حظين ماثلهما معا حظ الذكر .

^(١) سورة الإسراء ٨٨.

^(٢) سورة هود ٢٧.

^(٣) سورة النساء ١١.

صيغة المثلية :

إذا جاءت (مثل) بصيغة التثنية فإن للمحكوم عليه بالمثلية إحدى حالين: أن يكون واحدا لا تعدد فيه ، مفردا كان أو جمعا منظورا إليه باعتباره وحده شيئا واحدا . أو أن يكون متعددا بلفظ المثل أو على سبيل العطف.

الحالة الأولى : وتدل (مثل) فيها على الحكم بالماللة على سبيل الضعف ، فتكون مرتبطة بالأعداد والمقادير.

والشاهدان اللدان جاءا في القرآن الكريم هذه الحالة هـا :

٦٨ - قوله تعالى: **فَذَكَرْنَاهُ كَذِيفَةً فِي لَفْتَنِ التَّقْنَافَةِ ثُقَالِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَى كَافِرَةً يَرَوْتُهُم مُثْلِيهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤْيِدُ بِنَصْرِهِ مَنِ يَشَاءُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لَا وَلِيَ الْأَبْصَارِ**^(١) (يروهم مثليهم) المعنى - والله أعلم - ترون أيها المؤمنون الكافرين مثل أفسهم في العدد ليكون ذلك أبلغ في الآية. أو يرى المشركون المسلمين مثل عدد المشركين ليهابوهم ويحيطوا عن قوائمهم^(٢). فضعف المثلية مرتبط بالعدد .

٦٩ - قوله تعالى: **أَوْ لَمَّا أَصَابَتُكُمْ مُصِيَّةً فَذَاصَبْتُمْ مُثْلِيهَا فَلَمْ أَلِهَّ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**^(٣) (أصبتهم مثليها) أي ضعف مقدارها من القتل والأسر بفضل الله تعالى . ورحمته لكم^(٤).

الحالة الثانية : أن يكون الحكم عليه متعددا ، ف تكون (مثل) للدلالة على المثالثة بين أفراد الطرفين . وهذا مثل:

(١) سورة آل عمران ١٣.

(٢) ينظر الكشاف ٤١٥/١ والبحر المحيط ٣٩٤/٢.

(٣) سورة آل عمران ١٦٥.

(٤) ينظر البحر المحيط ١٠٦/٣.

أنتما مثلان ، وزيد و خالد مثلان . فالحكم هنا بمقابلة كل واحد منها للآخر .

ونقول : من زيد و خالد بمثيلهما . أي بргلين كل رجل منها يماثل واحداً منها ، أو رجلين معاً يماثلان زيداً و خالداً معاً . وليس هذه الحالة شواهد في القرآن الكريم .

صيغة الجمع :

ذكر أبو حيان صحة مجيء (مثل) مفردة ومثنى ومجموعة مع كون الحكم عليه بما مثني أو جمعاً ، مع كون إفرادها على نية التثنية أو الجمع . وعبارته : "ومثل يوصف بما المفرد والمثنى والجمع ، كما قال تعالى : ﴿أَئُؤْمِنُ بِإِبْرَاهِيمَ﴾^(١) مثناه^(٢) وتحوز المطابقة في التثنية والجمع كقوله تعالى : ﴿لَمْ لَا يَكُوْنُوا مِثْلَكُم﴾^(٣) ﴿وَخُورَ عِينٍ﴾^(٤) كأنما^(٥) ﴿اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُون﴾^(٦) وإذا أفرد وهو تابع لمعنى أو مجموعة فهو بتقدير المثنى والجمع ، أي مثلين وأمثال ... " .

هذا كلامه ولم يتعرض فيه لما وراء الجيء بما مطابقة أو غير مطابقة من نكات . وقد نقدم لنا الحديث عن مجبيتها مفردة ومثنى . وبقى أن نعرف نكتة الجيء بما مجموعة في شواهدها السبعة في القرآن الكريم .

والذى يedo من الإحساس بالمعنى لهذه الشواهد بمعونة القرآن أنها جاءت بصيغة الجمع للمعنى الآتية :

^(١) سورة المؤمنون . ٤٧ .

^(٢) سورة محمد . ٣٨ .

^(٣) سورة الواقعة . ٢٢ ، ٢٣ .

^(٤) البقر الغيط . ٢٠٨/٥ .

الأول : تضييف العدد :

[٢٢] قال تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَلَا يُعْزَزُ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١).

(فله عشر أمثالها) جاءوت (مثل) بصيغة الجمع لمناسبة تضييف الجزاء المدلول على عدده بلفظ (عشر) وليس (أمثالها) في الأصل غيرًا للعدد عشر فيقال : أن هذا هو الذي اقتضى صيغة الجمع . لأن (أمثالها) في الأصل صفة للتمييز المخلوق . قال الزمخشري : " عشر أمثالها - على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف ، تقديره عشر حسنتين أمثالها"^(٢) .

إذا لا يتعين في الأصل مجيء (مثل) جمعا ، لأنه لو قيل في غير القرآن الكريم : عشر حسنتين مثلها جاز ، لكن الجيء بالجمع فيه مراعاة لتكثير الجزاء وتضييفه ، والله أعلم.

الثاني : الدالة على أنواع الجنس :

أت (مثل) بصيغة الجمع لتدل على الجنس وأنواعه بمساعدة المقام والسياق فيما يأتي :

- ٧٠ - قال تعالى ﴿وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَتِهِ إِلَّا أَمْمَ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ فَمَإِلَى رَبِّهِمْ يَعْشَرُونَ﴾^(٣) .
المجيء بصيغة الجمع (أمثالكم) لإفادته ما يدل عليه الجمع من تنوع أفراده بخصائص وصفات مختلفة . ذلك لأنه لو قيل في غير القرآن الكريم : إلا أمم مثلكم بصيغة الفرد المنوى بها الجمع لدللت على المثلية في الأمة فقط . أما صيغة الجمع (أمثالكم) فقد دلت مع دلالتها على التعدد على تنوع أمم جنس

(١) سورة الأنعام . ١٦٠

(٢) الكشاف . ٦٤ / ٢

(٣) سورة الأنعام . ٣٨

الدواب وأمم جنس الطير، كما تتنوع الإنسان إلى الأمم المختلفة في الحسنه والمعادن وسائر الصفات.

٧١- قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيُنَظِّرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الدِّينِ مِنْ قَبْلِهِمْ ذَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أُمَّا لَهُمَا فَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ (١)﴾.
 (أمثالها) قال الزمخشري : "الضمير للعاقبة المذكورة، أو للهلكة، لأن التدمير يدل عليها، أو السنة لقوله عز وعلا: سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ خَلَوْا... (٢)، (٣)." .

وإذا كان الضمير عائدا إلى العاقبة المضافة إلى الدين من قبلهم ، وهؤلاء قد تنوّعت العقوبات لهم تبعاً لاختلاف معاصيهم كان في مجتمع صيغة الجمع (أمثالها) دلالة على تنوّع عقوبة الكافرين التي تتّظرهم جزاء كفرهم ، وما يصنعون.

[٥١] قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدْرُكُمْ بِيَنْتَكُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أُمَّالَكُمْ وَتُنَشِّكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٤)﴾
 مما قاله الزمخشري في بيان المعنى : أمثالكم - جمع (مثل) أي على أن تبدل منكم ومكانتكم أشباهكم من الخلق... . (٥).

وللحجّم هنا دلالة على تنوّع أفراد المجتمع . في سياق بيان قدرة الله تعالى على أن يأتي مكان كل واحد منكم بغيره مما له صفاته الخلقية والخلقية . فمجيء (مثل) بصيغة الجمع للحاجة هذا التنوّع في طرق المبالغة . والله أعلم.

(١) سورة محمد صلى الله عليه وسلم . ١٠ .

(٢) سورة الأحزاب . ٣٨ ، ٦٢ .

(٣) الكشاف . ٥٣٢/٣ .

(٤) سورة الواقعة . ٦١ ، ٦٠ .

(٥) الكشاف ٤ / ٥٦ .

[٥٢] قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَلْقَنَا مُّهَاجِرِينَ إِذَا هَبَطْنَا بَدْنَنَا أَنْشَأْنَاهُمْ تَبَدِيلًا ﴾^(١) أى نبدل أمثالهم في الخليقة ، وعلى اختلاف أنواعهم في صفاتهم وهيئاتهم التي هم عليها .

[٦٥] قال تعالى : ﴿ هَذَا أَنْتُمُ الْمُهَاجِرُونَ لَذِعْنَانَ لَتَفَقَّدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْكُمْ مُّنْ يَتَخَلَّ وَمَنْ يَتَخَلَّ فَإِنَّمَا يَتَخَلَّ عَنْ لَفْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْفَقَاءِ وَإِنْ تَوَلُّوْا يَسْتَبِدُّ لَقَوْمًا غَيْرَ كُمْ لَمْ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾^(٢) .

(ثم لا يكونوا أمثالكم) المثالثة في هذه الآية على سبيل النفس أى لا يكونوا أمثالكم في الخلاف والتولى والبخل ^(٣) .

فصيحة الجمع بدلاتها على الأفراد تدل على تنوع هذه الأفراد بالاتصال بهذه الصفات . أى أن الله قادر على أن يأتي بقوم غيركم لا يكون فيهم ما في أشخاصكم من الصفات المختلفة التي يتصف بها بعضكم على تباينكم فيها .

الثالث: إظهار المثالثة بين أفراد الطرفين :

[٦٧] قال تعالى : ﴿ وَخُورَ عَيْنٌ * كَامِشَالُ الْلَّؤْلُؤُ الْمَكْتُونُ ﴾^(٤) (كامتال اللؤلؤ) بجيء (مثل) بصيحة الجمع فائدة إبراز المثل به في صورة أفراده التي تتشابه مع بعضها في وجه المثالثة بينها وبين الحور . لأنه لو قيل في وصف الحور في غير القرآن الكريم : وحور عين مثل اللؤلؤ المكتون دلت (مثل) عندها على مثالثة الحور لللؤلؤ . لكن بجيء صيحة الجمع (أمثال) في الآية الكريمة دلت على تعدد الصور المشاهدة التي حصل التمثيل بها . فالكلمة عندها دلت على جهتين من المثالثة : مثالثة الحور لللؤلؤ بمادة الكلمة (مثل) ومثالثة كل حورية لأنتها بصيحة الجمع .

(١) سورة الإنسان . ٢٨ .

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم . ٣٨ .

(٣) ينظر البحر الطيب . ٨٦/٨ .

(٤) سورة الواقعة . ٢٢، ٢٢ .

وللقرطبي - رحمة الله عند تفسير الآية عبارة تبرق بهذا المعنى، قال: «أى هن تشكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن كما قال الشاعر:»
 كأنما خلقت في قشر لوز
 فكل أكتافها وجه لم يصاد^(١)

وما هو من هذا القبيل قول بنت ليبد بن ربيعة:

دعونا عند هبتها الوليـدا	اذا هبت رياح أبي عـقـيل
أعـانـا عـلـى مـرـوـءـتـه لـيـلـدا	أشـمـ الأـنـفـ أـصـمـ عـبـشـمـيـا
عـلـيـهـا مـن بـقـيـ حـامـ تـعـوـدـا	بـأـمـثـالـ الـهـضـابـ كـانـ رـكـبا

فأمثال - هنا - تضع في مرأى العين صور النياق وقد خاللت تماثل الهمضاب.

زيادة (مثل)

القول بوجود كلمات زوائد في القرآن الكريم قديم^(٢). وقد يكون منها القول به الوقوف عند معنى التركيب خاليا من الكلمة ثم النظر إليه مشتملا عليها في إطار معناه وهو حال منها، دون مراعاة اختلاف التركيبين وتبسيط المعنى فيما. وقد ناقش القول بالزيادة كثير من العلماء المحققين^(٣) وانتهوا إلى رفضه. لأن القول بالزيادة مبناه عدم إفادته معنى «وغير جائز أن يكون في كتاب الله تعالى شيء لا معنى له»^(٤) لأنه إذا كان كل لفظ في الكلام أهل الطبع أصل فيه، لا يستغنى عنه فما بالنا بالقرآن الكريم.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٣٧٥.

(٢) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعان القرآن للفراء، ومفاتيح مشكل القرآن لابن قتيبة في مواضع منها.

(٣) ينظر جامع البيان للطبرى، والكشف للمخترى، ومفاتيح القيب للرازى وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية للراوى والباب العظيم للدكتور دراز.

(٤) جامع البيان للطبرى ٢/٢٨.

وعليه فلا يقال: ان لفظا ما زال في موضعه لأننا نقول: ما دام المعنى لا يتم إلا به لكونه عند وجوده غيره عند عدمه - فلن لفظ لا يعد زالدا، لأن توقف المعنى عليه ودعوى زيادته ضرب من المانعنة واللغو، إذ لا فرق بين ما يقتضيه المعنى وما هو أصل في الترکيب.

فالحق أنه لا يمكن قبول القول بالزيادة إلا على معنى أن الكلمة أفادت معنى زائداً عما كان عليه قبل مجئها. وهذا - وإن كان بعيداً عن مقصدتهم - هو المناسب لتسميتهم ما يزيد من الحروف حروف المعنى.

وقد قيل: بزيادة (مثل) في الآية الكريمة الآتية:

٧٢ - قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَلَقَدْ اهْتَدُوا وَإِنْ تُوَلُُوا فَإِلَّا مَا هُمْ فِي شِقَاقٍ لَسَيْكُفِّرُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١)
 حكى أبو حيان القول بزيادة (مثل) في الآية قالا: « وأما (مثل) فقيل:
 زالدة. والتقدير: فإن آمنوا بما آمنتكم به. قالوا: كهيء ل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمُطْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) أي ليس ك فهو شيء»^(٣) وما يستدل به على القول بزيادة ما روی من قراءة ابن عباس وابن مسعود (بما آمنتكم به) وقراءة أبي (بالذى آمنت
 به)^(٤).

لكنهم قالوا: إن هاتين القراءتين شاذتان^(٥) وحكي الطبرى إجماع القراء على تركها، وما رواه الطبرى يدل على أن ابن عباس لم يقصد نفي قراءة (فإن آمنوا بمثل ما آمنتكم به) وإنكار وجود مثل، وإنما أراد تأويل الآية. قال الطبرى:

(١) سورة البقرة ١٣٧.

(٢) سورة الشورى ١١.

(٣) البحر الهبيط ٤١٠/١.

(٤) ينظر الكشاف ٣١٥/١ والبحر الهبيط ٤٠٩/١.

(٥) ينظر مختصر شواذ القرآن من كتاب الدليل لابن خالوية ١٧.

«قال ابن عباس: لاتقولوا ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتكم به فقد اهتدوا) فانه ليس الله مثل.» ولكن قوله: فإن آمنوا بالذى آمنتكم به فقد اهتدوا، أو قال: فإن آمنوا بما آمنتكم به. فكان ابن عباس فى هذه الرواية - إن كانت صحيحة عنه - يوجه تأويل قراءة من قرأ (فإن آمنوا بمثل ما آمنتكم به)... « ولو قال يوجد المعنى لكان أولى من قوله قراءة من قرأ. ثم يرتضى الطبرى تأويلا آخر مبناه أن (مثل) ليست زائدة، لكنه يعتبر التشبيه بين الإيمانين لا بين من تحقق الإيمان به. قال: « وإنما معناه ما وصفنا، وهو: فإن صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به من جميع ما عدتنا من كتب الله وأنبئاته - فقد اهتدوا. فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإنما هؤلاء. كقول القائل: مر عمرو بأخيك مثل ما مررت به. يعني بذلك: مر عمرو بأخيك مثل مرورى به. والتمثيل إنما دخل تمثيلا بين المروين، لا بين عمرو وبين المتكلم. فكذلك قوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتكم به) إنما وقع التمثيل بين الإيمانين لا بين المؤمن به»^(١).

وقد ذهب الزجاج - أيضاً - إلى ذلك قائلاً: «فإن قال قائل: هل للإيمان مثل هو غير الإيمان؟ قيل له: المعنى واضح بين. وتأويله: فإن أتوا بتصديق مثل تصدقكم وإيمانكم بالأنباء ووحدوا كتوحيدكم فقد اهتدوا، أى فقد صاروا مسلمين مثلكم»^(٢). وهذا يكون القول بالزيادة على الباء.

ويرى الرحمنى أن المثلية بين المؤمن به، لا على كون تتحقق المثلية حقيقة وإنما على سبيل الفرض والتبيكىت، مستدلاً على ذلك بالسياق والمقام، من مجيء (إن) المفيدة للشك، وافتراض وقوع الشرط المستحبيل في مقام إقامة الحجة والبرهان. قال: « - بمثل ما آمنتكم به - من باب التبيكىت لأن دين الحق واحد

(١) جامع البيان ١/٥٦٩.

(٢) معان القرآن واعرابه للزجاج ١٩٥/١

لا مثل له ، وهو دين الإسلام (وَمَن يَتَّخِذُ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُفْلِحَ مِنْهُمْ) ^(١) فلا يوجد إذا دين آخر يخالف دين الإسلام ، في كونه حقاً، حق إن آمنوا بذلك الدين المماطل له كانوا مهتدين: فقيل: فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير، أى فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا. وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغایر له غير مماثل، لأنه حق وهمى وما سواه باطل وضلال. ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه. هذا هو الرأى الصواب، فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به، وقد علمت أن لا رأى وراءه ^(٢).

وعلى ما ذهب إليه تكون (مثل) غير زالدة. إذا لا محل للاحتجاج باستحالة وجود مثل لاعتبارها زالدة. لأن مثل وإن كانت في معناها حقيقة إلا أن المثل وجوده على سبيل الفرض والتقدير.

وبعد أن يذكر أبو حيان ما يفيده كلام الطبرى والزمخشري يذكر رأيا ثالثاً مقاده أن (مثل) مزيدة في المعنى دون اللفظ.

يقول: «وقالت فرقه: هذا من مجاز الكلام، تقول: هذا أمر لا يفعله مثلك، أى لاتفعله أنت، والمعرفة: فإن آمنوا بالذي آمنتم به، وهذا يؤول إلى إلحاد مثل وزيا遁ها من حيث المعنى» ^(٣).

وهذا الرأى هو طريق الكتابية، لأن الإيمان بمثل ما آمن به المسلمين يستلزم الإيمان بما آمن به المسلمين بما لما تقتضيه قاعدة المثلية، من كون ما يثبت لأحد المثليين يثبت للأخر. والله أعلم.

(١) سورة آل عمران ٨٥.

(٢) الكشاف ٣١٥/١

(٣) البحر الضيق ٤١٠/١

مجيء (ممثل) للتشابه:

قد تأتي (مثل) للدلالة على مثائل أمرين في معنى دون نظر عند الحكم بها إلى زيادة أو نقصان، وعندما تكون كذلك فإنما تدخل في باب التشابه والتماثل وشهادتها في ذلك من القرآن الكريم ست آيات سنذكرها إن شاء الله تعالى في مبحث التشابه.

٢- كلمة (شبه) وما تفرع منها:

الأصل في مادة (شبه) الدلالة على المشاركة في الصور والكيفيات المشاهدة. حكى ابن منظور في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَتُوا يه مُتَشَابِهِا﴾^(١) أن «أهل اللغة قالوا: يشبه بعضه ببعضًا في الجودة والحسن، وقال المفسرون: يشبه بعضها في الصورة ويختلف في الطعم ودليل المفسرين قوله تعالى: (هذا الذي رزقنا من قبل) لأن صورته الصورة الأولى لأن اختلاف الطعم مع الفاق الصورة أبلغ وأغرب عندخلق..... ونقول: في فلان شبه من فلان»^(٢). الشبه إذا - في الكيفيات^(٣) وأصل استعماله فيما يشاهد بان يكون الطرفان حسين. قال لبيد بن ربيعة يصف ناقته:

كعقر الماجرى إذا بناه
بأشباء حدين على مثال^(٤)

يصف ناقته في ضخامتها بالقصر، وقد بني بمحارة على صورة واحدة تراصت على نظام واحد.

(١) سورة القراءة ٢٥

(٢) لسان العرب ٢١٩٠ .

(٣) ينظر المفردات للراشبي ٢٥٤ .

(٤) البيت في الشعر والشعراء ٢٨١ - ٢٨٢ - والمقر: القصر الذي يكون معبدا لأهل القرية. والماجرى: البناء.

و (شَيْءٌ) في هذا تَخَالُفٌ (مثُلُّ) الْقِيْقَنِ تَكُونُ فِي الْفَسُوسِ وَغَيْرِهِ. وَبِذَلِكَ يُقَالُ:
الْسَّوَادُ شَبَهُ السَّوَادَ، وَلَا يُقَالُ الْقُدْرَةُ شَبَهُ الْقُدْرَةَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ مِثْلُهَا^(١).
وَمَا يَشَهِدُ لِذَلِكَ -أيضاً- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ دُبُّهُ لَهُمْ﴾^(٢) لَفَدَ أَرْجَعَ
الْفَسُورُونَ مَعْنَى (شَيْءٍ) إِلَى الشَّبَهِ فِي الْحَسْنِ الْمُشَاهَدِ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: «عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: الْقِيْقَنُ شَبَهٌ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُحَاوِرِينَ
فَقُلْ﴾^(٣) وَقَالَ الرَّجَشْنَرِيُّ: «شَبَهٌ لَهُمْ مِنْ قَطْوَرَهُ»^(٤).

وَقَدْ اسْتَعْمَلَتِ الْمَادَةُ فِي الْأَمْرِ الْمُعْنَوِيِّ عَلَى سَبِيلِ التَّوْسِعِ يُقَالُ: بَيْنَهُمْ أَشَابَهُ،
أَيْ أَمْرٍ يَتَشَابَهُونَ فِيهَا. وَأَشَبَهُتِ الْأَمْرُ وَتَشَابَهَتِ الْأَيْمَنُ لِأَشَابَهِ بَعْضَهَا
بعْضًا. وَالشَّبَهَةُ أَنْ لَا يَتَمَيَّزَ أَحَدُ الشَّتَّىْنِ عَنِ الْآخَرِ عِنْهَا كَانَ أَوْ مَعْنَى^(٥).

وَتَتَوَعَّدُ دَلَالَةُ الْمَادَةِ بَعْدَ الصِّيَفَةِ، فَتَسْتَعْمِلُ صِيَفَةَ أَشَابَهُ وَيَشَابَهُ، وَمَا يَتَفَرَّغُ
مِنْهُمَا عَنْ قَصْدِ الْحُكْمِ بِالْمُشَاهَدَةِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَرِمَالَةُ شَبَهَتِهَا إِذْ رَأَيْتَهَا بَشَدِي كَعَابَ أَوْ بَحْتَةَ مَرْمَرٍ^(٦)
وَتَسْتَعْمِلُ صِيَفَةَ (تَشَابَهٍ) وَمَا يَتَفَرَّغُ مِنْهَا عَنْ الْحُكْمِ بِوَقْعِ الْمُشَاهَدَةِ مِنْ
الْعَرْفَيْنِ كُلِّ الْآخَرِ. كَفُولٌ إِبْرَاهِيمُ الصَّابِيُّ:

(١) يَنْظُرُ الْفَرْوَقَ فِي الْلَّفْظِ ١٤٨.

(٢) سُورَةُ النَّسَاءِ ١٥٢.

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ ١٤/٦.

(٤) الْكَشَافُ ١/٥٨٠ وَيَنْظُرُ الْبَحْرُ الْهَبِطُ ٣٩٠/٣.

(٥) يَنْظُرُ مَادَةَ (شَيْءٍ) لِسَانُ الْعَرَبِ، أَسَاسُ الْبِلَاغَةِ، الْمَفْرَدَاتِ.

(٦) الْبَيْتُ لِأَسْرَارِ الْبِلَاغَةِ ١٧٠.

تشابه دمعي إذ جرى ومدامقى فمن مثل ما في الكأس عيق تسكب
 فوالله ما أدرى أبا خمر عيق أسلت جفونى أم من عبرتى كنت أشرب^(١)
 وتأتى (شىء) للحكم بالمشاهدة بين المتفقين في الجنس وال مختلفين.
 أما (شيء) ف تكون بين المتفقين في الجنس. قال أبو هلال العسكري: «الفرق
 بين الشيبة والشبيه أن الشيبة أعم من الشيبة. لا تراهم يستعملون الشيبة في كل
 شيء، وقلما يستعمل الشبيه إلا في المتجانسين. نقول: زيد يشبه الأسد، أو شبه
 الكلب. ولا يكادون يقولون: شبيه الأسد، أو شبه الكلب. ولا يكادون يقولون:
 شبيه الأسد وشبيه الكلب. ويقولون: زيد شبيه عمرو»^(٢).
 وعليه يكون قول القائل: زيد شبيه الأسد - فيه ادعاء كمال المشاهدة
 وصيرونهما جنسا واحدا.

من قبيل ذلك قول ابن الرومي:

ن وفى بعد النزال	يا شبيه البدر فى الحسـ
ـرة بالماء الزلال ^(٣) .	جد فقد تفجـر الصـخـ

وصيغة (أشبه، ويشابه) وما تفرغ منها مـا يـفـيدـ الحـكـمـ بـالـمـشـاهـدـةـ لـمـ يـأتـ لـهـ
 شـواـهـدـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ. أـمـاـ صـيـغـةـ (تشـابـهـ)ـ وـمـاـ تـفـرـغـ مـنـهـاـ مـاـ لـيـفـيدـ الحـكـمـ
 بـالـمـشـاهـدـةـ إـنـماـ يـفـيدـ الحـكـمـ بـالـتـشـابـهـ فـلـهـ شـواـهـدـ كـثـيرـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، سـنـذـكـرـهـاـ
 فـيـ الـمـبـحـثـ الـذـيـ عـقـدـنـاهـ لـتـشـابـهـ.

(١) البيان في التبيان للطبي ٢٠٣ وشرح التلخيص ٤١٢/٣.

(٢) الفروق لـ اللهـةـ ١٤٦.

(٣) البيان في أسرار البلاغة ٢٣٥.

٣- مادة (ساوى):

تدور أكثر صيغ المادة حول معنى الاعتدال والاستقامة أو قريب من ذلك^(١).

وحقيقة (الساوى) ما يشارك في الكمية، وتساوي في المقدار^(٢).

وقال الراغب: المساواة المعادلة المعتبرة بالوزن والذرع والكيل. يقال: هذا ثوب مساو للذاك الثوب، وهذا البرهم مساو لهذا الترهم، وقد يعبر بالكيفية، نحو: هذا السواد مساو للذلك السواد....^(٣).

وقيل: إنما تدل على المشاهدة من كل وجه^(٤) لكن الآية التي ستأتي تخالف ذلك.

وصيغ المادة تكون للدلالة على التشابه عندما تكون غير متعددة لمعنى الرأفة فاعلين. وستأتي شواهد صيغها في ذلك في مبحث التشابه.

أما إذا جاءت الصيغة متعددة إلى مفعول ب نفسها مثل: (ساوى) أو بالباء، مثل (سوى) فإنما تدل على التسوية بين الشيئين، يقال: «ساوى الشيء الشيء إذا عادله»^(٥). وكذلك سواه به.

وتحتاج شواهد المادة في القرآن الكريم جاءت بصيغ التشابه. ما عدا آية واحدة جاءت فيها كلمة (سوى) للدلالة على الحكم بالتسوية.
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ إِذْ لَسْوِيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

(١) ينظر لسان العرب ٢١٦٠ وما بعدها وأساس البلاغة ٢٢٦ وما بعدها.

(٢) ينظر الفروق ١٤٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن ٢٥١.

(٤) ينظر عروس الأتراح شروح ٣٩٣/٣.

(٥) لسان العرب ٢١٦١.

(٦) سورة الشعراء ٩٨-٩٧.

قال الطبرى: «يقول الفارون الذين يعبدونهم من دون الله والله إن كنا لفسي
ذهب عن الحق حين نعذلكم برب العالمين، فتعذلكم من دونه»^(١).
وجاء في البحر المحيط «قال ابن عطية: أقسموا بالله إن كنا إلا ضالين في أن
نعبدكم، وإن جعلكم سواء مع الله تعالى، الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم،
انتهى»^(٢).

فالفعل (سوى) دل على التسوية، أى تسوية الآلة التي يعبدونها بالله تعالى،
والتي أنكروها بعد ما تبين لهم ضلالهم.

و واضح أن التسوية في الآية ليس مراداً بها أصل حقيقتها من المشاركة في
الكمية والتساوي في المقدار. وإنما المراد بها المعادلة في معنى هو العبادة لخلق مع
الله تعالى، وتسوية الآلة به. فيكون استعمالها مجازاً، أو تكون صارت حقيقة
بكثرة استعمالها في مشاهدة في صفة على حد سواء.

٤- مادة (شكل):

تدور تصاريف مادة (شكل) وتفرعاتها في معاجم اللغة حول الشبه في
الصورة، فشكل الشيء صورته المحسوسة، أو المترسمة، وتشكل الشيء تصور،
وشكّله صوره، وإذا اشتد الالتفاق في الصورة أشكلت على الناظر إليها
والتبست، فلا يستطيع أن يميز بين المشاكلين^(٣).

ويفرق الشكل عن المثل من جهتين: الأولى: ان (شكل) تكون عند الالتفاق
في أكثر الصفات التي تشكل، و(مثل) تكون في أكثر الصفات التي لا تشكل.

(١) جامع البيان ١٩/٨٨.

(٢) البحر المحيط ٧/٢٧.

(٣) ينظر لسان العرب ٢٣١٠ وما بعدها وأساس البلاغة ٢٤٠ والفرق ١٤٨.

الأخرى: أن (مثل) تكون في الحسیات والمعنیات، آما (شكل) فلا تكون الا في الصور. يقال : هذا الطائر شكل هذا الطائر، ومثله. ولا يقال: الحلاوة شكل الحلاوة، وإنما يقال: مثيلها^(١).

وتفترق كلمة (شكل) عن (شبة) أعمما وأن كانا تسعملان للدلالة على الاتفاق في الصورة إلا أن الشكل يراعي فيه المقدار والأبعاد، بخلاف (شبة) فإنه لا يراعي معها ذلك . قال الراغب : الشكل يقال فيما يشارك في القدر والمساحة فقط^(٢).

وما يجعی موهمًا اتفاق الثلاثة عند بيان المعنى — كقول ابن منظور: (الشكل الشبه والمثل)^(٣). إنما هو من إطلاق المعان المترابطة على بعضها على سبيل التوسيع، بحكم ضرورة البيان والشرح.

و (شكل) وما يشتق منها مما له فاعل ومحض، كمشاكل ويشاكل، ومشاكل تدل على الحكم بالمشاكلة، أما ما ياتي لازما دالا على وقوع الفعل من النين أو أكثر، ومشاكلة كل واحد منها للآخر فهو من باب الحكم بالمشاكلة والتشابه، وليس من باب الحكم بالمشاكلة من أحد هما للآخر.

وقد جاء في القرآن الكريم من المادة صيغتان:

الأولى: صيغة (شكل) وقد جاءت في آية واحدة.

قال تعالى: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾^(٤).

فيعد أن ذكر الله سبحانه وتعالي من أنواع العذاب التي تصيب الكافرين كالحريم والفساق - أخبر جل وعلا: أن فيه أنواعا أخرى على شكل الفساق وصفته المشاهدة.

(١) ينظر الفروق ١٤٨.

(٢) المفردات ٤٦٢.

(٣) لسان العرب ٢٣١٠.

(٤) سورة ص ٥٨.

وعبارة الطبرى في بيان معنى (شكل) تغلى إلى أصل دلالتهما على الصورة المشاهدة، قال: «وعذاب آخر من الحميم ألوان وأنواع»^(١). أما الزمخشري فينحوها إلى معنى (مثل) في الأمور المعنوية يقول: «ومذوقات آخر من شكل هذا المذوق، من مثله في الشدة والقطاعة»^(٢)، وذكر مثله أبو حيان^(٣).

وقد جاءت كلمة (شكل) مستعملة في الأمور المعنوية في قول امرئ القيس:

حى الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلى^(٤).
أى لا يلائم مذهبها مذهبى ومسلكى. وقد تكون الكلمة (شكل) بكسر الشين بمعنى الدل والأنس^(٥).

(الصيغة الثانية) صيغة (شاكلة):

قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٦).

قال الطبرى: «على شاكلته على ناحيته وطريقته»^(٧). وقال الزمخشري: «أى على سجيته وطريقته التي تشاكل حالة في الهدى والضلال»^(٨). فهذه الآراء دالة على أن الصيغة لا يراد بها الحكم بالمشاكلة وإن أفادتها.

(١) جامع البيان ١٥٤/٢٥.

(٢) الكشاف ٣٧٩/٣.

(٣) ينظر البحر الخيط ٤٦/٧.

(٤) ديوان امرئ القيس ١٢٩ وفية أنها تروى لامرئ القيس بن عابس الكندى والحملول: الأهل وما عليها من الموارد. والعزل ماء بين البصرة واليمامة.

(٥) ينظر لسان العرب ٣٣١٠ والمفردات ٢٦٦.

(٦) سورة الإسراء ٨٤.

(٧) جامع البيان ١٥٤/١٥.

(٨) الكشاف ٤٦٤/٢.

وكلمة (شاكلا) و (شاكلاه) بمعنى. قال زهير بن أبي سلمي:

تازعت المها شبها ودر المسو رو شاكلاه فيها الظباء^(١).
أى فيها من البقر العيون، ومن الدر الصفاء، ومن الظباء طول العنق.

٥- مادة (عدل):

تلذور جميع تصاريف مادة (عدل) حول معنى أصلى هو الاعتدال والاستقامة «حساً أو معنى»^(٢). وإن اختصت كل صيغة منها بدلالة معينة. بل قد تتسع دلالة الصيغة الواحدة بمساعدة المقام والسياق. وذلك كان يدل المقام على أن المقصود بكلمة (العدل) عدم الجور، أو الاستقامة، أو الفداء..... أو يشتمل السياق على حرف جر، أو ظرف فت Dell الكلمة على معنى من المعانى. مثل: عدل بالله غيره، أى أشرك، وعدل عن الطريق، أى مال وحاد، وعدل عن الحق: أى جار. وعادل بين الشيئين: أى سوى بينهما. وهكذا....

وفي اللسان «العدل والعدل والعديل سواء، أى النظير والمثيل، وقيل: هو المثل، ليس بالنظير عينه، وفي التنزيل «أو عدل ذلك صياماً»... ثم قال والعدل الذي يعادل في الوزن والقدر. قال ابن بري: يشترط الجوهري في العديل الذي يكون إنساناً مثلاً، وفرق سيويه بين العديل والعدل (بالكسر) فقال: العديل ما عادل ذلك من الناس، والعدل لا يكون إلا للمنع خاصة. فبين أن عديل الإنسان لا يكون إلا إنساناً مثلاً، وإن العدل لا يكون إلا للمنع»^(٣).

ويفهم من كلام سيويه أن كلمة عديل تكون بمعنى (مثلاً) لأما في المستفيدين ذالاً، وكذلك العدل (بالكسر) إلا أاما في العروض، أما في العدل (الفتح) فلا يتعين الاتفاق في الجنس.

(١) البيت في الشعر والشعراء ١٤٠/١.

(٢) ينظر لسان العرب ٢٨٣٨ وما بعدها.

(٣) لسان العرب ٢٨٣٩.

لكن الراغب فرق بين العدل والعدل من ناحية العقلية والحسية، فقال: «والعدل والعدل يتقاربان، لكن العدل (بالفتح) يستعمل فيما يدرك بالبصرة، كالأحكام، وعلى ذلك قوله: «أو عدل ذلك صياماً» والعدل العديل فيما يدرك بالحسنة، كالموزونات والمعدودات والمكيلات»^(١). وفرق أبو هلال العسكري بين المثل والعديل قائلاً: «الفرق بين المثل والعديل أن العديل ما عادل أحکامه أحکام غيره، وإن لم يكن مثلاً له في ذاته، وهذا سمي العدلان عدلين وإن لم يكونا مثليين في ذاقهما ولكن لاستوانهما في الوزن فقط»^(٢).

ومادة (عدل) على اختلاف صيغها جاءت في القرآن الكريم في أربع وعشرين آية^(٣) وصيغها وإن دلت كلها بأصل المادة على المساواة والمعادلة. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعْدِلُنَّ كُلُّ عَذْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾^(٥). إلا أن الذي يهمنا منها ما يدل على الحكم بالمعادلة والتسوية بين شتى في أمر حسي أو معنوي، مستقين في الجنس أو مختلفين، وعند زيادة أحد هما ونقصان الآخر وإلحاقه بذلك الزائد، دون غيرها من الصيغ.

وقد جاءت في الآيات الآتية:

١- قال تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَلَعْنَاءَ مُّثْلُ مَا قَاتَلَ مِنَ النَّعْمَ يَخْكُمُ بِهِ ذُوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَذِهِنَا بِالسَّاعَةِ الْكَعْبَةُ أَوْ كَفَارَةً طَغَامُ مَسَاكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَدُوقَ وَيَالَّا أَمْرُهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَتَقْبِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُرِّ التِّقَامِ﴾^(٦).

(١) المفردات .٣٤٥.

(٢) الفروق في اللغة .١٤٨.

(٣) تنظر مادة عدل في معجم الألفاظ القرآنية.

(٤) سورة النساء .١٢٩.

(٥) سورة الأنعام .٧٠.

(٦) سورة المائدة .٩٥.

جات صيغة (عدل) في الآية الكريمة مرتين:

الأولى: (ذوا عدل منكم). والمراد بكلمة (عدل) النصفة في الحكم والعدل الذي قوامه التسوية بين الخصوم عند الحكم. ولا يدخل هذا شاهدا فيما نحن بصدده.

الآخرى: (أو عدل ذلك صياما) والمراد - والله أعلم - جعل التكfir بالصوم معادلاً ومساوياً لما قتل من النعم، أي قيمته أو قيمة طعام المساكين. وهو الشاهد المراد من الآية الذي يلحق فيه الناقص بالكامل بتعادل به.

وقرئ (عدل) بالكسر، قال الزمخشري: «وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين. والفرق بينهما أن عدل الشيء (بالفتح) ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام. وعدله ما عدل به في المقدار. ومنه عدلا الحمل لأن كل واحد منهما عدل الآخر حق اعتدلا»^(١).

٢- قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ لِمَنِ الْبَرِّ يَرَهُمْ وَيَعْدِلُونَ﴾^(٢).
 (يعدلون) أي يسرون به غيره، ويجعلونه إلها مظهلاً في العبادة. فهي على هذا شاهد لهذا الوضع.

أو يعدلون بمعنى يميلون عن الطريق المستقيم ويضللون. وتتنوع المعنى حسب تعلق الباء في قوله (برهم)^(٣).

٣- قال تعالى: ﴿قُلْ هُلْمَ شَهَدَاءُكُمُ الَّذِينَ يَشَهِّدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَمَ هَذَا فَإِنْ شَهَدُوا لَلَا يَشَهِّدُ مَعَهُمْ وَلَا تُتَبَعِّ أَهْوَاءُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرِّهُمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٤).

(١) الكتاب ٧٤٥/١

(٢) سورة الأنعام ١

(٣) ينظر الكتاب ٤/٢ والبحر المحيط ٦٩/٤

(٤) سورة الأنعام ١٥٠

(برهم يعدلون) أى يعدلون به الأصنام في الألوهية والعبادة. أو الباء بمعنى (عن) أى عن رهم يميلون إلى طريق الضلال والكفر.

٤ - قال تعالى: ﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا يَرَى فَإِنَّا نَنْهَاكُمْ عَنِ الْحَدَائِقِ ذَاتِ الْبَهْجَةِ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَّا مَعَ اللَّهِ بِئْلَهُمْ قَوْمٌ يَغْدِلُونَ﴾^(١).

أى يعدلون به غيره في العبادة أو يعدلون عن التوحيد ويميلون عنه إلى الشرك.

٦- مادة (ند):

تدل مادة (ند) بتصارييفها المختلفة على عدة معان، منها: النفار والشروع والتدابر، والفرق، والمخالفة^(٢) وعلى أساس هذه المعان يقوم التفريق بين كلمة (ند) وغيرها من الكلمات التي تفيد الحكم بالماللة أو المشاهدة، لأن بين الندين تضاداً وإن اتصفوا بصفة واحدة. وذكر صاحب اللسان عن الأخفش قوله: «الند: الضد والشبه»^(٣).

وقال أبو هلال العسكري: «الفرق بين المثل والنند أن النند هو المماثل المناد، من قوله: كذا فلان فلانا إذا عاداه وباعده، وهذا سمي الضد ندا. وقال صاحب العين: النند ما كان مثل الشيء يضاده في أمره»^(٤).

وذكر الراغب ما يتفق فيه الندان قاتلا: «الند المشارك في الجسوهر، وفي موضع آخر المشارك في الجنس، وقال في التفريق بينه وبين المثل: وذلك ضرب

(١) سورة التمل ٦٠.

(٢) ينظر لسان العرب ٤٣٨١.

(٣) لسان العرب ٤٢٨٢.

(٤) الفروق في اللغة ١٤٧.

من المماثلة، فإن المثل يقال في أي مشاركة كانت، فكل ند مثل، وليس كل مثل نداً »^(١).

قال حسان بن ثابت في هجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

أَفْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِدْ
فَشَرَكُمَا خَيْرٌ كَمَا الْفَدَاءِ^(٢)

وقد تحقق بمعنى الندية نفي المماثلة، ودعوى أن نفارة وتدابره لا يعتد به ولا وزن له يصيز به نداً لرسول الله ﷺ. ولدلالة المادة على التفار والمخالفة والتضاد ترجح رواية (ند) عن رواية (كافء).

والكلمة لم تأت في القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع، وذلك في ست آيات.

١ - قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثُّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْفَلُوا لِلَّهِ أَنَّدَادًا وَأَلَّمْ تَعْلَمُونَ بِهِ﴾^(٣).

٢ - قال تعالى: ﴿وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يَحْبُسُونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حَبْلًا اللَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْقَدَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِذَابِ﴾^(٤).

٣ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنَّدَادًا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(٥).

(١) المفردات ٤٨٦.

(٢) البيت في الشعر والشعراء ١/٣٠٨ والثان ٢/٥٠٦ والديوان بالمنظ كفاء ٩.

(٣) سورة البقرة ٢٢.

(٤) سورة البقرة ١٦٥.

(٥) سورة إبراهيم ٣٠.

٤ - قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بِلِ مَكْرُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ إِذْ كَأْمَرْنَا أَنْ يُكَفِّرَ بِاللَّهِ وَجَعَلَ لَهُ أَنَدَاداً وَأَسْرَوْا النَّذَامَةَ لِمَا رَأَوْا
الْعَذَابَ وَجَعَلُنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزِنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾^(١).

٥ - قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ
لِعْنَةً مُنْهَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لَهُ أَنَدَاداً لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
لَمْ يَمْتَنِعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ التَّارِيخِ ﴾^(٢).

٦ - قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْتُمْ تَكُفِّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ السَّارِضَ فِي يَمَوْمِينَ
وَجَعَلُنَّ لَهُ أَنَدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣).

ونلحظ في تفسير بعض العلماء للآيات السابقة ما يأتي:

أولاً: نلاحظ أن الطبرى عند تفسير آية (البقرة: ٤٢) قد ترك الفرق الذى تقرَّ بين الند والمثل، فقال: «وكل شيء كان نظيراً لشيء وشبيها فهو له ند»^(٤).
ثم يحمل الآيات الأخرى عند بيان معنى (ند) على هذا أيضاً.

وهذا منه مخالف لما تقرر من أن كل ند مثل، وليس كل مثل نداً وعبارة
الزمخشى عند تفسير الآية أدق. فقد قال. «والند المثل. ولا يقال إلا للمثل
المخالف المناوئ...»^(٥).

فصرَّحَ ببقاء المضادة بينهما. وأنه ليس كل مثل نداً كما قال الطبرى.

(١) سورة سما ٣٣.

(٢) سورة الزمر ٨.

(٣) سورة فصلت ٩.

(٤) جامع البيان ١٦٣/١.

(٥) الكشاف ٢٣٦/١.

ثانياً: نلاحظ - أيضاً - أن أباً حيـان لم يراع كون الندية فيها معنى المضادة، فعمم القول بالفارق المثل والشبه والنـد. قال: « ومن شـاهـهـ شـيـناـ في وـصـفـ ماـ، قـيلـ هو مـثـلـ وـشـهـهـ وـنـدـهـ في ذـلـكـ الـوـصـفـ دون بـقـيـةـ الـأـوـصـافـ»^(١).

وهذا الكلام بين المخالف لما سبق بيانه.

ثالثاً: ذكر أبو حيان أن كلمة (ند) قد تستعمل على سبيل المجاز عندما تطلق على ما ليس نداً حقيقة بدلالة القرآن، وحمل كلمة (أنداداً) في الآيات السابقة على هذا قاتلاً: «وسموا أنداداً على سبيل المجاز، من حيث أشركوه معه تعالى في التسمية بالإلهية والعبادة صورة لا حقيقة، لأنهم لم يكونوا يعبدونهم للواهم بل للتقرب إلى الله، وكانوا يسمون الله إله الألهة ورب الأرباب»^(٤).

على أن هذا التعميم فيه نظر. لأن كثيراً من البشر يجعلون معبوداً لهم آلة من دون الله تعالى معتقدين بذلك. واعتبار الحقيقة أو المجاز يرجع إلى معتقد المتخد أنداداً لا كون الند حقيقة في نفس الأمر، أم لا.

٧- مادة ضمائر

ذكر صاحب اللسان أن المادة بالهمزة وغيرها «قال صاحب العين: ضأهات الرجل وضاهيته أى شاهته، يهمز ولا يهمز وقرىء بـما قوله عز وجل: «يضاهتون قول الدين كفروا...»⁽³⁾. ثم حكى بعد ذلك أن معناها المشاكلة «قال الليث: المضاهاة مشاكلة الشيء بالشيء، وربما همزا فيه، وضاهيت الرجل شاكله»⁽⁴⁾.

(١) البحـر المـحـبـط .٩٩/١

(٢) المرجع السابق والموضع نفسه.

^(٣) لسان العرب ٢٦١٥ وينظر المفردات للراغب .٢٠٠

(٤) اللسان ٢٦١٧

ويبدو أن هذا توسيع في بيان المعنى. لأن المشاكلة - كما هو - خاصة بالصور. أما المضاهاة، فالذى يبدو كثريتها فى الصورة، وقد تكون فى غيرها كقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**^(١). وللمادة معانٌ أخرى للحظتها عند الحكم بالمضاهاة، منها:

الرفق، والمعالجة والمتابعة» قال الأموي: ضاهاهات الرجل رفقت به. خالد بن عيينة: المضاهاة المتابعة، يقال: فلان يضاهى فلان أى يتبعه. وفي الحديث: أشد الناس عذابا يوم القيمة الذين يضاهون خلق الله، أى يعارضون بما يعملون خلق الله تعالى، أراد المصورين^(٣).

وكان هذه المعايير المتعددة عناصر يتشكل منها المعنى العام للمضاهاة، فالمضاهى الشيء بالشيء يتزلف في جعله شبيهه ويتابع معالجة ذلك في آلة ورقة حق يضاهى أحدهما الآخر ويصير نظيره، وهذه المعالجة والتزلف لحصول الشبه يختلف المضاهى عن النظير، الذي تدل صيغته (فويل) على التمكن في الشبه. ولم يأت من هذه المادة في القرآن الكريم إلا صيغة واحدة هي (تضاهي).

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَكْبَرُ يُؤْكِلُوكُونَ﴾ (٢).

قال الطبرى: «قيل إن معنى ذلك يمحكون بقوفهم قول أهل الأديان الذين قالوا
اللات والعزى ومنها الثالثة الأخرى... ثم قال فى القراءتين: وما لغتان :
يقال: ضاھيته على كلّ أضاهيھ مضاهيّة وضاھيّة عليه مضاهيّة إذا مالأيّه عليه
وأعنته» ^(٤)

(١) سورة التوبه .٣٠

٢٦١٨) لسان العرب

(٣) مسودة التعديل

(٤) جامعة السان، ١٢/١

غير أنه فسر القراءة بالهمزة بمعنى آخر خلاف قراءتها من غير الهمزة. على أنه لا ضير أن يكونا بمعنى، مناسبة لتفسير الآية والله أعلم.

٤- مادة (كفاء)

تدل تصاريف مادة (ك ف ء) المختلفة على عدة معان منها: المجازة المقصودية المساواة وعدم مجازة حد المثل، وكل شيء ساوي شيئاً حق يكون مثله فهو مكافئ له، والمكافأة بين الناس من هذا. يقال: كافات الرجل، أي فعلت به مثل ما فعل بي. ومنها معنى المناصفة كان كل واحد من التكاففين يأخذ حقه في الوصف المشترك بينهما، ومنها معنى الصرف، كان كل واحد منها يصرف الآخر عن مجازة حد المماثلة بينهما.

ومنها معنى المقاومة كان كل واحد منها يقاوم صاحبة الصفة ليمضي غلبته عليه فيها.

ومنها معنى التغير وكسوف اللون، كان الكفاء تعامل نفسه مكافأة أن يغلب عليه غيره.

هذه المعان وغيرها مما ذكرته المعاجم للمحاجها في معنى (الكافء) قال في اللسان: «الكافء: النظير والمساري، وتكافأ الشينان تماثلا... وهذا كفاء هذا وكفؤه.. أي مثله يكون هذا في كل شيء»^(١).

ويرى الراغب ارتباط دلالة الكلمة بالأمور المعنوية، قال: «الكافء في المرارة والقدر»^(٢).

والآية القرآنية الوحيدة التي جاءت فيها الكلمة تشهد بأن دلالتها على المماثلة في الذات والصفة مع النظر إلى الآتين عند الحكم بالكافئ.

(١) لسان العرب ٣٨٩٢ وانظر المادة فيه.

(٢) المفردات ٤٣٦.

١- قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾^(١).

قال الزمخشري بعد أن بين دلالة الآيات قبلها على تفرد الله جل وعلا في
الذات والصفات ونفي المجازة والمشاهدة مع غيره:

«ولم يكن له كفواً أحداً - تقرير لذلك وبث للحكم به»^(٢).

فكلمة (كاف) تدل على المثالثة والمساواة مراعي معها النظر إلى الطرفين
معاً. وذلك على سبيل الإثبات، أو على سبيل النفي كما في الآية الكريمة. (ولم
يكن له كفواً أحد) والله أعلم.

٩- كلمة (سمى):

يفيد كلام أهل اللغة والمفسرين أن أصل دلالة كلمة (سمى) هو: مجرد الاتفاق
الذين في الاسم. فقولنا: فلان سمى فلان، أي هو موافق له في اسمه، دون نظر إلى
الذات أو الصفات. هذا هو محض معناها اللغوي^(٣).

وهي في الاستعمال على ضربين جاء عليهما شاهداتها في القرآن الكريم:

الضرب الأول:

وتكون فيه (سمى) بمعناها اللغوي، من الدلالة على الاتفاق في التسمية من
غير نظر إلى معنى آخر. وشاهدته في القرآن الكريم الآية الآتية.

قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَا إِلَيْكَ بُشِّرُوكَ بِلِفَلَامِ اسْمَةٍ يَعْتَقِي لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ
سَمِيَّاً﴾^(٤).

(١) سورة الإخلاص ٤.

(٢) الكشاف ٤/٢٩٩.

(٣) ينظر لسان العرب ٢١٠٩ وما بعدها وجماع البيان ٥/١٦.

(٤) سورة مرثيم ٧.

(لم نعمل له من قبل سبيلا) أي لم يسم باسمه أحد قبله. وهذا ما رواه الطبرى «عن قتادة قال: لم يسم بيعيى أحد قبله. وعن ابن عباس: إن معناه لم يسم قبله أحد بيعيى »^(١).

ويؤيد هذا سياق الآية لأنها تحدثت عن تسمية (يعيى) ثم نفت أن يكون سبي
هذا الاسم أحد قبله.

الضرب الآخر:

أن تكون (سمى) بمعنى: مثل، وشبيه، أي أن الاتفاق في التسمية تابع لـ مماثلة
بين المسميين، ومشابهة في ذاهمها وصفاهما: وشاهد هذه الآية الآية:
قال تعالى **هَرَبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْنُطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ**
تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً^(٢).

روى الطبرى في تفسيرها عن مجاهد «قال: هل تعلم له شبيها، هل تعلم له
مثلاً بارك وتعالى»^(٣).

وقال الراغب: «أى نظيراً له يستحق السمه، وموصوفاً يستحق صفتة على
التحقيق. وليس المعنى: هل تجد من يتسمى باسمه إذ كان كثير من أسمائه قد يطلق
على غيره. لكن ليس معناه إذا استعمل فيه كما كان معناه إذا استعمل في
غيره». ^(٤).

أى أن كلمة (سمى) في الآية مراد بها مدلولها اللغوى وهو الاتفاق في
التسمية، مع دلالة المقام على أن هذه المماثلة في التسمية تكون راجعة إلى مماثلة
في الذات، أو الصفة، من أجلها يستحق أن يسمى باسم مثله وشبيهه.

(١) جامع البيان ٥/١٦.

(٢) سورة مرمر ٦٥.

(٣) جامع البيان ١٦/١٠٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن ٢٤٤.

وقد ذكر الزمخشري وجوها ثلاثة في معنى كلمة (سميا) يرجع الأول إلى المعنى اللغوي من الاتفاق في التسمية كما في قوله تعالى: «لَمْ يُجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ سَمِيَا» وفي الثاني يتفق مع ما ذهب إليه الراغب من كون التسمية مبنية باعتبار الثناء استحقاق التسمية من المماثلة في الذات أو الصفة. ويتفق في الثالث مع ما ذكره الطبرى من كون المراد بكلمة (سميا) المثل والشبيه.

وعبارته: «أى لم يسم شيء بالله قط... ووجه آخر: هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل، فـ كوفما غير معنده هـا كـلا تـسمـيـة، وـقـيلـ: مـسـلاـ وـشـيـهـاـ»^(١).

وقد ذكر في موضع آخر علة إطلاق(سمى) على الشبيه والمثل قائلاً: «إـنـاـ قـيـلـ: لـلـمـلـئـ سـمـىـ لـأـنـ كـلـ مـتـشـاكـلـينـ يـسـمـىـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ بـاسـمـ المـلـئـ وـالـشـبـيـهـ، وـالـشـكـلـ وـالـنـظـيرـ، فـكـلـ وـاحـدـ سـمـىـ صـاحـبـهـ»^(٢).

على أن في هذا التعليل شيئاً. لأنه إن أراد أن لفظ المثل والشبيه يطلق على كلا المثلين والشبيهين فهو ضعيف. لأن لفظ المثل وكذلك الشبيه والشكل والنظير لا يعدو الجنيّة **هـاـ الـوـصـفـ بـمـدـلـوـلـاـهـاـ**، ووصف الشبيهين بأن كل واحد منهمما مثل للآخر، أو لظير له، لا يعد تسمية له.

وإن أراد أن كل متماثلين أو متشابهين يسمى كل منها باسم الآخر، أو يوصف بوصفه - وإن كانت عبارته غير صريحة في ذلك - فهذا لا يعدو أن يكون رجوعاً بالوجه الثالث الذي أراد التعليل له إلى الوجه الثاني ذكره الراغب. ويكون إطلاق كلمة (سميا) في الآية مراداً بما تحقق الوصف الذي يستحق بسببه التسمية - مجازاً مرسلًا من اطلاق المسبب وهو التسمية على سببها وهو الفرق المسميين ذاتاً أو صفة.

(١) الكشاف ٥١٧/٢.

(٢) الكشاف ٥٠٣/٢.

((كلمات أخرى)):

بقى معنا كلمات عدوها من أدوات التشبيه، سنذكرها فيما ي يأتي لبيان دلالتها الوضعية، ومدى إفادتها الحكم بالمشاهدة، والفرق بينها. وذلك بصورة مجملة.^(١)

وهذه الكلمات نوعان: نوع يفيد الحكم بالمشاهدة، وليس له شواهد في القرآن الكريم. ونوع لا يفيد الحكم بالمشاهدة، وتحقيق القول فيه أنه - أيضًا - ليس من التشبيه الاصطلاحي كما ذكره جهور البلاغيين. ولبعض هذا النوع شواهد في القرآن الكريم وبعض كلماته الآخر ليس له شواهد فيه.

((النوع الأول)):

١٠- **كلمة (فظين):**

يدل كلام أهل اللغة على أن مادة هذه الكلمة تضم في دلالتها عنصرين: الماثلة في الأفعال والأحوال، ومقابلة كلا النظيرين لنظيره فيكونان عند النظر إليهما سواء.

جاء في اللسان «فلان نظيرك، أى مثلك، لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء... وهم يقولون: دور آل فلان تنظر إلى دور آل فلان، أى هى يرازهاها مقابلة لها»^(٢). فالمادة إذا شاهدة بذلك.

(١) تالت في كتب المعاجم كالصحاح للجوهرى، ومقاييس اللغة لابن فارس، ولسان العرب لابن منظور، وغيرها كلمات تفيد في بعض سياقات الكلام الحكم بالماثلة أو المشاهدة لم ذكر بعضها منها لعدم وجود شواهد لها في القرآن الكريم، مثل: خلق، وسلم، وشرح وشريح، وشرط، وطرز، وقرن، ولمل.... وغيرها واكتفيت بها بعض منها ، وهي مما لا يبعد من أدوات التشبيه، ولكنها تفيد الحكم بالمشاهدة كما حققت.

(٢) لسان العرب ٤٤٦٥، ٤٤٦٧.

ذكر الزمخشري - أيضاً - ما فيها من المماثلة والمقابلة. قال: «هو نظيره بمعنى
منظاره، أى مقابلة ومماثلة». ^(١)

وقد فرق أبو هلال العسكري بين المثل والناظر قائلاً: «الفرق بين المثل
والناظر، أن المثلين ما تكاثرا في الذات، والناظر ما قابل نظيره في جنس الأفعال
وهو متمكن منها. كالنحوى نظير التحوى، وإن لم يكن له مثل كلامه في التحوى
أو كتبه فيه، ولا يقال: التحوى مثل التحوى، لن التماثل يكون حقيقة في اخص
الأوصاف، وهو الذات» ^(٢). وهذا نعلم أن تفسير الناظر بالمثل كما في كلام
صاحب اللسان وكلام الزمخشري جاء على سبيل المساعدة.
هذا وليس للكلمة شواهد في القرآن الكريم.

١١- كلمة (ضریب):

تدل تصاريف مادة (ض رب) على رجوع أكثر معانيها إلى ما يحصل
بالشكل والصورة الظاهرة. وكلامهم على استعمال (ضریب) في الشكل كثير.
كما يجيء في معنى (مثل) أيضاً.

جاء في اللسان «قال ابن الأعرابي: الضرب الشكل في القد والخلق. ويقال:
فلان ضرب فلان، أى نظيره. وضرب الشيء مثله وشكله. ابن سيده:
الضرب، المثل والشبيه، وجعه ضروب، وهو الضرب، وجعه ضرباء» ^(٣).
وخصه البهاء السبكي بالشكل ^(٤). وإن كان الزمخشري قد قال: «هو
ضربه وضربيه أى مثله» ^(٥). ويشهد له قول البحترى:

(١) أساس البلاغة ٤٦٢.

(٢) الفرق في اللغة ١٤٨.

(٣) لسان العرب ٢٥٦٨.

(٤) ينظر عروس الألواح ٣٩٣/٢ . شروح

(٥) أساس البلاغة ٢٦٧.

١٢ - كلمة (محك):

تدل الكلمة وما يتصرف منها على الإيمان بفعل أو قول على جهة تحرى المساواة مع فعل أو قول آخر. قال ابن منظور: « حكى فلاتا وحاكيته فعلت مثل فعله. أو قلت مثل قوله سواء. لم أجاوزه وحكى عنه الحديث حكاية.. وفي الحديث ما سرني انى حكى إنسانا وان لي كذا وكذا، أى فعلت مثل فعله... ثم قال: والحاكاة المشاهدة تقول: يحكى الشمس حسنا ويحاكيها بمعنى »^(٢).

وقد ذكر أولاً حقيقة المحاكاة من أنها تكون في فعل أو قول على سبيل تغري الموافقة فيه، ثم ذكر وجهاً آخر من وجوه استعمال الكلمة، بأن يراد المشاهدة. وواضح أن المثال الذي مثل به في هذا الوجه ليس فيه محاكاة بمعناها الحقيقي الذي بيانه. لأنه - من ناحية - لا تتأتى محاكاة الإنسان الشمس في فعل، فضلاً عن قول. ومن ناحية أخرى أن المحاكاة حقيقة في اكتساب وصف لا في وصف قائم. ولعلي يكون استعمال الكلمة في هذا المثال على غير حقيقتها وضررها

^{٥٩} (١) الديوان ١٥١/١ والأبيات في دلائل الأعجاز.

٩٥٤) لسان العرب

من المجاز، وهو ما صرخ بـ الرمخشري قائلاً: « ومن المجاز وجده يحكي الشمس حسناً وبما كيها »^(١). وإن كان لم يعين نوع المجاز ولم يشر إليه. وقد يكون مجازاً مرسلاً، علاقته اللاحمة، من إطلاق المزوم وإرادة اللازم، لأن محاكاة شيء لشيء تستلزم مشابهته له. أو تكون علاقته التقييد والاطلاق، باطلاق المحاكاة من قيد كونها في فعل أو قول.. إلى كونها مطلقاً مشابهة.

لكن يجب التفريق بين اعتبار المجاز في الكلمة هذه العلاقة وبين ما ذكره الباء السبكي من أن « المحاكى المشابه مطلقاً »^(٢) لأن الذي يفهم من عبارته أن الكلمة (محاك) وما تصرف منها مستعملة في المشابه مطلقاً على سبيل الحقيقة.

معنى هذا أن هذه الكلمة بعد أن استعملت في غير معناها الأصلي وهو مطلق المشابهة للعلاقة التي ذكرناها، توسيط هذه العلاقة بكثرة الاستعمال، وانتقلت الكلمة إلى دائرة الحقيقة باعتبارها موضوعة للمعنى المجازي وضعاً تحيقياً جديداً وهذا مسلك من مسلالك الوضع في اللغة فقد قالوا. إن أكثر اللغة مجاز لا حقيقة^(٣).

وقد قلنا ان هذه المادة ليس لها شواهد في القرآن الكريم.

ومن شواهدها في الشعر قول ابن وكيع التبيسي:

في دوحة يتوقد.	وجل سار
في قبة من زبرجد ^(٤)	يحكي فصوص عقيق

وقول آخر في تشبيه الهلال بالسوار المنفص:

(١) أساس البلاغة ٩٢.

(٢) عروض الأفراح: شروح ٣٩٢/٣.

(٣) النظر الخصالص ٤٤٧/٢ ، والملاحم والقرائن في التعبير البayan ، من ٧٦ للمؤلف.

(٤) البيان في المرع البديع ٢٣٣.

حاكي نصف سنوار من نضار يتطرق^(١).

١٣- كلمة (تضارع):

جاء في اللسان ما يدل على أن المضارعة تكون بمعنى المشاهدة أي تتعلق بالصور والهيبات، وتكون بمعنى المماثلة التي تتجاوز الصور والهيبات - كما بينا - قال: «والمضارعة للشيء أن يضارعه كأنه مثله أو شبهه، وفي حديث عدی: لا يخلجن في صدرك شيء ضارع في الصرانية. والمضارعة المشاهدة والمقاربة»^(٢). ويستفاد من كلامه أن المضارعة تدل على المقاربة في الصفة والشعور بمنقص المعرف في الحكم على ما يحيط به والاجتهد في الوصول إلى تمامه.

ويدلاتها على المقاربة تفارق الحاكمة لأن فيها - كما سبق - تحري المساواة في الصفة وعدم المجاوزة.

وتتوسع البهاء السبكي في بيان معنى المضارعة قائلاً: «المضارعة المشاهدة»^(٣). ووجه التوسيع أن المضارعة - كما سبق - تشمل ما كان الاتفاق فيه في الهيبات وما كان في الذاتيات على جهة المقاربة. فأطلق الاتفاق عن هذا القيد مريداً بها الاتفاق في صفة من الصفات.

١٤- كلمة (نحو):

أصل الكلمة (نحو) المصدر بمعنى القصد. تقول: نحوت نحوا، أي: قصدت قصداً، ونحوت نحوك، أي قصدت قصداً. وقد تستعمل ظرفياً، مثل سرت نحو البيت، أو أسماء، كتسمية الطريق نحوها. وتسمية العلم الذي به انتخاء طريق العرب في كلامهم نحوها^(٤).

(١) البيت في أسرار البلاغة ٢٢٤.

(٢) لسان العرب ٢٥٨٠، ٢٥٨١.

(٣) عروس الأفراح - شروح ٣/٣٩٣.

(٤) ينظر لسان العرب ٤٣٧١ وأساس البلاغة ٤٥٠.

وهذا يتضح ما للكلمة من دلالة على الجهة، والموافقة في المسلك والميل بالأفعال إلى طريق مخصوص. وهذه العناصر لمعنى الكلمة ساعدت على استعمالها للحكم بها لإفاده الاتفاق في معنى على سبيل المقاربة وصيغة الحكم عليه بها في جهة ما يتفق معه في هذا المعنى. تقول: فعلت نحو فعلك وعند فلان نحو مائة رجل.

وبحسب الباء السبكي أن «لفظ النحو والمثل ليسا متزادفين للفظ (المثل) دال على المساواة بين الشيئين إلا فيما لا يقع العدد إلا به. هذا حقيقة، ويستعمل مجازا فيما دون ذلك، ولفظ (النحو) يدل على المقاربة في الفعل، لا على المائلة وإن استعمل في (المثل) فبملاحظة معنى آخر»^(١).
أى أن استعمال لفظ النحو مكان لفظ المثل يكون أيضا على سبيل المجاز.

١٥- كلمة (موازن):

تدل مادة الكلمة على المساواة في الوزن، قال الزمخشري: «وازن الشيء بالشيء سواه في الوزن وتوازيه واتزنا»^(٢). وفيها - أيضا - معنى الجهة، والمعادلة، والمقابلة.

جاء في اللسان. «الميزان: العدل، ووازن: عادله، وقابلة. وهو وزنه وزنته وزانه وبوزانة أى قيانته، وقوتهم: هو وزن الجبل، أى ناصيته، وهو زنة الجبل: أى حداهه»^(٣).

وبدلالة (موازن) على المساواة في الوزن تكون أخص من كلمة (مساو) التي هي في أصلها تدل على المقادير مطلقا، ذرعا. أو وزنا أو كيلا. وهي - أيضا - أخص من المعادلة التي تكون في المقادير وغيرها.

(١) عروس الأفراح ٣٩٣/٣.

(٢) أساس البلاغة ٤٩٨.

(٣) لسان العرب ٤٨٢٩.

النوع الآخر:

وهو كلمات ذكروا أنها تفيد الحكم بالماللة^(١). وحقيقة الأمر فيها أنها لا تفيدها قطعاً. وهذه الكلمات كلمتان لم تأتيا في القرآن الكريم، وأخريان جاءتا فيه.

١٦-١٧- فائوليان كلمتا (مواز وموان

ويبدو من صنع صاحب اللسان بذكره الكلمة الأولى في باب الواو، والثانية في باب الهمزة - أن الكلمتين مختلفتان. لكنه عند الحديث عن كلمة (وازيته) يقول: «قال الجوهري: ولا تقل: وازيته - وغيره أجازه على التخفيف»^(٢) فدل يارجع الكلمة (وازيته) إلى الكلمة (آزيته) لكون الواو مخففة من الهمزة - على أن الكلمتين في حقيقتهما كلمة واحدة.

وقد اتفق ما قاله هنا مع ما قاله هناك عن (آزيته) قال: «يقال: هو بـإزاءة فلان، أى بـحدائه، وقد آزيته، إذا حاذيته، ولا تقل: وازيته»^(٣).

والتحقيق: أن الكلمتين مختلفتان مادة، ومعنٍ. فالموازاة المقابلة والمواجهة كما ذكر صاحب اللسان نفسه قائلاً: «... في حديث صلاة الخوف : فوازيتا العدو وصافقناهم - فالموازنة المقابلة والمواجهة»^(٤) فالمتوازيان لا يلتصقان، وإنما يتواجهان بحيث يكون كل منهما في مقابلة الآخر وعلى مسافة معهودة.

(١) انظر عروس الأفراح ٣٩٢/٣.

(٢) لسان العرب ٤٨٣٠.

(٣) لسان العرب ٧٥.

(٤) لسان العرب ٤٨٣٠.

قال الأعشى في قصيدة (الندى والخلق) يصف الحصن الأبلق بسماء
اليهودى:

بناء سليمان بن دارد حقبة
له أزاج عمال وطوى موئق
يسوازى كبيداء السماء ودوله
بلاط ودارات وكلس وخدق^(١)
فاحصن يواجه وسط السماء ولا يلاصقه.

اما كلمة (آزيته) فتدل على التجاور والالتصاق. وقد جاء في السان أيضا
«آزيت اليه أزيا وأزيا الضممت وآزان هو ضمني. ويقال: هو يازاء فلان، أى
بحذائه» .

ففي الكلمة معنى الدنو والالتصاق. لكنه ذكر بعد ذلك ما يشعر
بالاضطراب، قال: «وقد آزيته إذا حاذته ولا تقل وازيته، وقد إزاهه، أى قبالتها،
وآزاه، أى قابله»^(٢). أى من معان آزى المقابلة، ولا مخرج من هذا الاضطراب
إلا أن تكون الكلمة تدل على المجاورة تارة والمقابلة تارة أخرى وهما معنيان
متضادان.

وأياما كان المعنى قليلا للكلمتين إفاده الحكم بالمشاهدة، فضلا عن انتفاء
التشبيه الاصطلاحى.

أما الكلمتان الآخريتان اللتان لا تفيدان الحكم بالمشاهدة وهما شواهد من
القرآن الكريم فهما:

(١) ديوان العشى ١٧٧ والأزاج البناء المستطيل، والطلي: البناء بالمحاجرة.

(٢) لسان العرب ٧٥.

١٨ - كلمة (أخ)

لقد ذكروا من أدوات التشبيه كلمة (أخ) ومؤنثها (اخت) ^(١). عندما تستعمل في غير من جمعك به صلب، أو بطن، أو رضاع ^(٢).

وقد جاءت الكلمة (مذكورة ومؤنثة) في آيات عدة من القرآن الكريم، مستعملة في جهات المشاركة الثلاث. ولكنني بالآية الآتية شاهدنا على ذلك.

قال تعالى: **هُوَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَائِكُمْ وَتَنَاهِكُمْ وَأَخْرَائِكُمْ وَعَمَائِكُمْ وَخَالَائِكُمْ وَبَنَاتِ الْأَخْرَى وَبَنَاتِ الْأَخْتَى وَأَمْهَائِكُمُ الْلَائِي أَرْضَعْتُكُمْ وَأَخْوَائِكُمْ مِنْ الرُّضَاعَةِ وَأَمْهَائِهِاتِ سَائِكُمْ وَرَبَّالِكُمُ الْلَائِي لِي حُجُورُكُمْ مِنْ كُسَالِكُمُ الْلَائِي دَحْتُمْ بِهِنْ فَإِنَّ لَمْ تَكُونُوا دَحْتَمْ بِهِنْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمِعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ^(٣).**

فكلمة (أخوات) في أول الآية، وكلمتنا (الأخ، والاخت) بعدها تحتمل كل منها الدلالة على الاجتماع بصلب ورحم، أو بأحد هما، وكذلك الكلمة (الأختين) في آخر الآية تحتمل الجهتين، وجهة الرضاع أيضًا.

أما كلمة (أخوات) في قوله تعالى (وأخواتكم من الرضاعة) فصرحة بالقرينة في أخوة الرضاع لا غير.

وكلام البهاء السبكي على أنه قد اتسعت دلالة الوضع للكلمة، فصارت تطلق - أيضًا - على المشارك في القبيلة والدين، ثم صارت تستعمل في كل مساو، لكنه لم يبين لنا طريق هذا الاستعمال.

(١) النظر البيان.. للطهري ٢١٢ وغروس الأمراح ٣٩٣/٢.

(٢) الأخوة من الرضاع توسيع في الدلالة اللغوية من جهة الشارع.

(٣) سورة النساء ٤٣.

قال: «وَالْأَخْ حَقِيقَتُهُ: الْمُشَارِكُ لِغَيْرِهِ فِي أَبٍ أَوْ أُمٍّ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَى الْمُشَارِكِ فِي الْقَبْيلَةِ أَوْ فِي الدِّينِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ مُساَوٍ»^(١).

والذى يبدو من كلام العلماء أن منهم من لا يعتبر استعمال الكلمة (أخ) في المشارك في القبيلة والدين استعمالاً لها فيما وضعت له. فالراوي يقول: «الأخ المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحد هما، أو من الرضاع. ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدين. أو في صنعة، أو في معاملة، أو في موعدة، وفي غير ذلك من المناسبات.... ثم ييرز معنى التشبيه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْكُرْ أَخَا عَادَ إِذْ أَنْدَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ التُّلُّرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِلَيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢). يقول: «سَاهَ أَخَا تَبَيِّهَا عَلَى إِشْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ شَفَقَةُ الْأَخِ عَلَى أَخِيهِ»^(٣).

ومنهم من يوسع دائرة الوضع ليشمل غير المشارك في القبيلة والدين جاء في اللسان «الأخ» من النسب معروف وقد يكون الصديق والصاحب... ثم يمحكمى عن الزجاج في الآية السابقة (وَإِذْكُرْ أَخَا عَادَ) ما يدل على الاحتمالين أى كون كلمة أخ موضوعة لما أريد منها أو كونها للتشبيه - قال الزجاج: قيل في الأنبياء أخوهم وإن كانوا كفراً لأن إيماناً يعني أنه قد أتاهم بشر مثلهم من ولد آدم عليه السلام، وهو أرجح. وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم فيكون أفهم لهم بأن يأخذوه عن رجل منهم»^(٤).

وقد يكون تقديم اعتبار التشبيه لترجيحه له عن اعتبار المعنى الثاني الذي هو إرادة الأخوة في القبيلة الموضوعة له كلمة (أخ) كما هو ظاهر كلام الزجاج، بقرينة مقابلته بمعنى التشبيه الذي قدمه عليه.

(١) عروس الأفراح ٣٩٣/٣.

(٢) سورة الأحقاف ٢١.

(٣) المفردات ١٣.

(٤) لسان العرب ٤١.

وَمِنْ شَوَّاهِدُ الْأَخْوَةِ فِي الدِّينِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرُّقُوهُ وَإذْكُرُوهُ نَعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَالْفَلَّفَ بَيْنَ قَلُوبِكُمْ فَأَنْبَثْتُمْ
بِنَعْمَتِهِ إِخْرَابًا وَكَثُّتُمْ عَلَى هَذِهِ حَفْرَةٍ مِنَ التَّلِّ فَانْقَدَّكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

وقد تكون الأخوة في الجنس وصفاته كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُبِرُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هُنَّ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتَهَا وَأَخْذُنَاهُمْ بِالْقَدَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).
بقي لنا أن نعرف ما إذا كانت كلمة (أخ) عند استعمالها في غير ما وضعت
له- من أدوات التشبيه- كما قيل- أم لا.

والحق الذى لا غموض فيه أن الكلمة عند استعمالها فى غير المشارك فى أب أو أم أو رضاع على القول بأنما ليست موضوعة له - لا تكون أدلة تشبيه وإنما تكون فى التركيب واقعة متشبها به . فقوله تعالى : **فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوا** **بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَقْتُلُوا اللَّهَ لَعْلَكُمْ تُرْحَمُونَ كَمْ**^(٣) . فيه جملة تشبيه (إنما المؤمنون أخوة) وطرفا التشبيه (المؤمنون) المشبه و (إخوة) هي الشبه به وأدلة التشبيه الكاف محلولة أى أن المؤمنين فيما يجمعهم من الأخبة والقطاع التازع والعداوة بينهم كأخوة الرحم سواء .

هذا إذا وجد طرفا التشبيه أما إن لم يوجد المشبه ولم يكن منها فلان الجسيء بالفظ (أخ أو أخت) عندئذ يكون على سبيل الاستعارة لفولة تعالى: «وَادْكُرْ أَخَا عَادَ»^(٤) يكون لفظ (أخا عاد) مستعارة بعد أن شبه به هود ثم حذف واستعمل مكانه.

١٠٣ سورة آل عمران

(٤٨) سورة المزخرف

(٣) سورة الحجّرات

(٤) سورة الاحقاف ٢١

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرًا سُوءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيَّا﴾^(١) فإن كلمة (اخت) هنا على القول بأن هارون هذا رجل صالح في زمامها شهوها به ^(٢) مستعارة واستعملت مكان (مريم).

وعبارة الراغب « ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة »^(٣) تتحمل أن يكون مرادا بالاستعارة الاستعارة الاصطلاحية وإن يكون مرادا بها التشبيه الخلوف الأداة – كالأمثلة التي معنا – على القول بأنه استعارة.

ومنها يكون قد تبين لنا تهافت القول بأن كلمة (أخ) من أدوات التشبيه... وإنما تفيد الحكم بشبه مدلولها (المشارك في أب أو أم أو رضاع) للمحكوم عليه إن كان كذلك ، وإن لم يكن كذلك كان تشبيها مع حذف أداة التشبيه، وإن حذف المشبه كان على سبيل المجاز.

١٩- كلمة (صنو):

جاءت كلمة (صنو) بغير صيغة الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعَةٌ مُتَجَاهِرَاتٌ وَجَنَانٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَرَزْعٍ وَتَحْيَلٌ صُنُوانٌ وَغَيْرُ صُنُوانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتَفَضَّلُ بِعَضُّهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِيَّاتٍ لَقَوْمٌ يَعْقِلُونَ﴾^(٤). والصنو في الأصل الفصن الخارج من أصل شجرة معه آخر، وذلك كان تطلع نخلتان أو أكثر من عرق واحد، فتسمى كل واحدة صنو... والاثنان صنوان بكسر النون، والجمع صنوان بضم النون مع التنوين كما في الآية^(٥).

(١) سورة مريم . ٢٨

(٢) ينظر الكشاف ٥٠٨ / ٢ والبحر الخيط ١٨٦ / ٦

(٣) المفردات . ١٣

(٤) سورة الرعد . ٤

(٥) ينظر المفردات ٢٨٧ ولسان العرب ٢٥١٣

وقد جاء في اللسان ما يدل على أن الكلمة استعى دلالتها الوضعية فلم تبن خاصية بالنبات، وصارت تدل على مشارك في الأصل.

قال: «والصنو الأخ الشقيق، والعم والابن، والجمع أصناء وصنوان، والأثني صنة، وفي حديث النبي ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه». قال، أبو عبيدة: معناه أن أصلهما واحد. قال: وأصل الصنو إنما هو في النخل. قال شر: يقال فلان صنو فلان، أي أخوه ولا يسمى صنو حرق يكون فيه آخر» ^(١).

وعبارة السبكي توصل المادة في الدلالة على المشارك غيره في أصله مطلقاً، دون التصريح بأن أصل وضعها للهنصرين اشتراكاً في أصل واحد.

قال: «الصنو تصاريقه تدل على أنه المشارك لغيره في الأصل الذي خرجا منه، فالإنسان صنو أخيه لا شراكهما في أب أو أم، وصنو عمه أو أبيه، لا شراكهما في الجد. والهنصتان الخارجان من شجرة صنوان» ^(٢).

لكن الزمخشري يرى أن الكلمة في غير الفصرين المشتركين في أصل مجاز، قال: «ومن المجاز هو شقيقه وصنوته». قال:

أنت كفى وأنت أخي وصنوتي
فلا للناس للأمر العجيب ^(٣)

وكلامه يحمل أن يكون مراده بالمجاز مطلق مجاز الكلمة عما وضعت له أولاً واتساع دلالتها في اللغة.

أو أن يكون مراده المجاز الاصطلاحي ليكون المثالان المذكوران من باب الاستعارة على القول بأن التشبيه البليغ استعارة.

(١) لسان العرب .٤٥١٣

(٢) عروس الأفراح .٣٩٣/٣

(٣) أساس البلاغة .٢٦٠

بقي لنا أن نقول: إن كلمة (صنو) تجري على الخد الذي ببناه في كلمة (أخ)
من أنها ليست أداة تشبيه. فاستعماها في كلام غير مراد بما مدلولها اللغوي يكون
على سبيل التشبيه المذوق الأداة إن كان المشبه مذكوراً مثل: أخوك صنوك
وخلد صنو عمرو. فأداة التشبيه الكاف المذوقة ليست كلمة (صنو) وإن كان
المشبة غير مذكور كانت على سبيل الاستعارة مثل قابلي صنوك. وهكذا.
لا يقى معنا إلا كلمات ذكرروا أنها من أدوات التشبيه. ورأينا أنها ليست
كذلك.

٤٠- منها (أفعل التفضيل) فقد حكى البهاء السبكي أنها من الأدوات^(١).
والحق أن أصل دلالة صيغة أفعل التفضيل الإخبار بالمعنى على سبيل المفاضلة
لا التشبيه. ففي قولنا: العسل أحلى من عصير الفاكهة تدل هذه الصيغة على
مجاورة العسل العصير في الحلاوة. والكلام وإن أفاد اشتراك الاثنين في الصفة إلا
أن هذه الأفاداة ليست قصداً وأصلية. وإنما من مضمون الكلام بحكم اشتراك
المفاضلين في الصفة التي يقع فيها التفااضل. فالتشبيه ليس مدلولاً عليه بأداة وإن
كان مستفاداً من الكلام. هذا فضلاً عن اختلاف إفاداة التشبيه بأفعل التفضيل
عن إفادته بالكلمات الأخرى: مثل وشبه وغيرها... لأن ببناه أن المفضل يفوق
المفضل عنه ومجاوزه، فليست فيه دعوى إلحاق شيء بشيء لأن الكلام يدل على
اختلافهما في الصفة زيادة ونقصانا دون أن يلحق الناقص بالكامل كما هو شأن
ما يدل على التشبيه... أو ما يفيده من هذه الكلمات.

٤١- ومن هذه الكلمات (باء النسيب) فقد حكى - أيضاً - البهاء
السبكي عن عبد اللطيف البغدادي في قوانين البلاغة أنها من أدوات التشبيه^(٢).

(١) عروس الأفراح ٣٩٢/٣.

(٢) عروس الأفراح ٣٩٢/٣.

وهذا لا ينفي بعده. لن الذي يفيد التشبيه في بعض شواهدها المقام وليس الياء،
بدليل علم اطراد هذه الإرادة وتختلفها في بعض الأمثلة. فان كان قوله: وردى
وآخر يفيد التشبيه بالورد والشىء الآخر، فان قوله: مصرى وسودانى لا يفيد
التشبيه بالمصرية والسودانية.

٤٤- ومنها صيغة (تفعل) بتشديد العين التي ذكر العصام فيها إمكان
النهاب إلى كونها من أدوات التشبيه في مثل: تحلم وتصن، أى صار كالحلمين
وكالصنى^(١).

ومن الواضح أن التشبيه لا يستفاد من صريح الكلام وإنما يستفاد ضمنا.
كما أنه ليس في الكلام مشبه به مذكور صراحة.

٤٥- ومن هذه الكلمات- أيضا- كلمة (سواء) والكلمة لا تدل على
التشبيه، وإنما تفيد الحكم بالتشابه وسند كرها في مبحثه إن شاء الله تعالى.



المبحث الثاني - أداتا التشبيه-

أولاً - الكاف:

يقولون : إن الكاف هي الأصل في الدلالة على التشبيه، معللين ذلك ببساطتها. أي كونها حرفاً واحداً لا تركيب فيها^(١) لأن التركيب من شأنه أن يؤدي إلى خصوصية في المعنى، فالمركب يدل على أصل المعنى وزيادة، كما هو الشأن في (كان) من دلالتها على التشبيه المزكود. أما الكاف فلا تدل إلا على الأصل، وهو التشبيه.

وهي أي الكاف الجارة - عند سيبويه «حرف جر للتشبيه»^(٢) ويرى معه كثير من المحققين أنها لا تكون اسمية مرادفة لكلمة (مثل) إلا في الشعر للضرورة. كقول العجاج :

بعض ثلاث كناعاج جم يضحكن عن كالبرد المهم^(٣)

ويرى أبو حيان - أيضاً - أن اسميتها خاصة بالشعر ، مع أنه في كثير من مواضعها في القرآن الكريم يعرّفها اسمياً بمعنى (مثل) موافقاً غيره في ذلك .^(٤)

وكثير من النحوين منهم الأخفش والفارسي - يجوزون إعرافها اسمياً في الاختيار. ففي نحو: زيد كالأسد، يجوز أن تكون الكاف في موضع رفع والأمد عنفهضاً بالإضافة. وقد ذُكر ذلك كثيراً في كتب المعربين^(٥).

(١) ينظر شروح التلخيص ٣٨٥/٣.

(٢) الكتاب ٢١٧/١.

(٣) من مشطور السريع المكسوف، والنماج: جمع نعجة، وهي البقرة الوحشية، والجم الكبير، أوجع جراء التي لا قرن لها، والمثلم: الذالب. النظر ملحق اللبيب وحاشية الأمور عليه ١٥٤/١.

(٤) البحر الخريط ٦٢/١ والظاهر أيضًا - ١، ٢٤٦، ٤٣٥، ٤٧٤، ٤٣٤/٢، ٤٦٦، ٤٦٥/٥.

(٥) ينظر ملحق اللبيب ١٥٤/١.

والزمخشري عند تفسير قول الله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلَقَ لَكُمْ مِّنَ الطَّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ فَأَنْفَخْتُ فِيهِ قَبْرِيْكُونْ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ ه﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ يَأْذِنِي ه﴾^(٢) - نجده يرجع الضمير فيهما إلى الكاف، وهذا لا يكون إلا إذا كانت اسما.. ويذكر تعليلاً حسناً بأن الضمير (ها) لا يرجع إلى الهيئة التي أضيفت إليها الكاف، لأنها - أي الهيئة - ليست من خلقه، ولا من نفخه في شئ﴾^(٣).

والمعاني التي ذكروها للكاف الحرفية خمسة: التشبيه، مثل: زيد كالأسد.
والتعليل: واستشهدوا له بآيات عدة منها قوله تعالى: ﴿ وَيَكَائِنُ لَّا يُفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) والتوكيد، مثل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٥) والاستعلاء:
كما في قول بعضهم: كخير، جواباً للسؤال: كيف أصبحت؟ أى علىي خير.
والمبادرة، مثل صل كما يدخل الوقت. أى صل مبادراً دخول الوقت^(٦).

**وَشَاهِدُ الْكَافِ الْجَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَجْرِي كُلُّهَا عَلَى التَّشْبِيهِ، وَإِنْ جُلَّ
بَعْضُهَا عَلَى التَّعْلِيلِ، وَبَعْضُ آخَرٍ عَلَى التَّاكِيدِ.**

وسيكون حديثنا عن هذه المعانٰي الثلاثة: التشبيه، والتعليل ، والتاكيد، دون المعنى: الرابع والخامس، لبعد حل بعض الآيات عليها.

٤٩) سورة آل عمران

١١٠ المائدة صورة (٢)

(٣) ينظر الكشاف ٤٣١، ٦٥٣.

(٤) مسورة الفصل . ٨٢

١١) سورة الشورى، (٥)

(٦) ينظر ملف اللبس ١٥١/١ وما بعدها.

ومنبدأ - أولاً - بالحديث عن التشبيه ^{هـ}، ثم نردهه بالشواهد التي أمكن للعلماء حثّلها على معنى التعليل، ثم نختم بالشواهد التي قال بعض المفسرين: إن الكاف فيها زالدة، على أن تكون الشواهد التي تفيد التشابه في مبحثه. وجميع شواهد الكاف الجارة في القرآن الكريم ستة وخمسون ومتاساً شاهد وقعت في النتين وأربعين وستين آية كررت بعض الشواهد في آيات منها.

«التشبيه بالكاف»

يدلّ تسع شواهد التشبيه بالكاف في القرآن الكريم، وإنعام النظر إليها - أن الكاف ثاني للتشبيه مطلقاً.

ومعنى إطلاق محبتها للتشبيه أن لها سعة في الاستعمال، دون (كان) والكلمات الأخرى التي تفيد الحكم بالمشاهدة. فهي تأتي في ضروب من التشبيه لا تأتي فيها هذه الكلمات، فضلاً عن مشاركتها (كان) والكلمات الأخرى في الدلالة على ما تدلّ عليه هذه الكلمات، وبيان هذا الإجمال فيما ي يأتي:

أولاً: تختص الكاف بتشبيه الأفعال والأحوال المدلول عليها بالمصدر الصريح أو المؤول ببعضها عندما يكون القصد إلى مطلق المشاهدة في حصول الفعل، لا مائلة مخصوصة بين الأفعال والأحوال، في صفاتها وخصائصها بحيث يصلح لإفادتها كلمة (مثل) وليس - أيضاً - مشابهة في هيئة الفعل وصورته بحيث يصلح لإفادتها كلمة (شبه).

يشهد لوجود هذا الفرق بين دلالة الكاف على التشبيه وبين إفادته بكلمة (مثل) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ الْفَرَّارِ عَلَى اللَّهِ كَذِبَاً أَوْ قَالَ أُزْحِي إِلَيْيَ وَلَمْ يُؤْخِذْ إِلَيْهِ شَيْئاً وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ كَه﴾^(١) فقد ذكروا أقوالاً عدّة في ما نزلت فيه، لفظيل: في مسلمة، والأسود العنسي، وفظيل: في النضر بن الحمرث،

وقيل: في عبد الله بن سعد أبي سرح العامري. وقال أبو حيأن: «قال عكرمة: أروها في مسيلة، وآخرها في ابن أبي سرح»^(١).

وأنا أميل إلى هذا الرأي، لأن مسلمة ادعى نزول الوحي عليه وسخافاته في ذلك كبيرة. أما القصة في ابن أبي سرح لتحكى أنه عندما أملأ عليه رسول الله ﷺ - قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَنْشَأَنَا خَلْقًا آخَرَ﴾**^(٢) عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: ببارك الله أحسن الخالقين. فقال عليه الصلاة والسلام: اكتبها فكذلك أنزلت. فشك عبد الله وتوجه أنه يستطيع أن يقول مثل القرآن^(٣). فالنبيء بكلمة (مثل) لأفاده الحكم بالمتاللة بين كلامين جنساً وصفة. لمن مراده: أنه ينزل كلاماً - أي ينظمها - يماثل ما نزل على الرسول ﷺ - في جنسه وصفته.

أما لو جاءت الكاف فإنه لا تعين الدلالة على ذلك لأن الكلام عندئذ سيتحمل الدلالة على التشبيه بين الفعلين في الواقع لا غير، أو أن تكون الكاف بمعنى (مثل) صفة لمصدر مذوف، أو لفعله به مذوف، لأننا لو قلنا - في غير القرآن - أنزل كما أنزل الله كان المعنى: إما أنه يقع إنزال كما وقع من الله، وإما أنزل إنزالاً مماثلاً لإنزال الله في صفتة، أو كلاماً مماثلاً لكلام الله في صفتة.

ونظير ذلك قوله لخاطبك: سافر كما سافر، فلان، فإنه يتحمل أن يكون المعنى: ليكن منك سفر كما كان من فلان سفر. وعند القصد إلى ذلك يتعين التبجيء بالكاف، ولا يصح التبجيء بكلمة (مثل) لكون التشبيه بين الفعلين في مطلق الواقع. ويتحمل أن يكون المعنى ليكن منك سفر مماثلاً لسفر فلان. وعندئذ يصح

(١) البحر العظيم ٤/١٨٠ ونظر جامع البيان ٧/٢٧٢.

(٢) سورة المؤمنون ١٤.

(٣) ينظر الكشاف ٢/٣٥.

المعنى بـ (مثل) لأن التشبيه عندنا بين طبيعة السفرين وصفاقما. خلافاً للاحتمال الأول.

وعليه لو فسّرنا المثال على المعنى الأول بقولنا: إن المعنى سافر مثلكما سافر فلان - كان خلفاً من القول، لأن بين المفسر والمفسر به فرقاً، هو الفرق بين الكاف و(مثل) وهذا ملاحظة دقيقة ومهم.

وما يزيد ما قلناه تأكيداً النظر في معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَلَا تُؤْمِنُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) فالمقام يدل على أن المبالغة بين اعتدائعين في صفاقما، لا في مجرد الأمر بمحضه الاعتداء رداً على المعتمد لأن المعنى - والله أعلم - اعتدوا عليه اعتداء مبالغة لاعتدائهم عليكم ليتردعوا ولا يعود إلى ما فعل. يدل على ذلك سياق الآية (ولا تعتدوا) أي قابلوه بمثل ما فعل معكم، ولا تجاوزوا حد المبالغة، ولا يخفى أن النهي عن مجازة الحد بإعلام بالوقوف عند الحد وهو المبالغة.

إذاً المقام والسياق هما أهمية في تحديد معنى التشبيه بالكاف، وأى المعنيين السابقين يراد به. يتجلى ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَنَا أَتَخْدِلُمْ مَنْ ذُو نَهْبَةٍ أَوْ زِيَادَةٍ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ لَفْعاً وَلَا ضَرَّاً قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الْأَغْنَى وَالْيَصِيرُ أَمْ هُلْ يَسْتَوِي الظُّلْمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلْنَا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَعْلَقَهُ فَشَاهَةُ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ قُلِّ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢).

يحمل الرمحشري - عفا الله عنه - الكاف في قوله تعالى (كعْلَقَه) على معنى (مثل) قائلاً: «يعنى ألم يدخلوا الله شركاء خالقين، قد خلقوا مثل خلق الله،

(١) سورة البقرة ١٩٤.

(٢) سورة الرعد ١٦.

فتتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم^(١) ويسلك مسلكه أبو حيأن قائلاً : «أجعلوا الله شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله، فتشابه ذلك عليهم»^(٢) ونحن لا نخرج إذا قلنا : إن كلام الشيختين في هذا المعنى غير دقيق . وتحرير القول في ذلك : أن مجى الكاف - هنا - دون (مثل) لأجل أنها هي التي تناسب الغرض . وهو - والله أعلم - إنكار أن يخلق العباد شيئاً ، وذلك في مقام إثبات الوحدانية لله تعالى وتفرده بالخلق والإيجاد ، لا إنكار مماثلة خلقهم خلق الله الذي تفرد به (مثل) جل وعلا عن الشبيه والنظير .

ويؤيد كون الغرض نفي الخلق من أساسه سياق الآية الكريمة ، فقد سبق جملة التشبيه إنكار اتخاذ أولياء من دونه ، ونفي أن يملك أحد غيره نفعاً أو ضراً ، وامتناع استواء النقيضين ، ومجى قوله تعالى : (قل الله خالق كل شيء) بعد جملة التشبيه . مشتا كون الخلق كله الله ، ومقرراً انتفاءه عن عدائه . فلم تأت (الكاف) في سياق نفي مماثلة خلق غير الله خلقه ، فثبتت بذلك مخلوقاً لهم ، وإنما أتت لأنكار الخلق من أساسه . وهو ما تختص به الكاف في الدلالة .

وخصوصية الكاف في الدلالة على هذا المعنى بمساعدة المقام والسياق - أولى في نظرنا مما ذهب إليه ابن المنير - طيب الله ثراه - لدفع معتقد الزمخشري من أن غير الله وهم العبيد يخلقون أفعالهم ، ولكن لا يخلقون مثل خلق الله ، لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض ، والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم على زعمه^(٣) . لأن مجى الكاف هنا للدلالة على المشاهدة في الفعل من حيث الواقع ، لا المشاهدة في الفعل من حيث صفاتيه وما يتعلق به ، ولا للمشاهدة بين مخلوق

(١) الكشاف ٢/٣٥٥.

(٢) البحر الخريط ٥/٣٧٩.

(٣) ينظر الإنصاف على الكشاف ٢/٣٥٥.

ومخلوق ، فتوجه الإنكار إلى مجرد وقوع الخلق لا للمتشابهة بين خلق واقع فعلا من الله وخلق غيره كما يزعم المظلون.

ثانياً: ومن خصوصيات الكاف اتساع مجالها في الاستعمال. في بينما لكل كلمة من الكلمات التي تفيد الحكم بالتشابهة معنى تختص به دون أخواتها، لجد الكاف تستعمل للدلالة على المعانى التي تدل عليها هذه الكلمات، فضلاً عما تختص به الكاف. كما سيتضح بعد بمشيئة الله.

والكاف في دلالتها على هذه المعانى حقيقة فيها، ونيست مجازاً في بعضها. إذ لم يقل أحد من العلماء إنما موضوعة لمعنى واحد، ووجه من وجوه الشبه دون غيره. فتعين المعنى المراد منها تعين دلالة اللفظ المشترك على أحد معانيه. خلافاً للدلالة الكلمات الأخرى على معنيين، إذ هي حقيقة في معنى معين، مجاز في غيره، لأنهم عينوا معانيها.

ثالثاً: تتميز الكاف عن غيرها بامكان الإثبات بها في التشبيه جمجم الأغراض التي ذكرها البلاغيون، من بيان الحال، ومقدارها، وتقريرها، وإمكان المشبه، وتزيينه، والتبيحه، واستطرافه، أما الكلمات الأخرى فإنه لا تطرد إلساادة جميع الأغراض بها ، لاختصاص كل منها بمعنى تدل عليه يناسب بعض الأغراض دون بعضها الآخر^(١).

فمثلاً - كلمة (عدل) وما يشتق منها، لما كانت للدلالة على المساواة بين طرفين في أمر حسي أو معنوي، اختلطا أو اتفقا جنساً - كان عينها لبيان الحال، أو المقدار، وكلمة (صنو) لما كانت للدلالة على المشاركة في الأصل فإذاً تستعمل عند بيان الحال، ولا تستعمل عند بيان المقدار. وهكذا تتميز كل كلمة بمعنى يناسب غرضاً ما.

(١) ذكرنا في البحث السابق ما تقيده هذه الكلمات، فجئنا بما عهدا.

رابعاً: تمييز الكاف عن (كان) ففأهمن قالوا: يفادة (أى كان) التشبيه عندما يكون خبرها جاماً، أما عندما يكون خبرها مشتقاً ففي إفادتها التشبيه مناقضة سألي عند الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

تشبيه الأفعال والأحوال بالكاف:

إذا تبعينا شواهد (الكاف) في القرآن الكريم سنلحظ أن أكثرها جاء في تشبيه الأحوال والأفعال ببعضها^(١) ولعل السر في ذلك - والله أعلم - ما كان للقرآن الكريم من اهتمام بالدعوة إلى التوحيد، وبيان الأحكام والتشريعات، والإخبار عن أحوال الأمم السابقة وضرب الأمثال... مما اقتضى كثرة تشبيه الأفعال والأحوال ببعضها بياناً وإرشاداً، وتنبيها وزجراً. بل ما كان اهتمام القرآن الكريم بالصور التشبيهية المتعلقة بالذوات والأشخاص إلا من حيث ما لها من أفعال وصفات ترتبط ببيان مقاصده.

وتشبيه الأفعال والأحوال بالكاف يأتي على ضربين: ضرب يكون القصد منه إلى مطلق المشابهة بين الفعلين اللذين هما المشبه والمشبه به في مطلق الوجود والواقع خارجاً، وهو ما ألمحت إليه قبيل وبيت أنه من خصوصيات الكاف في الدلالة، وشواهد هذا الضرب على كثراً من باب التشابة.

وضرب آخر يلحظ فيه شهرة الوجه أو كماله في المشبه به عن المشبه، بأن يراعى في الوجه بمساعدة قرائين المقام والسيق بعض الصفات أو الكيفيات فيكون التشبيه عندئذ تشبيهاً اصطلاحياً يحصل به بيان الخفي بالظاهر وإلهاق الناقص بالكامل.

ولتحقيق هذا الفرق بين الضربين ننظر إلى دلالة التشبيه في الآيات الآتية:

(١) يراد بالفعل - هنا - الحدث والعمل الذي يقع. أى المعنى اللغوى لا التحوى.

١- قال تعالى: ﴿فَلَقْنَا أَصْنِبُوهُ بِيَغْضِبُهَا كَذَلِكَ يُخْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعْلَكُمْ تَفَقَّلُونَ﴾^(١)

في الآية إيجاز حلف، والمعنى: فتضريوه فأحياء الله، كذلك يحيى الله الموتى.
فالتشبيه بين الفعلين في مجرد الواقع ليس غير. وكلام السلف رحمة الله واضح
في ذلك. يقول الطبرى: «اعتبروا بإيحائى هذا القتيل بعد مماته، فإنه كما أحياته
في الدنيا فكذلك أحيا الموتى بعد مماتهم»^(٢) ويقول أبو حيان: «المائلة إنما هي
في مطلق الإحياء لا في كيفية الإحياء»^(٣) فالتشبيه هنا من الضرب الأول. وإن
كان الأولى بأبي حيان أن يقول: "التشبيه إنما هو في مطلق الإحياء" لما بين
المائلة ومطلق الإحياء من التداعف ، كما سبق أن بيانا.

٢- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ أُنَيْ يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغْنِي الْكِبَرُ وَأَغْرَيَنِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤).

في قوله (كذلك الله يفعل ما يشاء) التشبيه ليس في مجرد وقوع العمل
كالآية السابقة، وإنما هو تشبيه فعل بفعل آخر على صفة معينة، يدل على ذلك
مقام الآية وسياقها. لأن الآية في مقام الحديث عن فعل غريب مشار إليه باسم
الإشارة، وهو تكون الولد من أب فان وأم عاقر، فالمعنى: مثل هذا الفعل الغريب
يفعل الله ما يشاء، فالفرق بين هذه الآية والتي قبلها واضح. والتشبيه هنا من
الضرب الثاني. ونظير هذه الآية أيضا.

(١) سترقى جميع شواهد الكاف ترقى بما فيه شواهد الشاهد، وما يعاد الاستشهاد به موضوع رقمه السابق بين معرفتين هكذا [].

(٢) سورة البقرة .٧٣

(٣) جامع البيان / ١ .٣٦١

(٤) البحر الخريط / ١ .٢٦٠

(٥) سورة آل عمران .٤٠

٣- قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبُّ أَنِي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَنْسَنِي بَشَرٌ قَالَ كَذِلِكَ إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَفْرَا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

أى مثل ذلك الخلق العجيب من غير أن يكون على السنة المعهودة من طريق أب. كذلك يخلق الله ما يشاء من غير توقف على الأسباب الظاهرة.

ولزيادة تجسيم هذا الفرق علينا أن ننظر إلى البيان السبوي الجليل في قوله ﷺ: « لَا تُطْرُوْنِ كَمَا أَطْرُوْيِ عِيسَى بْنُ مُرْيَمَ، وَقُولُواْ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢) فـانه ﷺ في أصحابه والأمة كلها أن تبالغ في مدحه بالباطل، فيصل بها الأمر إلى مدحه بما ليس له، كما فعلت النصارى بادعاء أن المسيح ابن الله.

فالكاف هنا بمعنى (مثل) أى لا يكن منكم إطراء على مماثل للإطراء الذي كان من النصارى على عيسى بن مريم مجاوزين فيه الحد، وليس النهي عن مطلق الإطراء، إذ مدح الرسول ﷺ ، والثناء عليه، وإجلاله، وإنزاله المرارة الالاتقة به فرض على جميع الأمة.

وفي ضوء الرؤية للضررين ستتناول شواهد الضرب الثاني التي تعدد من التشبيه الاستطلاحي - حسب تنويعها. إذ تكون ثارة بمعنى (مثل) عند دلالة الكاف على المماثلة في جنس الفعل وصفته. وأخرى بمعنى (شبه) إن دلت على الفعل وهيئته وصورته. أو تكون بمعنى (مساو) إن دلت على المساواة بين الفعلين في المقدار.

(١) سورة آل عمران ٤٧.

(٢) هذا جزء من حديث طويل في صحيح البخاري، في كتاب الحدود باب رجم الحبل من الزلا إذا أحصنت ٤/١٠٠. وقوله (لا تطروني) (يضم الثناء) أى لا تبالغوا في مدحه بالباطل.

الكاف بمعنى (مثلك):

تكون الكاف بمعنى (مثلك) عند تشبيه الأفعال بعضها إن اتفقا في الجنس

والصفة دون ما يقع به التمايز، وتجلى هذه الدلالة في الشواهد الآتية:

٤- قال تعالى: **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَئْتُمْ مِنْ كَمَا آمَنَ**

السُّفَهَاءِ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَهُ ^(١)

في الآية شاهدان: قوله تعالى (آمنوا كما آمن الناس) والمعنى: آمنوا إيمانا مثلا

إيمان من كمل في جنس الإنسانية بأن صدقوا بما جاء به محمد ﷺ من عند رب

بحيث لا يكون إيمان ادعاء، كمن يقولون: (آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم

مؤمنين) ^(٢) قال العلامة السيد: «ولفظ (ما) في (كما) إن كانت كافة للكاف عن

العمل مصححة لدخولها كان التشبيه بين مضمون الجملتين ، أى حفروا إيمانكم

كما تحقق إيمانهم، وإن كانت مصدرية – فالمعنى آمنوا إيمانا مشابها لإيمانهم» ^(٣).

وقوله تعالى حكاية عنهم: **(أَئْتُمْ مِنْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءِ)** التشبيه فيه – يفيد

أيضاً- معنى مثل. فهم يتكلرون – خيرهم الله- أن يؤمنوا إيمانا مثلا لإيمان

المؤمنين. فالإيمان الذي يطالبون به وهم يرفضونه إيمان له صفات معينة لا تتحقق

المتألة إلا بها.

٥- قال تعالى: **أَفَمُرِيدُونَ أَنْ يُسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ**

وَمَنْ يَتَبَدَّلُ الْكُفَّارُ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ مِنَ السَّبِيلِ ^(٤).

(١) سورة البقرة ١٣.

(٢) ينظر جامع البيان ١٢٧/١.

(٣) حاشية السيد على الكشاف ١٨٢/١.

(٤) سورة البقرة ١٠٨.

ليس الإنكار لمطلق وقوع سؤال وإنما هو إنكار لسؤال معهود من قوتهم
أجعل لنا إلهاً.. وأرنا الله جهراً وغير ذلك . فالكاف للدلالة على المماثلة بين
 فعلين جنساً وصفة.

٦- قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى
لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَلَوُنُ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ
فَوْلِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ هُنَّ (١) .

الكاف في (كذلك ..) بمعنى (مثل) لأن التشبيه ليس في مجرد قول بدلالة
المقام والسياق ، فالقول الذي تشاهدو فيه معروف من صدر الآية ومحيء (مثل)
صربيحة في الدلالة على هذه المماثلة . فالمقالتان أى مقالة اليهود والنصارى ومقالة
الذين لا يعلمون توافقتا ، حدوك التغلب بالتأغل .

٧- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ نَأْتِنَا آيَةً كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مُثْلُ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ فَذَبَّتَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ هُنَّ (٢) .
والقول فيها مثل الآية السابقة .

٨- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فِرِيقاً مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ هُنَّ (٣) .

٩- وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ هُنَّ (٤) .

(١) سورة البقرة ١١٣ .

(٢) سورة البقرة ١١٨ .

(٣) سورة البقرة ١٤٦ .

(٤) سورة الأنعام ٤٠ .

(كما يعرفون أبناءهم) أى معرفة واضحة مثل معرفتهم أبناءهم في الوضوح وعدم اللبس والخلفاء. قال الزمخنثري: «كما يعرفون أبنائهم بخلالهم وتعورهم، لا يخفون عليهم ولا يتبعون بغيرهم»^(١) فطرقا التشبيه فعلاً اتفقا جنساً وصفة فتحققت المائلة بينهما.

١٠ - قال تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) مقام الآية من إعلان سياسة الحرب ومعاقبة المعتدى ليردّع وما في السياق من الإيمان بالمصدر الصريح المضاف إلى الكافرين بما له من دلالات على الواقع وعلى هذا الجزاء - كل ذلك دليل على أن الكاف بمفعي (مثل) لدلالةها على المائلة في الجنس والصفة.

١١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِنَاءُ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابْلَقَ فَرَسَكَهُ صَنْدَأً لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)

(كالذى ينفق ماله رباء الناس) أى إبطالاً كإبطال الذى ينفق ماله رباء الناس. هذا على إعراب الكاف نعتاً لمصدر مخدوف، أما إن كانت في موضع الحال - أى لا بطلوا صدقاتكم مشبهين الذى ينفق ماله رباء الناس فيطلقها بالرباء.^(٤) فإن الكاف عدائد لا تكون للمائلة بين الأفعال وإنما لتشبيه الذوات.

(١) الكشاف ١٠/٢

(٢) سورة البقرة ١٩١

(٣) سورة البقرة ٢٦٤

(٤) ينظر البحر الخيط ٢٠٨/٢

١٢ - قال تعالى: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدُهُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرُهُمْ أَفْوَأُهُمْ وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوهُم بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُوهُم بِخَلَاقِهِمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخَصْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(١).

غرضنا - هنا - مرتبط بالشاهددين الثاني والثالث: قوله تعالى (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) أي استمتعوا مثل استمتاع من سبكم فهو غاية في الفعل والتمكن منه وامتلاك جميع وسائله، وقوله: (كالذى خاضوا) أي وخضتم خوضا مثل الخوض الذى خاضوا، أو مثل خوضهم، على أن (الذى) موصول اسمى أو حرفي^(٢) والتشبيه عندئذ تشبيه بين الأفعال، والكاف بمعنى (مثل) قال الزمخشري : «كالذى خاضوا - كالفوج الذى خاضوا، أو كالخوض الذى خاضوا»^(٣) وعلى تفسيره الأول يكون التشبيه بين الذوات لا الأفعال.

١٣ - قال تعالى: ﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مُرْيَاةٍ مُّمَا يَعْبُدُ هُؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنَّ لَمُؤْلُودَهُمْ لَصِيهَّمْ غَيْرَ مَنْقُوشَ ﴾^(٤).
 (كما يعبد آباؤهم) أي عبادتهم تغایل عبادة آبائهم من الشرك، بلا تفاوت.
 هذا على اعتبار (ما) في (ما) و(كما) مصدرية، أما على كونها موصولا اسميا ف تكون المائلة بين الذوات .

١٤ - قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَغْلَكَ وَلَا تَطْفَوْ إِلَهٌ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٥) قال الزمخشري: «فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها»^(٦).

(١) سورة التوبه ٦٩.

(٢) ينظر مinar المسالك إلى أرض المسالك ١/٧٧.

(٣) الكشاف ٢٠١/٢.

(٤) سورة هود ١٠٩.

(٥) سورة هود ١١٢.

(٦) الكشاف ٢٩٥/٢.

١٥ - قال تعالى: ﴿فَلَدَّلَكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمْرَتَ وَلَا تَبْيَغْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أَمْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرَتُ لِأَغْدِلَ يَتَبَّعُكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَغْمَانًا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةٌ بَيْتَنَا وَبَيْتُكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْتَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١).

أى استقام استقامة من جنس ما أمرك الله به من الخيفية السمححة.

١٦ - قال تعالى: ﴿فَقَالَ هَلْ آمِنْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسِكْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلٍ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢):

(كما أمنتكم) اثمنانا من جنس الاتمام السابق المصحوب بالوعود المؤكدة، والدى يتخوف منه.

١٧ - قال تعالى: ﴿فَالْأُوْلَأُ جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ لَجُزُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) أى مثل ذلك الجزء من إستراق السارق نجزى الظالمين بالسرقة لا تحيى عنه. فالتشبيه مراعى فيه خصوصية في الجزاء لا مطلق وقوع جراء، فالكاف بمعنى (مثل).

١٨ - قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَذْعُونَ مِنْ ذُولِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْتُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٤).

التشبيه بين الأفعال، وتقدير المعنى «إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي كاستجابة الماء من باسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه»^(٥) فالكاف بمعنى (مثل)

(١) سورة الشورى ١٥.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

(٣) سورة يوسف ٧٥.

(٤) سورة الرعد ١٤.

(٥) الكشاف ٢/٣٥٤.

والتشبيه تمثيل، وطبيعة التمثيل استكمال الأوصاف التي تتحقق بها المبالغة بين الطرفين.

١٩ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِي نَسْقَطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ ثَانِيَةً بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبْلَاهُمْ**^(١).

(كما زعمت) أي إسقاطا مثل الإسقاط الذي زعمت القدرة عليه. قال الزمخشري: «يعنون قول الله تعالى: **إِنْ تُشَأْ تُخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ لَسْقَطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ**^(٢).. ^(٣) فالكاف بمعنى (مثل).

٢٠ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِي يَلْعَنُ الْأَطْفَالَ مِنْكُمْ الْحَلْمَ فَلَيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**^(٤).

أي يستأذن الأطفال استئذانا مماثلا استئذان المعاليك في الآية السابقة «يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملکن أياماكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات..» فالمتشبه به له صفات معينة في الوقت والعدد، وليس التشبيه في مطلق وقوع إذن. فالكاف بمعنى (مثل) - والتشبيه الثاني له موضعه.

٢١ - قال تعالى: **لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ يَتَنَزَّلُكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَغْضًا قَدْ يَغْلِمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِأَ فَلَيَخْذُلَ الدِّينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**^(٥).

(١) سورة الإسراء .٩٢.

(٢) سورة سبا .٩.

(٣) الكاشف ٤٦٦/٢.

(٤) سورة النور .٥٩.

(٥) سورة النور .٦٣.

(كـدـعـاء بـعـضـكـم بـعـضا) أـي دـعـاء مـثـل دـعـاء بـعـضـكـم بـعـضا بـاسـمـه الـذـى سـمـى
بـه، بـأـن تـقـولـوا يـا مـحـمـد كـمـا يـنـادـى الـوـاحـد مـنـهـم أـخـاه بـاسـمـهـ. فـالـكـافـ جـاءـتـ
لـلـدـلـلـةـ عـلـى الـمـاـمـلـةـ عـلـى سـبـيلـ النـهـىـ عـنـ هـذـهـ المـاـمـلـةـ. وـدـلـلـلـ السـيـاقـ، مـنـ النـهـىـ
وـمـنـ كـوـنـ الـمـشـبـهـ بـهـ دـعـاء بـعـضـهـمـ بـعـضاـ. وـاضـحةـ فـيـ أـنـ الـكـافـ بـعـضـىـ (مـثـلـ).ـ

٢٢ - قـالـ تـعـالـىـ: (فـقـالـلـوا بـلـ وـجـدـنـا آـبـاءـكـا كـذـلـكـ يـفـعـلـونـ) ^(١)

أـيـ مـثـلـ الـذـىـ نـفـعـلـهـ مـنـ عـبـادـةـ الـأـصـنـامـ فـعـلـ آـبـاؤـنـاـ، لـشـئـ غـيرـهـ. وـمـقـامـ دـفعـ
إـنـكـارـ إـبـرـاهـيمـ عـلـىـهـ السـلـامـ عـبـادـقـمـ بـأـنـمـ يـمـالـلـونـ آـبـاءـهـمـ وـتـقـدـيمـ اـسـمـ الـإـشـارـةـ (ذـاـ)
الـمـشـبـهـ بـهـ، لـإـفـادـةـ حـصـرـ عـبـادـقـمـ فـيـ ذـلـكـ.ـ كـلـ هـذـاـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ الـكـافـ بـعـضـىـ
(مـثـلـ).ـ

٢٣ - قـالـ تـعـالـىـ: (فـإـنـ شـجـرـةـ الزـقـومـ • طـغـامـ الـأـلـيـمـ • كـأـمـهـلـ يـذـلـلـيـ فـيـ
الـبـطـوـنـ • كـفـلـيـ الـحـمـيمـ) ^(٢).

الـشـاهـدـ (كـفـلـيـ الـحـمـيمـ) أـيـ يـغـلـيـ غـلـيـاـ مـثـلـ غـلـيـ الـحـمـيمـ فـيـ شـدـتـهـ وـصـعـوبـتـهـ.

٤ - قـالـ تـعـالـىـ: (فـأـصـبـرـ كـمـا صـبـرـ أـوـلـاـنـاـ الـعـزـمـ مـنـ الرـوـسـلـ وـلـاـ تـسـتـغـلـ
لـهـمـ كـأـنـهـمـ يـوـمـ يـرـؤـنـ مـاـ يـوـعـدـوـنـ لـمـ يـلـبـسـوـاـ إـلـاـ سـاعـةـ مـنـ نـهـارـ بـلـاغـ فـهـلـ يـهـلـكـ إـلـىـ
الـقـوـمـ الـفـاسـقـونـ) ^(٣).

أـيـ صـبـرـ مـثـلـ صـبـرـ أـوـلـاـنـاـ الـعـزـمـ الـذـىـ تـحـمـلـوـاـ فـيـ شـدـالـدـ الـإـيـذـاءـ مـنـ قـوـمـهـ
وـمـنـ يـدـعـوـهـمـ.ـ فـلـيـسـ التـشـبـهـ فـيـ مـجـرـدـ صـبـرـ،ـ وـإـنـاـ هـوـ صـبـرـ لـهـ خـصـوصـيـةـ بـأـوـلـاـ
الـعـزـمـ.

(١) سورة الشوراء ٧٤.

(٢) سورة الدخان ٤٣ إلى ٤٦.

(٣) سورة الأحقاف ٣٥.

٢٥ - قال تعالى: **هُنَّا أَيْمَانُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْنَاعَكُمْ فَوْقَ صَوْنَتِ النَّبِيِّ**
وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَخْبِطَ أَغْمَالُكُمْ وَأَسْنَمُ لَا
تَشْعُرُونَ ^(١).

الكاف في (كجهر بعضكم لبعض) للمبالغة في الجنس والصفة. من قوله
 جاريا بينهم، لكن ليس ذلك على سبيل الاستهزاء، لأنهم مزهون عن ذلك. وإنما
 هو جهر فيه بعض التسامح.

٢٦ - قال تعالى: **هُنَّا أَيْمَانُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْنَا قَوْمًا غَضِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَإِذْ**
يَشْعُرُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئْسَنَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْنَاعَ الْقَبُورِ ^(٢).

شيء الله تعالى يأسهم في أن يكون لهم حظ في الآخرة بآسيهم من رجوع
 موئدهم بجماع انقطاع الأمل. أو شيء يأسهم من التربية والرحمة وهضم أحياط
 الدنيا بآسيهم وهم أحياط في انقطاع أسباب الإيمان والعمل فـ(من) ابتدائية على
 الأول، ولبيان الجنس على الثاني ^(٣). والتشبيه لإلحاد الناقص بالكامل، ودللت
 الكاف على المبالغة بين الطرفين في الجنس والصفة.

٢٧ - قال تعالى: **هُوَ أَكْلَمُهُمْ ظَنَّوْا كَمَا ظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ يَعْثُثَ اللَّهُ أَخْدَانَهُ** ^(٤).
 أي ظنوا مثل ظنك في جنسه وصفته. فالتشبيه ليس في مطلق ظن، وإنما في
 ظن ضلال وعني بأن الله لن يبعث أحدا.
 وقد يكون المشبه به حالاً مفهومه من كلام سابق مشاراً إليها باسم إشارة
 واقع في اللفظ مشبهاً به كما في الآية الآتية:

(١) سورة الحجرات. ٢.

(٢) سورة المعنفة. ١٣.

(٣) ينظر الكتاب ٩٦/٤ والبحر الطهير ٢٥٩/٨.

(٤) سورة الجن. ٧.

٢٨ - قال تعالى: ﴿هُنَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَنْقَلَكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعَنْدَ اللَّهِ مَقَامُ كَثِيرَةٍ كَذَلِكَ كُنُّتُمْ مَنْ قَبْلُ فَمَنِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١).

(كذلك كنتم من قبل) المشبه به الحال المفهومة من الكلام السابق القى كان عليها ملقى السلام، المشار إليها باسم الإشارة. أى كانت حالكم أول ما دخلتم الإسلام مثل هذه الحال، لا تملكون لتحسين نفسكم إلا النطق بالشهادة دون نظر إلى بوطن نفوسكم^(٢).

وقد يكون التشبيه بين الأحوال محمولا على المعنى، فيقدر المصدر بما لما يقتضيه هذا المعنى، كما في الآية الآتية.

٢٩ - قال تعالى: ﴿إِنَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيْوْنَ تَعْنِي أَنْصَارَ اللَّهِ فَأَمْتَنَتْ طَافِقَةً مَنْ يَنْبَئِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَافِقَةً فَأَيَّدَتَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَضْبَخُوا ظَاهِرِيْنَ﴾^(٣).

(كما قال عيسى...) المعنى لا يستقيم إلا بتقدير مدلوف إذ لا شبه بين كون المسلمين أنصار الله وبين قول عيسى.. لأن الشبه بين كونهم أنصارا للنبي ﷺ وكون الحواريين أنصارا لعيسى عليه السلام، فوجب أن يكون التقدير: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله^(٤).

(١) سورة النساء .٩٤.

(٢) ينظر الكشاف ١/٥٥٥/٣٢٩ والبحر .٣٢٩/٣.

(٣) سورة الصاف .١٤.

(٤) ينظر الكشاف ٤/١٠١ وشرح التلخيص ٣/٣٨٨.

ومن تشبيه الأفعال بالكاف في الشعر للدلالة على المبالغة قول الأعشى

يصف ناقته:

عنتريس تعلو إذا مسها السو ط كعدو المصلصل الجوال^(١)

أى تعلو مثل عدو حمار الوحش في لشاطه وسرعته، فالتشبيه في جنس العدوان صفة.

وقال في فضل الشعر:

والشعر يسترل الكريم كما اسـ تزل رعد السحابة السيلـ^(٢)

يشبه استزال الشعر عطاء الكرام واستخراجه باستخراج الرعد ماء السحابة وخيرها. فالكاف في هذا البيت والذى قبله بمعنى (مثل).

وما لا يستقيم التشبيه فيه إلا بتقدير في الكلام قول الأعشى:^(٣)

تسمع للحلـى ومواسـا إذا الصرفتـ

كما استعـان بـريح عـشرق زـجل^(٤)

يشبه خشخـة حلـى المرأة التي يصفها بخشخـة شجـرة لعبـتـها الـريحـ.

وواضح أن تشبيه وسواس الحلـى باستعـانـة الشـجـرة بالـرـيحـ لا يستـقيمـ وإنـماـ المعـنىـ
تـسـمعـ صـوـتاـ كـمـاـ تـخـشـخـشـ شـجـرةـ لـعـبـتـهاـ الـرـيحـ.

(١) ديوان الأعشى ١٦٥ - والعنترис: الصلبة القوية. والمصلصل: حمار الوحش لشدة ثقته.

(٢) ديوان الأعشى ١٧١.

(٣) جتنا بـهـذاـ الشـاهـدـ جـلـريـانـهـ عـلـىـ أـسـلـوبـ القرـآنـ الـكـرـيمـ فـآتـيـةـ الصـفـ (ـبـاـ إـيـهـ اللـذـينـ آتـيـوـاـ كـوـنـوـاـ أـنـصـارـ

الـ اللهـ...ـ).

(٤) ديوان الأعشى ١٤٤ والمواسـ: الصـوتـ، والعـشـرقـ: شـجـرةـ.

الكاف بمعنى (شبہ)

قد تأتي الكاف عند تشبيه الأفعال بما دالة على هيئة الفعل وصورته، فائماً بفاعله، مرتبطاً بمعنده.

فتشكون عنده بمعنى (شبہ) وشواهدها ما يأتي:

٣٠ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُمُ الْدِي**
يَتَعَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَخْلَى اللَّهُ الْبَيْعُ
وَحَرَمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّهِ فَاتَّهَى لَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرَةً إِلَى اللَّهِ وَمَنْ
عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١).

(كما يقوم الذي يتغطّي الشيطان من المس) أي قياماً يشبه قيام المتصرو ع بمس الشيطان في صورته وهيته من خلط حركاته وتغطّي نتيجة لما يستفزه من الطمع.

٣١ - قال تعالى: **هُوَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا تَرَكَنَا مُصَدِّقاً لِمَا**
مَعَكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ لَطَمَسَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَدُّهُمْ عَلَى أَذْبَارِهِمْ أَوْ لَقَنَهُمْ كَمَا لَعَنَ
أَصْحَابِ السَّيْرَتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٢).

(كما لعننا أصحاب السبت) التشبيه في الصورة والمفيدة من المسمى قردة وخنازير بدلالة مقام التهديد ووقوع هذا اللعن في سياق ذكر المسمى في قوله تعالى: **هُوَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّيْرَتِ فَلَعْنَاهُمْ كُوْكُوا قِرَدَةً**
خَاسِيَنَهُمْ (٣).

٣٢ - قال تعالى: **هُوَ قُلْ أَذْغَوْهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَتَرَدُّهُمْ عَلَى**
أَغْفَابِهَا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُ اللَّهُ كَمَا لَدِي استهْوَهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ
يَذْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِنَّهَا قُلْ إِنَّهُمْ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُكَ لِتُسْلِمَ لِرَبِّ
الْقَالِمِينَ (٤).

(١) سورة البقرة .٢٧٥

(٢) سورة النساء .٤٧

(٣) سورة البقرة .٦٥

(٤) سورة الأنعام .٧١

(كالذى استهروه الشياطين) ذكر أبو حيان إعرايبن للكاف قالا: «وموقع - كالذى - نصب، قيل. على أنه نعت مصدر مخدوف أى ردًا مثل ردَ الذى. والأحسن أن يكون حالاً. أى كائنين كالذى»^(١) والرأيان لا يختلفان في أن التشبيه بصورة وهبته مشاهدة، وأن الكاف بمعنى (مثبه) لكن على كونه وصفاً يكون تشبيهاً بين فعلين والنظر إليهما أصلاه. مع تعلقه بالفاعل والمفعول. وعلى كونه حالاً يكون التشبيه بين ذاتين في هبتهما وصورهما الابادية للعنان. صور من رجع على عقبه بصورة من لعبت به الشياطين وأصابته بالخيرة والتخطيط.

٣٣ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُوكُلَّ فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا حَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا كُرِيَ مَعَكُمْ شَفَاعَاءَ كُمُ الدِّينَ زَعْفَرَانُهُمْ فِي كُمْ شَرِكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْشَمْ لَزَعْمُونَهُمْ﴾^(٢).

(كما خلقناكم أول مرة) أي يحيى يشبه مجنيكم عند خلقكم أول مرة، منفردين عن الأولاد والأموال والأوصان التي عبدتموها من دون الله، تشبهون في هذه الصورة وهذه الهيئة ما كنتم عليه عند الخلق الأول، فالكاف بمعنى (شيء).

٣٤ - قال تعالى: ﴿إِنَّ عَدَدَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَاتِلُوكُمْ كَافَةً وَأَغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

(١) البحر الخريط ٤/١٥٨.

(٢) سورة الأنعام ٩٤.

(٣) سورة العنكبوت ٣٦.

(كما يقاتلونكم كافة) - كافة - في الموضعين حال من الفاعل أو المفعول، أي قاتلوهم قتالاً هميتكم وصورة التفير العام لا يختلف منكم أحد كما يفعلون ذلك معكم. أو قاتلوهم جميعاً لا تتركوا منهم أحداً وعاملوهم جميعاً معاملة المخرب. كما يفعلون معكم. والكاف وإن دلت - أيضاً - على المبالغة في صفات أخرى غير حسية مشاهدة، إلا أنه لما كان عنصر الحسيات أكثر ظهوراً وإدراكاً فإن حل الشواهد التي من هذا القبيل على كون الكاف بمعنى (شب) يكون أحق وأ أولى.

٣٥- قال تعالى : ﴿إِنَّ أَخْسَثْتُمْ أَخْسَثْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسْأَلْتُمْ فَلَهَا فَلَذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُورُوكُمْ وَجْهُوكُمْ وَلَيُذْخِلُوكُمْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلْتُمْ أُولَئِكُمْ مَرَّةً وَلَيُبَيِّنُوكُمْ مَا عَلِمْتُمْ ثُمَّ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(١).

(كما دخلوه أول مرة) قال أبو حيان: (أى بالسيف والغلبة والإذلال)
فالكاف دلت على الشيء في الصورة والهيئة المشاهدة ، فهو ، معنٍ (شيه).

٣٦ - قال تعالى : ﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَا لَقَدْ جَسَّمُوا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَّةً بَلْ زَعْمُتُمْ أَنَّنِي جَنَّلَ لَكُمْ مَوْعِدًا كُمْ ﴾^(٢)

(كما خلقناكم أول مرة) اي مجينا يشبه مجينكم أول مرة حفاة عراة غرلا ، لا شيء معكم .

٣٧- «بَلْ قَالُوا أَهْنَاقُ أَخْلَامٍ بَلْ افْرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلَيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلَ الْأُولُونَ» (٣).

(كما أرسل الأولون) أى إثباتاً يشبه إثبات الأولين بالآيات المشاهدة المحسوسة التي فيها خوارق للعادات ولا تكون كلاماً مفترى من عنده.

(١) سورة الإسراء ٧.

٤٨ سورة الكهف

٥- سورة الأنساء

قال أبو حيان : ((الكاف في - كما أرسل - يجوز أن تكون في موضع
النعت لآية و - ما أرسل - في تقدير المصدر . والمعنى بآية مثل آية إرسال
الأولين ، ويجوز أن يكون في موضع النعت لمصدر معدوف ، أي إبيانا مثل إبيان
الأولين ، أي مثل إبيانهم بالآيات))^(١) والكاف على التقدير بمعرف (شبيه) إلا
أنما على التقدير الأول تكون تشبيها بين الذوات والأشياء ، فليست شاهدا لهذا
الموضع ، وعلى التقدير الثاني تكون شاهدا له ، وهو التشبيه بين الأفعال.

- ٣٨ - قال تعالى : « يَوْمَ نَطْرُو السَّمَاءَ كَطْيُ السِّجْلِ لِكُتُبٍ كَمَا
بَدَأْنَا أَوْلَ خَلْقَنِ عَيْدَةً وَغَدَّا عَلَيْنَا إِلَى كُتُبٍ فَاعْلَمْنَاهُمْ »^(٢) .
(كتفي السجل للكتب) طيا يشبه طي الكاتب صحائفه فالتشبيه لصورة
الحركة فالكاف بمعرف (شبيه) والشاهد الثاني من شواهد التشابه.

- ٣٩ - قال تعالى : « أَشَحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتُهُمْ يَنْظَرُونَ
إِلَيْكَ تَدْرُرُ أَعْتِنْهُمْ كَالَّذِي يُفْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
بِالْأَسْنَةِ حَدَادِ أَشَحَّةٍ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا »^(٣)

(كالله يفشى عليه) أي ينظرون إليه نظرا يشبه نظر المفسحي عليه تراه
يقلبه هنا وهناك . فالكاف بمعرف شبيه ، لأن التشبيه في صورة مشاهدة.

- ٤٠ - قال تعالى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَنْوَى لَهُمْ »^(٤)

(١) البحر الضيق ٢٩٨/٦

(٢) سورة الانبياء ١٠٤

(٣) سورة الأحزاب ١٩

(٤) سورة محمد ١٢

(كما تأكل الأنعام) أي أكلًا يشبه في صورته وهي منه أكل الأنعام في مسارحها ومعاقيدها وهي في غفلة ولهو عما يضره لها. وهذه هيئه الكافر وصورته عند أكله، فالكاف بمعنى (شيء) أو أن أكلهم مجرد عن الفكر والنظر، لهم يعيشون عيشة جهل وغفلة^(١) ولا يلحظ عند ذلك الصورة الحسية. على أن مراعاه الصورة المشاهدة تستلزم معنى الغفلة. ولما كان تلقى الصورة المشاهدة من التشبيه أسرع من الشبه العقلي استشهدنا بالآية للكاف بمعنى (شيء). ومن شواهد الكاف بمعنى (شيء) في الشعر عند تشبيه الأفعال الآيات الآتية:

فمن قصيدة (ودع هريرة) يقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشى الملوينا كما يمشي الوجى الوجل^(٢)

يصفها بالبياض وطول الشعر وجمال الأسنان، وفي قوله (كما يمشي الوجى الوجل) يشبه حركة مشيها في تماثيلها واهتزازها بحركة من يمشي في الوجل ومن يشتكي شيئاً. والذى يعنيها أن الكاف دلت على الصورة المشاهدة فهى بمعنى (شيء).

وابدع منه في وصف هذا التماثيل والتباخر قول طرفة:

فذالت كما ذات وليدة مجلس

ترى رها أذيال سحل مدد^(٣)

(١) الظر الكثاف ٥٣٢/٣ والبحر الضيق ٧٧/٨.

(٢) القصيدة في ديوانه ١٤٤ - وفراء: بهناء - فرعاء: طولبة الشعر - عوارضها: أستانها - الوجى: الدابة - تشتكي حافرها. الوجل: الواقع في الوجل.

(٣) شرح الفهائد السابع الطوال ١٨٥. ومعنى ذات: ماست وتبخرت. سحل مدد: لوب أبيض مرسل.

يصف تبخر ناقه في مشيتها مشبها له بتبخر الجاريه في مجلس سيدها.
فالكاف في (كما ذات) بمعنى (شبه) أي ذيلا يشبه ذيل ولدته).

ويقول الشماخ يصف رسوم الديار:

أتعرف رسما دارسا قد تغيرا

بلروءة أقوى بعد ليلي وأقروا

كما خط عبرالية بيمنيه

بتيماء حبر ثم عرض أسطر (١)

يشبه صورة رسم الديار وهيئة خطوطه وآثاره غير الشاخصة بما يكتبه حبر
يهودي بالعبرية دون تحسين. فالكاف في (كما خط) بمعنى (شبه) لأن التشبيه بما
في صورة مشاهدة.

الكاف بمعنى (يساوي)

قد تأتي الكاف عند تشبيه الأحوال والأفعال دالة على المساواة في المعنى
الذى يشترك فيه الظرفان. وللحظ في شواهد هذه الدلالة في القرآن الكريم
اعتمادها على قرائين السياق. كذلك جاءت الكاف بهذه الدلالة بين فعلين
مختلفين جنسا. وشواهد ذلك ما يأتي:

٤١ - قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَذَّلُ مِنْ ذُونَ اللَّهِ أَنْذَادًا يُحْجُرُهُمْ
كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آتَوْا أَهْدًا حَبَّا اللَّهَ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْقَذَابَ
أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِذَابِ) (٢).

(١) ديوان الشماخ ١٢٩. والرسم: ما لا شخص له من الآثار. وقروة: بلدة. وتيماء: بلدة في أطراف الشام، وعرض: كتب على عجلة ولم يتعلق. والخبر: واحد أحبار اليهود.

(٢) سورة البقرة ١٦٥.

(كحب الله) أى يحبونه حباً مساوياً لحبهم له. فالكاف - هنا - بمعنى (مساو) يدل على ذلك قرينة السياق (والذين آثروا أشد حباً له) إذ لو لم تكن هذه القراءة موجودة لاحتمل المعنى الإيجار بالفم يحبونهم مثل حبهم له دون نظر إلى المساواة. قال الزجاج : " يحبونهم كحب الله - أى يسرون بين هذه الأولياء وبين الله - عز وجل - في الحبة، وقال بعض التحويين: يحبونهم كحبيكم أنت لهم وهذا قول ليس بشيء، ودليل نقضه قوله (والذين آثروا أشد حباً لله) والمعنى أن المخلصين الذين لا يشركون مع الله غيره هم المخلصون حقاً^(١)، وقال أبو حيان ((الكاف في موضع نصب، إما على الحال من ضمير الحب المخلوف على رأى سيبويه، أو على أنه نعت لمصدر مخلوف ، على رأى جمهور المعربين. التقدير على الأول: يحبونهم أى الحب مشبهاً حب الله، وعلى الثاني: حباً مثل حب الله)^(٢).

ولنن نرى أن جعله الكاف بمعنى (شب) مرة و (مثل) أخرى لا يتفق مع ما يبناء من أن الكاف بمعنى (مساو) إذ لا مشابهة في صورة. ولا مبالغة في الجنس والصفات.

٤٢ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ أَبْاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فِيمَنِ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ دِينَنَا إِلَيْنَا لِيَ الدِّينُ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾^(٣).

(كذكركم آباءكم) أى ذكراً مساوياً ذكركم آباءكم، بقرينة (أو أشد ذكراً) قال الزجاج: ((كانت العرب إذا قضت مناسكها وقفت بين المسجد بمعنى

(١) معان القرآن واعرابه ٢٢١/١.

(٢) البحر الطيب ٤٧٠/٤.

(٣) سورة البقرة ٢٠٠.

وبين الجبل فتعدد فضائل آبالها، وتذكر مخاسن أيامها، فامرهم الله أن يجعلوا ذلك الذكر له، وأن يزيدوا على ذلك الذكر، فيذكروا الله بتوحيده وتعديده نعمه. لأنه إن كان لآبائهم نعم فهى من عند الله - عز وجل - وهو المشكور عليها))^(١). وكون الكاف هنا بمعنى (مساو) أووضح من أن يخفى.

٤٣ - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُرًا أَيْدِيهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَكْوَبُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَبَّ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدُّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لَمْ كَبَّتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ كُلُّ مَنْاعِ الدُّلَّا كَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا ظَلَمُونَ فِي لِلَّاهِ﴾^(٢).
جهلهم.

٤٤ - قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَرْتُكُمْ إِلَّا كَفِنْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣).

(كفن واحدة) أي تساوى خلق نفس واحدة ((أي سواء في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، لا يتفاوت))^(٤) فالكاف بمعنى (مساو).

وقد جاءت للمساواة بين المختلفين جنسا في هاتين الآيتين:

٤٥ - قال تعالى: ﴿وَلَلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْنُغُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَرِيرٌ﴾^(٥).

(١) معانى القرآن وإعرابه ٢٦٤/١.

(٢) سورة النساء ٧٧.

(٣) سورة لقمان ٢٨.

(٤) الكتاب ٢٣٦/٣.

(٥) سورة التحل ٧٧.

(كلمـح البصـر أى مـساو لـلمـح البـصر فـالسـرعة، وـهـذا تـشـيـيـه لـلـخـفـىـ بالـظـاهـر). قال أبو حـيـان ((قـيلـ: لـمـا كـانـتـ السـاعـةـ آـتـيـةـ وـلـا بـدـ جـعـلـتـ منـ القـرـبـ كـلـمـحـ البـصرـ. وـقـالـ الرـجـاجـ: لـمـ يـرـدـ أـنـ السـاعـةـ تـائـيـ فـيـ لـمـحـ البـصرـ، إـنـا وـصـفـ سـرـعـةـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـإـيـانـ هـاـ، أـىـ يـقـولـ لـلـشـئـ كـنـ فـيـكـونـ). وـقـيلـ هـذـا تـشـيـيـلـ لـلـقـرـبـ، كـمـا تـقـولـ: مـاـ السـنـةـ إـلـاـ لـحـظـةـ) ^(١) فالـكـافـ أـفـادـتـ المـساـواـةـ عـلـىـ سـبـيلـ التـخـيـلـ وـالـتـمـيـلـ بـيـنـ طـرـفـيـنـ اـخـلـفـاـ فـيـ الـجـنـسـ. وـسـاعـدـ عـلـىـ مـعـنـىـ المـساـواـةـ قـرـيـنـةـ قـوـلـهـ (أـوـ هـوـ أـقـرـبـ).

٤٦ - قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمْبَنِي بِالْبَصَرِ﴾ ^(٢).

(كلـمـحـ بـالـبـصـرـ) قال الرـغـشـرى ((إـلـاـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ سـرـيـعـةـ التـكـوـنـ كـلـمـحـ بـالـبـصـرـ أـرـادـ قـوـلـهـ (كـنـ)...)). وـقـالـ أبو حـيـانـ: ((تـشـيـيـهـ بـأـعـجـلـ مـاـ يـحـسـ)) ^(٤) فالـتـشـيـيـهـ لـإـخـرـاجـ الـمـقـولـ فـيـ صـورـةـ مـحـسـوـمـةـ تـقـرـيـبـاـ لـإـدـراكـ أـنـ قـدـرـةـ اللهـ لـاـ حدـودـ هـاـ).

ويـعـتمـدـ فـيـهـ مـعـنـىـ الـمـساـواـةـ مـنـ التـشـيـيـهـ فـيـ الـآـيـةـ عـلـىـ الـمـقـامـ وـقـرـيـنـةـ الـسـيـاقـ الـعـامـ؛ فـقـدـ جـاءـ التـشـيـيـهـ بـ(ـلـمـحـ بـالـبـصـرـ) دـلـالـةـ عـلـىـ الـمـساـواـةـ فـيـ آـيـةـ سـوـرـةـ الـحـلـ الـسـابـقـةـ مـصـحـوـبـاـ هـذـاـ التـشـيـيـهـ بـقـرـيـنـةـ سـيـاقـيـةـ وـهـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: (أـوـ هـوـ أـقـرـبـ).

الـكـافـ وـمـعـنـىـ (ـنـظـيرـ)

جـاءـتـ الـكـافـ دـالـةـ عـلـىـ مـعـنـىـ (ـنـظـيرـ) فـيـ الـآـيـةـ الآـتـيـةـ:

٤٧ - قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمْتَأْ بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فَتَنَّ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ لَهُ مِنْ رَبِّكَ لَقَوْلَنَ إِلَّا كَمَا مَنَّكُمْ أَوْلَئِسَ اللَّهُ بِمَا عَلَمْ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥).

(١) البحر الهفيط .٥٢٠/٥

(٢) سورة الفرقان .٥٠

(٣) الكتاب .٤٢/٤

(٤) البحر الهفيط .١٨٣/٨

(٥) سورة العنكبوت .١٠

المعنى والله أعلم أفهم يجعلون فتنه الناس في صرفها لهم عن الإيمان نظير عذاب الله في صرفة عن الكفر والمعاصي^(١).

والمناظرة بين الطرفين تتحقق بجعل أثر كل منهما يزاوج الآخر وتقابل أثراًهما. وليس الكاف للممالة؛ لأن ((الفرق بين المثل والناظر أن المثلين ما تكافأ في الذات، والناظر ما قابل ناظره في جنس الفعاله وهو متتمكن منها، كالنحوى ناظر النحوى، وإن لم يكن له مثل كلامه في التحو أو كتبه فيه، ولا يقال: التحوى مثل النحوى، لأن التمايل يكون حقيقة في أخض الأوصاف وهو الذات))^(٢).

وحال الطرفين في الآية ليس كذلك، إذ المشبه جنسه الفتنة، والمتشبه به جنسه العذاب. وقد الفقا في الفعل وتمكنا منه، وهو الصرف، لكنه في المشبه صرف عن الإيمان وفي المشبه به صرف عن العصيان.

تشبيه الذوات بالكاف

عندما يُؤْتى بالكاف لتشبيه الذوات بعضها فإن التشبيه يكون على ضربين: ضرب يكون بين طرفين متفقين جنساً وصفة، وضرب يكون الطرفان فيه مختلفين جنساً متفقين صفة.

الضرب الأول: وهو ما يكون الطرفان فيه متفقين جنساً وصفة يتبع نوعين:

(النوع الأول) هو ما تكون فيه الصفة التي حصل فيها الاتفاق صفة معنوية، مفردة كانت أو هيئة مركبة. والكاف في هذا النوع تكون بمعنى (مثل) لتحقيق الممالة ذاتاً وصفة، ولا تكون بمعنى (شبه) لارتباط الشبه بالوجه الحسي، وقد تكون بمعنى (مساو) بمساعدة القرآن. وشواهد هذا النوع ما يأتي:

(١) ينظر الكتاب ١٩٨/٣ والبحر الخفيط ١٤٣/٧.

(٢) الفروق في اللغة ١٤٨.

٤٨ - قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مِنْ عَلَى قُرْبَةِ وَهِيَ خَارِجَةٌ عَلَى عَرُوهُهَا قَالَ أَلِي يُخَسِّي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا اللَّهُ مِنْهُ عَامٌ ثُمَّ بَعْدَهُ قَالَ كُمْ لَبَعْتَ قَالَ لَبَعْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبَثْتَ مِنْهُ عَامٌ فَانظُرْ إِلَيْ طَقَامِنَ وَهَرَابِكَ لَمْ يَقْسِمْنَهُ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَنْجَعَلَكَ آتِيًّا لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعَظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا مُنْكَسِرًا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

(أو كالذى) معناه أو أرأيت مثل الذى من ^(٢).

فالسؤال عن رؤية إنسان مماثل للمذكور في صفاته من الشك والإشكال والسؤال. فالكاف بمعنى (مثل) لتحقيق المماثلة في الذات والصفات المقصودة من الآية.

ويذهب ابن ناجيا إلى أن الكاف في الآية زائدة، قال: «وقد ورد لفظ التشبيه بغير تشبيه، كقوله تعالى: (أو كالذى من على قربة) وإنما ذلك معطوف على معنى الكلام الأول في قوله تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربها) أو كالذى من على قربة، وموضع الكاف نصب بـ (الـ)^(٣)».

ويبدو من آخر كلامه وجوعه عن القول بزيادة الكاف، لأن كون الكاف في موضع النصب أنها اسم بمعنى (مثل) فهي للتشبيه الذي نفاه أول كلامه.
 [١٢] قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدُّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْلَادًا... الآية﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٢٥٩.

(٢) الظر الكشاف ٣٨٩/١.

(٣) الجمان في تشبيهات القرآن ٧٣.

(٤) سورة العنكبوت ٦٩.

(كالذين من قبلكم) أى أنتم ايهما المنافقون مثل الذين من قبلكم في الاستمتاع بالقرة والأولاد والخوض في الأحاديث الكاذبة، فأنتم جنس واحد وملة واحدة. فالكاف دلت على الماكرة جنساً وصفة.

ومن قبيل هذا النوع التشبيهات التي تكون في سياق نفي أو نفي^(١). ويكون مآل التشبيه فيها على فرض وقوع مدلوله خارجاً إلى الاتفاق في الجنس والصفة. وذلك من جهة كون الجنسية ترتكز على الصفة التي يقوم عليها عقد التشبيه. وتكون الكاف عندئذ معنـى (مثل) وشواهد ذلك الآيات الآتية:

(١) قد يعرض لل Shawāhid التي مبنـىـهاـ النـفـيـ، أو نـفـىـ التـشـبـيـهـ أـفـاـ لاـ تـدـخـلـ فـيـ التـشـبـيـهـ. لـاـ فـيـ التـشـبـيـهـ وـالـنـفـيـ مـعـاـ مـنـ المـنـاقـضـةـ . عـلـىـ أـنـاـ اـسـتـهـدـدـاـ هـاـ هـاـ لـأـمـرـيـنـ: الـأـوـلـ: أـنـ لـاـ بـدـ فـيـ ذـلـكـ وـلـاـ مـخـالـفـةـ مـاـ دـعـنـاـ رـأـيـاـ الـقـوـمـ قـدـ سـلـكـوـهـاـ فـيـ شـوـاهـدـ التـشـبـيـهـ. فـعـلـىـ سـبـيلـ المـثالـ لـوـرـىـ الرـمـانـ عـنـ حـدـيـثـةـ عـنـ التـشـبـيـهـ وـبـيـانـ وـجـوـهـهـ الـقـيـمـ يـأـتـىـ هـاـ يـدـخـلـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـلـةـ فـيـ شـوـاهـدـهـ (الـكـتـكـ فـيـ إـعـجازـ الـقـرـآنـ ٨٠ـ وـمـاـ بـعـدـهـ) وـيـذـكـرـ ابنـ أـبـيـ الـأـصـيـعـ مـاـ قـالـهـ الرـمـانـ فـيـ هـذـهـ الـوـجـوهـ، وـمـنـهـ ((إـعـراجـ الـكـلـامـ بـالـشـبـيـهـ عـرـجـ الـإـنـكـارـ، كـفـولـهـ تـعـالـىـ «أـجـعـلـتـ سـقـاـيـةـ الـحـاجـ وـعـمـارـةـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ كـمـ آمـنـ بـالـهـ وـالـيـومـ الـآخـرـ» التـوـبـةـ ٩ـ تـحـرـيرـ التـحـبـيرـ ١٥٩ـ وـمـاـ بـعـدـهـ. وـلـوـرـىـ الطـبـيـ وـغـيـرـهـ سـيـفـاـنـ)) يـسـتـهـدـدـرـونـ بـقـوـلـةـ تـعـالـىـ: (لـيـسـ كـمـلـهـ شـىـ) الـشـوـرـىـ ١١ـ وـيـذـكـرـونـ عـنـ قـلـبـ التـشـبـيـهـ فـيـ قـوـلـةـ تـعـالـىـ: (أـلـمـ يـخـلـقـ كـمـ لـأـخـلـقـ) الـتـحـلـ ١٧ـ مـعـ أـنـ التـشـبـيـهـ فـيـ الـآيـيـنـ فـيـ سـيـاقـ الـنـفـيـ يـنـظـرـ الـبـيـانـ لـلـطـبـيـ ٢٠١ـ، ٢١٤ـ وـالـكـشـافـ ٤٥٥ـ/٢ـ، ٣ـ/٥٣٣ـ وـالـبـحـرـ الـخـيـطـ ٤٨١ـ/٥ـ، ٥١٠ـ/٧ـ وـمـنـ اـسـتـهـادـاتـ الـإـمـامـ عـبدـالـقـاهـرـ لـلـتـشـبـيـهـ الـمـبـيـنـ عـلـىـ التـخـيـلـ فـيـ سـيـاقـ الـنـفـيـ قـوـلـ أـبـيـ الطـبـيـ التـبـيـيـ:

حـتـىـ بـهـ لـفـسـيـبـهـ الـرـحـمـاءـ

لـمـ يـكـلـ لـأـلـلـكـ السـحـابـ وـإـنـاـ

أـسـرـارـ الـبـلـاغـةـ ٢٢٣ـ وـأـمـلـةـ أـخـرـىـ كـثـيـرـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ.

الـثـالـثـ: أـنـ اـسـتـهـادـهـمـ هـذـهـ الـأـمـلـةـ دـلـيـلـ عـلـىـ اـسـتـهـادـهـ دـلـيـلـ دـلـالـةـ دـلـالـةـ التـشـبـيـهـ بـاـنـ يـكـوـنـ عـقـدـهـ دـلـالـاـ عـلـىـ مـشـارـكـهـ أـمـرـ لـأـمـرـ فـيـ مـعـنـىـ. أـعـمـ مـنـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ الـمـشـارـكـةـ عـنـ الـتـكـلـمـ فـيـخـبـرـهـاـ عـلـىـ سـبـيلـ الـإـلـيـاتـ، أـوـ الـفـصـةـ عـنـدـ مـنـ يـسـاقـ مـنـ أـجـلـ الـكـلـامـ مـخـاطـبـاـ أـوـ سـامـعـاـ فـيـخـبـرـهـاـ عـلـىـ سـبـيلـ الـنـفـيـ. وـأـعـمـ أـبـهـاـ مـنـ أـنـ يـكـوـنـ التـشـبـيـهـ فـيـ أـسـلـوبـ خـيـرـ أـوـ إـشـاءـ.

٤٩ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالذِّينَ تَفَرَّقُوا وَاتَّخَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا) أي مثلهم في الردة بعد الإيمان، فالنهي عن شيء يكون مآل المغالة في الجنس والصفة، فالكاف بمعنى (مثل).

٥٠ - قال تعالى: ﴿هُنَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالذِّينَ كَفَرُوا وَقَاتَلُوا
لِإِخْرَاجِهِمْ إِذَا ضَرَبُوكُمْ فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوكُمْ غُزْيًا لَوْ كَانُوكُمْ عَنْ ذَكَرِهِمْ مَا مَأْتُوكُمْ وَمَا قُتِلُوكُمْ
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَيَعْلَمُ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾^(٢).

أى لا تكونوا مثلهم بالاعتقاد الخاطئ والمقالة الباطلة، لأنكم بذلك تكونون من جنسهم وعلى كفرهم ونفاقهم.

٥١ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالذِّينَ قَاتَلُوكُمْ سَمِعُوكُمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٣).
فهي عن الكذب الذي هو ركيزة الوصف بالتفاق. فالكاف بمعنى (مثل) لكون التشبيه في أمر معنوي.

٥٢ - قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالذِّينَ خَرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَاءَ
النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٤). فهى عما يكونون به من جنس الصادين عن سبيل الله.

(١) سورة آل عمران ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران ١٥٦.

(٣) سورة الأنفال ٢١.

(٤) سورة الأنفال ٤٧.

٥٣ - قال تعالى: **هُوَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقْضَتْ غَرَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُرْءَةِ أَنْكَاثَ**
تَخْذُلُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا يَتَنَكُّمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أُرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَتَلُوُكُمُ اللَّهُ يَهُ
وَلَيَسْتَعِنُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْشَمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ^(١).

أى لا تكونوا من جنس من ينقض ما أبرمه وعاشه بجودة الصنع. فالكاف
 بمعنى (مثل).

٤٥ - قال تعالى: **هُنَّا أَلْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْنَا مُوسَى فَرَأَهُ**
اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ^(٢).

أى لا تقولوا في نبيكم مثل ما قالوا في نبيهم، فتصيروا مثلهم ومن جنس
 المخاربين أنبياءهم المبغضين لهم. فالكاف في سياق فهى عن المائلة.

٥٥ - قال تعالى: **هُلَّمْ يَأْنِ اللَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا**
نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ نَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ^(٣).

أى مثلهم في الغفلة والنسayan ومن جنس قساة القلوب وعلى صفاهم.

٥٦ - قال تعالى: **هُوَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَسَوُوا اللَّهَ فَإِنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَوْلَئِكَ**
هُمُ الْفَاسِقُونَ ^(٤).

فى عن مائلة الكافرین فى لسيان الله واباع الهوى.

ويتضح من شواهد النهي السابقة أن الصفة التي وقع النهي عنها هي
 الأساس الذي تقوم عليه المائلة، بصورة الطرفين جنسا واحدا، يدل على ذلك

(١) سورة التحليل .٩٢

(٢) سورة الأحزاب .٦٩

(٣) سورة الحديد .١٦

(٤) سورة الحشر .١٩

التشبيه في قوله تعالى: **وَقَدْ نَزَّلْ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهِزُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِلَّا كُمْ إِذَا قُتِلُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**^(١) فالتشبيه في صفة المشاركة للكافرين في باطلهم والبقاء معهم في مجالسهم عند الاستهزاء بآيات الله. وذلك على سبيل النهي عنه. والطرفان وإن الفقا في جنس البشرية إلا أنهاما يختلفان في الإيمان والكفر اللذين إليهما مآل الانفراق إلى جنسين آخرين لكل منهما صفاتٌ التي يتميز بها. ويكون مآل الانفراق في الصفة التي فلت عنها الآية إلى صيرورة الطرفين جنساً واحداً. لأن مناط تحديد الطرفين جنساً هو هذه الصفة. لكن لا يطرد كون الصفة النهي عنها هي مناط تحديد جنسية الطرفين إذ قد يكون الطرفان متفقين جنساً ويتحقق بالاتفاق في هذه الصفة تمام الشابهة، كما في الآية الآتية.

٥٧ - قَالَ تَعَالَى لِلْأَصْبَرِ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَمَاصِبِ الْحَوْتِ إِذْ كَادَى وَهُوَ مَكْثُومٌ^(٢)

أى لا تكون مثله في الضجر عند الشدة. فالكاف للمائلة التامة جنساً وصفة عند تحقق الضجر النهي عنه.
(المائلة بين الهيئات)

وتسأل الكاف بمعنى (مثل) عند تشبيه الهيئات المركبة ببعضها في وجه شبه عقلٍ مركبٍ. وشوهد ذلك جاءت في القرآن الكريم في معرض ضرب الأمثل، بتشبيه قصتين فيما غرابة بعضهما، بما تضم إحداهما من ذوات وأشخاص لها أحوال أخرى وصفاتها. فتحقق بتشبيه هذه القصة بتلك - بما أضمن من عناصر مختلفة - المائلة.

(١) سورة النساء ١٤٠ .

(٢) سورة الفلق ٤٨ .

وتحيى كلامه (مثل) بفتح الناء - في الطرفين مرادا بما هذه القصة العجيبة، إذ هي تستعار من معناها العرفى الذى هو القول السائر المشبه مضربه بمورده للقصة القى فيها غرابة، بجامع الغرائب فيما^(١).

٥٨ - قال تعالى: ﴿مَثُلُّهُمْ كَمَثُلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوَّلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُفْصِرُونَ﴾^(٢).

مثل الله سبحانه وتعالى حال المنافقين العجيبة الشأن من تجملهم بظاهر الإسلام ليحقنوا دماءهم ويشاركون فى الغنائم ويتمتعوا بما يتمتع به المسلمين، ثم إطلاع الله رسوله والمؤمنين على ما في نفوسهم... بحال الذى استوقد نارا يستضىء بها، ثم لم يلبث أن زال ضوؤها ونورها، بجامع الهيئة الحاصلة من وجود الطمع مع الأسباب القريبة له ثم تعقب الحرمان لزوال تلك الأسباب ، فالكاف بمعنى (مثل) لدلائلها على خالق الطرفين في هذه الهيئة.

٥٩ - قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَبَّ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَرِزْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَاعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣) هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين. (أو) هنا - لإباحة التشبيه بأيهما ((أى إن مثلكمهم بالمستوقد كذلك مثلهم، وإن مثلكمهم بالصليب فهو لهم مثل، أو مثلكمهم بما جيئا بهم مثلا لهم ، فالتمثيل مباح لكم فيهم))^(٤) والكاف بمعنى مثل.

٦٠ - قال تعالى: ﴿وَمَثُلُّ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثُلِ الَّذِي يَتَعَقَّبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِداءً صُمًّا بِنُكْمٍ عَفْيٍ فَهُمْ لَا يُفْقِلُونَ﴾^(٥).

(١) ينظر الكشاف وحاشية السيد عليه ١٩٥/١.

(٢) سورة البقرة ١٧.

(٣) سورة البقرة ١٩.

(٤) الجهمان في تشبّهات القرآن / ٦٩.

(٥) سورة البقرة ١٧١.

ذكروا تفسيرات عدة لبيان معنى التشبيه في هذه الآية. منها أن المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق، وتقدير التشبيه: ومثل الذين كفروا في دعائهم آهتهم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بفمه، لا ينتفع بتعيشه بشيء غير أنه في عناء، وكذلك الكافر ليس له من دعائه آهته وعبادته أو ثراه إلا العناء. وقيل: إن المثل مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق على حذف مضاد، فقد شبه داعي الكافر في دعائه إيه بالناعق بالبهائم في كون الكافر لا يفهم مما يخاطبه به داعيه إلا دوى الصوت دون إلقاء ذهن أو فكر، فهو يشبه الناعق بالبهيمة التي لا تسمع من الناعق لها إلا دعاءه ولدعاوه، ولا تفهم شيئاً^(١).

٦١ - قال تعالى: **مَثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَغْوَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثُلِ حَبَّةِ**
أَبْتَثَتْ سَبْعَ سَبَابِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ هَبَّةٍ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلَيْهِمْ^(٢). الكاف للدلالة على غاليل المطلين والتشبيه تمثيلي.

[١١] قال تعالى: **هُنَّا إِلَيْهَا الَّذِينَ آتَيْنَا لَا يُنْبَطِلُوا صَدَقَاتُكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذَى**
كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِنَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثُلِ صَفَوانَ
عَلَيْهِ فُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابْلُ فَرَسَكَهُ صَنْدَلًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ^(٣) (فمثله كمثل صفوان...) تمثيل حال الذي يتصدق ثم يذهب ثواب صدقته بالمن والأذى والباءة، بحال الحجر الصلد الذي يصبه المطر فيل heb بما عليه من تراب، هو مظنة الإبات مع الماء، وذلك بجماع ذهاب ما كان يؤمن فيه ويعتقد ثبوته واستقراره^(٤).

(١) ينظر البحر الخيط ٤٨١/١ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة ٢٦١.

(٣) سورة البقرة ٢٦٤.

(٤) ينظر البحر الخيط ٢٠٩/٢.

٦٢ - قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَبْيَانًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلَ جَنَّةً بِرْبُرَةً أَصَابَهَا وَأَبْلَى فَاتَتْ أَكْلُهَا ضِيقَفَيْنِ فَإِنَّ لَمْ يُصِبْهَا وَأَبْلَى فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(١).

تشيل - أيضاً - حال المنافق في مرضاة الله بحال الجنة الكائنة في مكان مرتفع يصيدها من المطر ما تزكي به، قل أو كثر.

٦٣ - قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلْقَةً مِنْ تُرَابٍ لَمْ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢).

مثل الله تعالى حال عيسى وشأن خلقه بحال آدم - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - بجماع الغرابة ومخالفة العادة.

وجاء التشبيه على المثل المتبوع فيه بتشبيه الخفي بالواضح، والضعف في الوجه بالأقوى. لأن الوجود من غير أب وأم كما هو شأن آدم أغرب في خرق العادة من الوجود من غير أب كما هو شأن عيسى. فشبه الغريب بالأغرب، وقت المثالثة بين الصفتين في الغرابة، وبين آدم وعيسى^(٣).

٦٤ - قال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلَ رِيحٍ فِيهَا صَرٌّ أَصَابَتْ حَرْثًا قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(٤).

قال ابن المير: «أصل الكلام - والله أعلم - مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرت قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته»^(٥) فالتشبيه تشبيه تشيل.

(١) سورة البقرة ٢٦٥.

(٢) سورة آل عمران ٥٩.

(٣) ينظر الكشاف ١/ ٤٣٢ و البحر المحيط ٤٧٧/ ٢.

(٤) سورة آل عمران ١١٧.

(٥) الأنصاف على الكشاف ١/ ٤٥٨.

٦٥ - قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكُنْهُ أَخْلَدْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَالْبَعْ هَوَاهُ فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَعْمَلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تُقْرَبْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَقْصُصْنِ الْقَعْصَنْ لَعْنَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١).

تشيل حال التهالك على الدنيا، من لزومه القلق والاضطراب في طلبها بحال الكلب في لزومه اللheit هيجهه، أو تركه.

٦٦ - قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءُ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَسَاحَطَتْ بِهِ لَيَاتِ الْأَرْضِ مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخْلَدْتَ الْأَرْضَ رُغْرُغَهَا وَأَرْبَثْتَ وَظِنْ أَهْلَهَا أَهْلُهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَمْرُكَا تَيْلًا أَوْ تَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَفْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ لَفَصِلُ الْأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢).

شيه الله تعالى حال الدنيا في سرعة فنالها بعد إقبالها بحال ثبات الأرض ينمو وزهر ويزين الأرض، ثم يجف بعد ذلك وتزروه الرياح.

٦٧ - قال تعالى: ﴿ مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَغْمَى وَالْأَصْمَمْ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مُثْلًا أَفَلَا كَذَكُرُونَ ﴾^(٣).

تدل الكاف على معن (مثل) سواء كان التشبيه تشبيه الدين بالدين أم تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه^(٤).

٦٨ - قال تعالى: ﴿ مِثْلُ الْدِيَنِ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَغْمَالُهُمْ كَرْمَاد اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّبْيَعُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٌ لَا يَقْنُرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ السَّضَّالُ الْبَعِيدُهُمْ^(١) تَشيل لأعمال الكافرين... بالرماد الذي تدروه الرياح..

(١) سورة الأعراف ١٧٦.

(٢) سورة يونس ٢٤.

(٣) سورة هود ٢٤.

(٤) ينظر الكشاف ٢٦٤/٢ والبحر الخيط ٢١٢/٥.

٦٩- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْنَلَهَا ثَابِتَ وَفَرَغَهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١).

٧٠- وقال تعالى: ﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيِّبَةٍ اجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٢).

في الآيتين تغيل لصفة الكلمة الإيمان بالشجرة الطيبة، وكلمة الكفر بالشجرة الخبيثة، فالكاف بمعنى (مثل) في معرض التمثيل.

٧١- وقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءً أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ تَبَاتُ الْأَرْضِ فَاصْبَحَ هَشِيمًا تَدْرُوُهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾^(٣).

تمثيل حال الدنيا ببداً مزهرة نضرة ثم يكون الهلاك والفناء نهايتها بحال الباب يكون أخضر يانعا ثم يجف فتلدوه الرياح. فالكاف بمعنى (مثل).

٧٢- قال تعالى: ﴿الَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاهَ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ذُرْيٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتَهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَازٌ نُورٌ عَلَىٰ لَوْرٍ يَهْدِي اللَّهُ نُورٌ مَّنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلثَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).

(١) سورة إبراهيم .١٨.

(٢) سورة إبراهيم .٢٤.

(٣) سورة إبراهيم .٢٦.

(٤) سورة الكهف .٤٥.

(٥) سورة النور .٣٥.

أى صفة نور الله العجيبة الشأن التي تجلّى في إتقان صنعة المخلوقات جيّعاً، وما تدل عليه براهينه الساطعة على وحدانيته، وما يليق به، مثل هذه الصفة في الوضوح كمثل النور الساطع الذي تجمعت له الأسباب ليبدو ساطعاً متألّقاً فالكاف بمعنى (مثل).

٧٣ - قال تعالى: ﴿مَثُلُ الدِّينَ الْخَدُودُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ مَثُلُ الْغَنَبُوتِ
الْخَدُودَ بَيْنَا وَإِنْ أُرْهَنَ النَّبُوتِ لَيْسَتِ الْغَنَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١) في الآية
تشيل كالأيات السابقة.

٧٤ - قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ
بَيْنَهُمْ رَءَافُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَتَّغَوَّنُ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ
أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ
فَاسْتَلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُغْجَبُ الزُّرَاعُ لِيغْفِظُ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَاجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢)

قوله (كزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ). تشيل حال المؤمنين وصفتهم بالزرع الذي يخرج
من الأرض ثم يؤازر بعضه ببعض، ويشتد ففرح أصحابه ويف gioظ أعداءهم.

٧٥ - قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَلَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُنْ وَرِيزَةٌ وَتَفَاخِرٌ بَيْنَكُمْ
وَلَكَافِرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلُ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِأَنَّهُ فَمَ يَهِيجُ فَرَأَهُ
مَصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حَطَاماً وَلِيَ الْأَخْرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفَرُورُ﴾^(٣).

(كمثال غيث) الكاف بمعنى (مثل).

(١) سورة العنكبوت .٤١

(٢) سورة الفتح .٢٩

(٣) سورة الحديد .٢٠

٧٦- قال تعالى: **كَمَثِيلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالْأُمْرِ هُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**^(١).

أى ((مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب))^(٢) فهذا تمثيل والكاف بمعنى (مثل).

٧٧- قال تعالى: **كَمَثِيلُ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِلَيْهِ يَرِيَءُ مِنْكَ إِلَيَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**^(٣).

تمثيل حالة بحالة. حالة الكفار مع المنافقين عند وعد المنافقين لهم بالوقوف معهم عند حرقهم المؤمنين، ثم خذلتهم لهم عند ساعة الاختبار .. بحال الشيطان مع الكافر يضله واعدا له بالخير، ثم لا يعرفه عند الشدة، فالمنافقون كالشيطان، وبني النصیر كالإنسان الذي غوى^(٤).

٧٨- قال تعالى: **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التُّورَاةَ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثِيلُ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِسْرَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَلَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**^(٥).

تمثيل حال اليهود الذين كلفوا للتوراة ثم لم يقوموا بتكميلها بحال الحمار الذي يحمل الكتب المليئة بما ينفع في الدنيا والآخرة لكنه لا ينفع لها. فالكاف هنا بمعنى (مثل).

ومن قبيل تشبيه التمثيل من غير الإitan بكلمة (مثل) في الطرفين الآيتان الآيتان:

(١) سورة الحشر ١٥.

(٢) الكاف ٤/٨٦.

(٣) سورة الحشر ١٦.

(٤) يننظر البحر الخيط ٨/٢٥٠.

(٥) سورة الجمعة ٥.

٧٩ - ٨٠ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيمَةِ يَخْسِبَهُ الظَّمَانُ مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْلَاهُ حَسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أو كَطْلَمَاتٍ في بَخْرٍ لُجْنٍ يَقْشَأُهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابَةٌ ظَلَمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَلِ اللَّهُ لَهُ نُورٌ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١).

في الآية الأولى تغيل لأعمال الكافرين بالسراب في عدم الفع و زوال الرجاء... وفي الثانية بالظلمات الكثيفة التي لا خير فيها ولا نفع. والكاف في التشبيهين بمعنى (مثل).

وتكون الكاف - أيضاً - بمعنى (مثل) عند الإثبات بما للدلالة على المائلة بين صفتين في طبيعتهما وما يترتب عليهما. فيكون وجه الشبه هيئه معينة مركبة. لذا لا تكون الكاف بمعنى (شبه) وذلك في الآيات الآتية:

٨١ - قال تعالى: ﴿كَذَابٌ آلُ فِرْعَوْنٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

٨٢ - وقال تعالى: ﴿كَذَابٌ آلُ فِرْعَوْنٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَرِيءٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

٨٣ - وقال تعالى: ﴿كَذَابٌ آلُ فِرْعَوْنٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكَنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقُنَا آلُ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾^(٤).

(١) سورة التور ٣٩-٤٠.

(٢) سورة آل عمران ١١.

(٣) سورة الأنفال ٥٢.

(٤) سورة الأنفال ٤.

قال الزجاج: «أى كشأن آل فرعون. كلما قال أهل اللغة، والقول عندي فيه - والله أعلم - أن (دأب) ه هنا أى اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي كظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام»^(١).

ويبدو من كلام أهل اللغة أن الطرفين مرکبان من التكذيب والعداب. وذلك لمساواة كلمة دأب كلمة (مثـل) الذي هو الصفة العجيبة. أما على اختيار الزجاج فهما مفردان.

قال أبو حيان: «شأن هؤلاء في تكذيبهم لرسول الله ﷺ وترتيب العذاب على كفرهم كشأن من تقدم من كفار الأمم، أخذوا بذنوبهم وعذبوا عليها»^(٢). فالكاف تدل على المبالغة.

قال امرؤ القيس:

كـأـبـكـ مـنـ أـمـ الـحـوـيرـثـ قـبـلـهـ

وـجـارـهـ أـمـ الرـبـابـ بـجـاسـلـ^(٣)

أى شأنك مع هذه المرأة مثل شأنك مع غيرها من التعلق بهن وتحمل النصب والمشقة معهن.

الكاف بمعنى (مساواة):

وجاءت الكاف للدلالة على المساواة في الصفة بين المتفقين جنسا في هذه الآية:

٨٤ - قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَغْلُوكُنَّ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِن يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأْلَفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَهُمْ ﴾^(٤).

(١) معان القرآن واعرابه / ١ / ٣٨٠.

(٢) البحر الخيط / ٢ / ٣٨٩.

(٣) من معلقة امرئ القيس (فهابك) الديوان ١١١ وشرح القصائد السبع .٢٧

(٤) سورة الحج ٤٧.

فالمشبه والمشبه به من جنس واحد، والتتشبيه للدلالة على مساواة يوم القيمة في شدته وقوتها وكثرة ما يلاقى فيه الإنسان بألف سنة بما في أيامها ولاليها من الشدائـد، لأن أيام الشدائـد مستطالة. أو ان المساواة في زمنه ووقته، أى طوله كطول ألف سنة^(١).

فالكاف جاءت للدلالة على المساواة في الوصف الجامع للطرفين، ولا يعكر على كون معنى المساواة المقصود الأهم - لمح معنى المماثلة في الجنس والصفة. لأن ما ندر كه هنا إبراز المساواة بين الطرفين في الصفة.

وقد تكون الدلالة على المساواة في سياق النفي كما في هذه الآية:

٨٥ - قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ الَّذِيْ لَسْتُمْ كَأَخْدَمْ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَنْفَنِتُمْ فَلَا تَخْضُبْنِ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَئِنُ الَّذِيْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَغْرُوفًا لَهُ﴾^(٢).

جاءت الآية الكريمة في مقام تفضيل جماعة نساء النبي ﷺ على جميع نساء الأمة، وفي سياق بيان تضييف العذاب لمن تأثر منهن بفاحشة وتضييف أجر من عمل صالحـا، ثم قررت الآية ذلك ببنـي مساواهـنـنـ غيرـهـنـ في المرارة سـالـكـةـ إلى ذلك طريقـتينـ: طريقـ التـشـبـيهـ، إذ نفتـ الآـيـةـ عنـ طـرـيقـهـ مـساـواـةـ وـاحـدـةـ منـ نـسـاءـ النـبـيـ عـلـيـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ لـواـحـدـةـ مـنـ النـسـاءـ الـأـخـرـيـاتـ، فـي إـمـكـانـ وـقـوعـ فعلـ قـيـحـ، أوـ تـرـخصـ فـيـ قولـ، كـماـ يـحـصـلـ مـنـ بـعـضـ النـسـاءـ.

وطريقـ نـظـمـ الآـيـةـ: إـذـ إـنـ التـقـدـيرـ ((لـيـسـ وـاحـدـةـ مـنـكـنـ كـأـخـدـ منـ النـسـاءـ أـىـ كـوـاـحـدـةـ مـنـ النـسـاءـ، وـيـلـزـمـ مـنـ تـفـضـيلـ كـلـ وـاحـدـةـ مـنـهـنـ عـلـىـ كـلـ وـاحـدـةـ مـنـ آـحـادـ النـسـاءـ تـفـضـيلـ جـمـاعـتـهـنـ عـلـىـ كـلـ جـمـاعـةـ))^(٣).

(١) ينظر الكشاف ١٨/٣ والبحر المحيط ٣٧٩/٦.

(٢) سورة الأحزاب .٣٢

(٣) الأنصاف على الكشاف ٢٥٩/٣

هذا يوضح أن الكاف هنا بمعنى (مساو) وليس بمعنى (مثل) لتحقق المائلة بينهن وبين نساء الأمة في الجنس وفي كثير من الصفات، خاصة ما يتعلق بالأحكام - ما عدا ما يقع به التمايز، وهو مدلول (مثل) فلا يتأتى في الآية نفي المائلة في هذا، ولكن يتأتى نفي المساواة الذي مآلها بقاء ما يقع به التمايز.

ومن شواهد ذلك في الشعر قول طرفة بن العبد:

لا تجعليني كامرء ليس فيه

كمي ولا يغنى غنائي ومشهدى^(١)

لا ينهى طرفة ألمعبد أن يجعله مثل هذا المرء الذى لا يشبهه، بمعنى أنه لا يستحق ما تعامله به. ولكن معناه لا تسوى بيف وبين من لا يماثلني في شجاعتي وكرمى. فالكاف في قوله (كامرء) بمعنى (مساو).

(النوع الثاني)

وهو ما يكون الطرفان فيه متفقين في الجنس والصفة، لكن الاتفاق في صفة حسية. وتكون الكاف في هذا النوع بمعنى (شبه) لارتباط الشبه بالصور والهبات الحسية، وقد تأتى للمساواة، وشواهده ما يأتي:

٨٦ - قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جَنِّبْتُكُمْ أَلَى أَخْلُقِ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهِيَّةَ الطَّيْرِ فَأَنْفَخْتُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَبْرِئُ أَكْثَمَهُ وَالْأَبْرَصَ وَأَخِيَّ الْمَوْتَى يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَبْنِيَّكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بَيْوِتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

(١) البيت من معلقة طرفة - شرح القصائد السبع ٢٢٤.

(٢) سورة آل عمران ٤٩.

٨٧ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةَ الطَّيرِ يَأْذِنِي فَتَفْعَلُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ يَأْذِنِي بِهِ﴾^(١).

المعنى: هيئة تشبه هيئة الطير. فالكاف بمعنى (شبيه).

٨٨ - قال تعالى: ﴿فَاصْبَحَتْ كَالصَّرْبِيمِ﴾^(٢)

يخبر الله سبحانه بقصة أهل الجنة وأنه أهلكها لهم، ويصفها بأنما ا أصبحت تشبه في صورها وهيئتها المشاهدة الجنة التي صرم ثراها، وقيل أصبحت مسودة تشبه الصريم. أي الليل^(٣).

٨٩ - قال تعالى: ﴿سَابَقُوا إِلَى مَفْرَةَ مَنْ رَبُّكُمْ وَجْهَةَ عَرْضُهَا كَفَرَ زِنْ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٤).

(عرضها كعرض السماء والأرض) أي مساوا لعرض السماء والأرض في
بسطة المساحة وسعتها.

((الضرب الثاني))

وهر ما يكون الطرفان فيه مختلفين جنساً متفقين صفة. ويتنوع إلى نوعين:

((النوع الأول)): :

وهو ما يكون الوجه فيه صفة معنوية. وفيه لا تكون الكاف بمعنى (مثل)
لاختلاف الطرفين في الجنس، ولا بمعنى (شبيه) لكون الصفة معنوية لا حسية يمكن
أن يدل عليها بلفظ (شبيه).

(١) سورة المائدة . ١١٠ .

(٢) سورة القلم . ٢٠ .

(٣) ينظر الكشاف . ١٤٤ / ٤ .

(٤) سورة الحديد . ٢١ .

وشهادة ما يأتي:

٩٠ - قال تعالى: ﴿لَمْ قَسْتَ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَلْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ
الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

(الحجارة) شبه الله القلوب بالحجارة في القسوة. والحجارة أوضح ما يصف الغفلة والجمود، لذا لما قصد المبالغة في هذه القسوة جاء الوصف بالشدة في قوله تعالى (أو أشد قسوة) وكان يمكن أن يقال (أو أقسى) فكان وصف القسوة بالشدة أبلغ في وصفه القلوب بالقسوة^(٢).

ولما كان الطرفان مختلفين في الجنس. لكون ذات القلوب تختلف ذات الحجارة فليست الكاف هنا بمعنى (مثل) ولا يقال عند تفسير الآية: المعنى : مثل الحجارة إلا على جهة التسامح لتقريب المعنى. لأن المبالغة تكون في الذات وأكثر الصفات ما عدا ما يقع به التمايز كما يتلائى - أيضاً - أن يقال: شبه أو هكل لكون هذه الكلمات لا تدل إلا على الشبه الحسي.

٩١ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَنِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقِهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُنَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْ لَيْسَ
كَالْأَنْعَامِ بِلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاجِلُونَ﴾^(٣).

٩٢ - قال تعالى: ﴿لَمْ تَخْسِبْ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَقْتَلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ بِلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٧٤.

(٢) ينظر التصوير البيان ٢٧.

(٣) سورة الأعراف ١٧٩.

(٤) سورة الفرقان ٤٤.

(كالأنعام) في الآيتين للتشبيه في صفة معنوية، وهي علم النظر والاعتبار لعدم العقل في المشبه به تجليقاً وفي المشبه تزيلاً، فالشمرة فيما معدومة واختلاف الطرفين جنساً واضعف. فالكاف لا تدل على تمام المبالغة، وليس بمعنى (شبها) لكونها - أي شبها - لا تكون إلا في الصور المشاهدة.

ومن شواهد هذا النوع في الشعر قول لميد:

ما المرء إلا كالشهاب وضوءه

يمور رماداً بعد إذ هو ساطع^(١)

يشبه المرء في حركة ونشاطه ثم موته بالقبس يضيء ثم يصير إلى رماد..
بجماع النفع ثم القطاعه، فالظرفان مختلفان جنساً، والوجه أمر معنوي لا حسي.

وقول زياد العجم في هجاء الفرزدق:

ولنا وما قدم لنا إن هجوتنا

للكالبحر مهمما يلقى في البحر يفرق^(٢)

تشبه نفسه وقومه بالبحر في علو الشأن عن التأثير بسفاسف الأمور،
واختلاف الطرفين جنساً واضعف، والشبها معنوي، فهو مما تختص به الكاف في
الدلالة.

وقد يأتي التشبيه من هذا النوع على سبيل النفي كما في هذه الآية:

٩٣ - قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعْتُهَا قَالَ رَبُّ إِلَيْيَ وَضَعْتُهَا أَنْتَ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الدُّكَرَ كَالْأَنْثَى وَإِلَيْيَ سَمِّيَّتْهَا مَرِيمٌ وَإِلَيْيَ أَعْيَلُهَا بِكَ وَذَرْتُهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣).

(١) البيت في الشعر والشعراء ٤٧٨/١.

(٢) البيت في الشعر والشعراء ٤٣١/١.

(٣) سورة آل عمران ٣٦.

(وليس الذكر كالأئمّة) نفي للممالة بين الذكر والأئمّة التي ولدهما امرأة عمران. أى ليس الذكر الذي طلبت (بضم الناء) مثل الأئمّة التي أرادها الله وقضى بها، فهي خير منه؛ لأن الله اختارها هذا على أنه كلامها، وإن كان من كلام الله فالمعنى وليس الذكر الذي طلبت (بكسر الناء) كالأئمّة التي وهبت لك في الفضل والمزية^(١). فالتشبيه جاء في سياق النفي، ويكون مآل نفي الصفة مع اختلاف الطرفين جنساً انتفاء الممالة جنساً وصفة.

(النوع الثاني)

وهو ما يكون طرفاً مختلفين جنساً متفقين في صفة حسية، موجودة فيهما على سبيل التحقيق أو التخييل، ودلالة الكاف في هذا النوع تختلف بعدها للصفة المراد الشبه فيها، لأنها قد تكون من طريق حس الباصرة أو من طريق بقية الحواس الأخرى.

فإن كان التشبيه في صورة مشاهدة وروعى فيها مجرد الافتراق في الهيئة والصورة المرئية دون نظر إلى القدر والمساحة كانت الكاف بمعنى (شبه) وشراهد ذلك الآيات الآتية :

٩٤ - قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُسْتَطِعُوا أَنْ يَغْدُلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَّصُتْ فَلَأَتَمْلِأُوا كُلَّ الْمَيْلٍ فَتَلْرُوْهَا كَالْمُعْلَقَةِ إِنَّمَا تُنْصَلِحُوا وَتُنْكَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾^(٢).

(كالمعلقة) الكاف بمعنى (شبه) لدلائلها على الشبه في صورة مرئية وهيئه مشاهدة وإن كانت في المشبه على سبيل التخييل، إذ شبّهت المرأة بالشيء المعلق لا يستقر على الأرض، ولا على ما علق به.

(١) ينظر البحر الطيب ٤٣٩/٢.

(٢) سورة النساء ١٢٩.

٩٥ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيْهُم مَوْجَ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلصِينَ لَهُ الدِّيْنَ فَلَمَّا كَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُفْتَصِدٌ وَمَا يَجْعَلُهُ بِأَيْمَانِهِ إِلَّا كُلُّ خَتَارٍ كُفُورٍ﴾^(١).
 (كالظل) أي يشبه في ارتفاعه واسوداده واضطرابه الظل، وهي السحاب، او الجبال^(٢) فالتشبيه في الصورة المشاهدة والكاف بمعنى (شبه).

٩٦ - قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرُتَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيمِ﴾^(٣).
 (كالعرجون) شبه القمر بالعرجون؛ لأن المشاهد يرى لهما في مرأى العين صورة واحدة؛ لأن العدق بعد القطع يتعرج ويتعطف على بعضه ويزيده في ذلك قدمه، وصورة القمر في المخانة وصفته كذلك، فالتشبيه من ثلاثة أوجه لأنه إذا قدم ذات وانحنى واصفر فمرجع التفصيل في هذه الصورة المشاهدة كلمة (قديم)^(٤).

٩٧ - قال تعالى: ﴿مَا تَلَدَّرَ مِنْ شَيْءٍ أَتَنْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتُهُ كَالرَّمِيمِ﴾^(٥).
 يصف الله تعالى الريح التي أصابت قوم عاد بأنما تجعل كل ما مرت عليه في هيئته وصورته المشاهدة كالشيء البالى المفتت، فالكاف بمعنى (شبه).

٩٨ - قال تعالى: ﴿إِلَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهْشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾^(٦).
 أي هم في صورة تحطمهم وتمشهم بالريح كالخطب المتهشم في حظائر الخطب. فالكاف بمعنى (شبه).

(١) سورة لقمان ٣٤.

(٢) ينظر الكشاف ٢٣٧/٣ والبحر الخفيط ١٩٣/٧.

(٣) سورة يس ٣٩.

(٤) ينظر الكشاف ٣٢٣/٢ والتصوير البيان ٣٩.

(٥) سورة الذاريات ٤٢.

(٦) سورة القمر ٣١.

٩٩- قال تعالى: ﴿فَإِذَا الشَّقْتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرَدَةً كَالْدُهَانِ﴾^(١).
 (كالدهان) كدهن الزيت في الرخاوة، أو كالأدم الأخر في مرأى العين ،
 فهي تلون تلون الدهان المختلفة .

١٠٠- (١٠١) قال تعالى ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾^(٢).

قال الرحمنى : ((كيلردى الزيت ، وعن بن مسعود كالفضة المدابة في
 تلوها . كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا ، لأن الجبال جدد بيض وحر مختلف
 الوانا وغرائب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا
 طيرته الريح))^(٣) فالكاف في الآيتين بمعنى (شبہ) لكون الشبه في الصورة
 المشاهدة . وسيأتي في آياتين آخرين التشبيه بالمهل في صفة أخرى له وهي الحرارة
 فلا تكون الكاف عندئذ بمعنى (شبہ) .

١٠٢- (١٠٣) قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوتِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(٤).

شبہ الله تعالى صورة الناس يوم البعث بالفراش كثرة وانتشاراً وإنهم لخفتهم
 من الضعف والذل يتطايرون إلى الداعي من كل جانب .

((وشبہ الجبال بالعهن وهو الصوف المصبوغ الوانا لأنها الوان ، وبالمفروش
 منه لفرق أجزائها))^(٥).

(١) سورة الرحمن ٣٧.

(٢) سورة المارج ٩-٨.

(٣) الكاف ٤/١٥٧.

(٤) سورة القارعة ٤-٥.

(٥) الكاف ٤/٢٧٩.

((فكان التشبيه هنا يرتكز على أمرين : الأول : ما يكون من اختلاف الألوان في الجبال المتحللة وهي جدد مختلفة الألوان فلا تكون كالصوف المنفوش فحسب، وإنما تراءى كالصوف المصبوغ الذي احتوى الأوانا شقى. والثاني هو الخفة وصيوررة هذه الرواسى الشحال كأنها تلك القطع السابحة في الهواء))^(١). وهذا يتضح أن الكاف هنا بمعنى (تشبه) بطيتها للدلالة على الشبه في الصور المشاهدة.

٤- قال تعالى: **فَجَعَلْتُهُمْ كَعَصْفٍ مَا كَوْلٌ**^(٢).
 (كعصف) أي شبه ورق زرع أكله النود، فهم هلكى في مصارعهم فالكاف بمعنى (تشبه).

وهذا النوع من التشبيه كثير في الشعر قال لييد:

أَسْهَلَتْ وَاتَّصَبَتْ كَجَدْعَ مِيلَةَ

جَرَدَاءَ يَحْسُرْ دُولَهَا جَرَامَهَا^(٣)

يقول بعد سعي في الجبال نزلت إلى السهل فنصبت الفرس عقها من نشاطها ومرجها، تشبه في صورها جذع خلالة مشعرة طويلة تضيق صدور صرامها لارتفاعها. ومعلوم أن التشبيه في هيئة الارتفاع دون قصد إلى المقدار. فالكاف بمعنى (تشبه).

وقال الأعشى يصف عوارض امرأة:
 وَنَفَرَتْ عَنْ مُشْرِقٍ بَارِدٍ
كَشُوكِ السِّيَالِ أَسْفَفَ التَّزُورَا^(٤)

(١) الصوير الياباني ٢٠.

(٢) صورة الفيل ٥.

(٣) البيت من المطلقة في شرح المعلقات السابع ٨٢ ومعنى أسلحت: نزلت السهل - والميلاة: الخلعة الطويلة - يحصر بضيق.

(٤) ديوان الأعشى ٨٥ - والسياں: بيات شوكه أبيض - وأسف: ذر عليه - والتزور: دخان الشحم.

يشبه أستاذها في دقتها وبياضها بشوك شجر السياط. فالكاف بمعنى (شبة).

وقال الشماخ :

وكلهن بياري لف مطرد

كحبة الطود ولغير مطرود^(١)

يشبه زمام الناقة في اهتزازه والتواهه باهتزاز الحية وتلويتها دالا على ذلك بقوله غير مطرود لأن المطرود من شأنه أن يسير سيرا مستقيما. والتشبيه في الميبة والصورة المشاهدة فالكاف بمعنى (شبة).

وقد لاحظنا في الشواهد التي سبقت من هذا النوع أن التشبيه في الصورة المشاهدة دون نظر إلى القدر والمساحة، لكن قد يكون التشبيه في الصورة المشاهدة مراعي فيه ما بين المشبه والمشبه به من تقارب في القدر والمساحة. عندئذ تكون الكاف بمعنى (شكل) وليس بمعنى (شبة) لما سبق أن قررناه من أن الشكل يراعي فيه المقدار والأبعاد، أما الشبه فلا يراعي فيه ذلك^(٢) والشواهد التي تكون فيها الكاف بمعنى (شكل) ما يأتي :

١٠٥ - قال تعالى : **هُوَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجَ كَالْجَبَلِ وَكَادَى لَوْحَ ابْنَةِ وَكَانَ فِي مَغْزِلٍ يَا بَنَى ارْتَكَبَ مُعْتَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**^(٣).
 (كالجبال) كل موجة كالجبل في تراكمها وارتفاعها، فتشكلها في المقدار والعظم كشكل الجبل، فالكاف دلت على معنى (شكل) الذي فيه معنى (شبة) بزيادة النظر إلى الجرم والمقدار. فالمرجة منظور إلى هيئتها ومقدارها معا.

(١) الديوان ١١ من ٤ - وياري: بغارض - لف: زمام مفترض.

(٢) انظر المفردات ٤٦٢.

(٣) سورة هود ٤٢.

١٠٦ - قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فُرْقَىٰ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(١)

(الطلود) أي لـ شكل الجبل العظيم المنطاد في السماء، لـ مساحته وحجمه الضخم.^(٢)

١٠٧ - قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَّتَمَاثِيلَ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُلُوبٍ رَّاسِيَاتٍ اغْمَلُوا آلَ ذَارُوذَ شَكْرًا وَقَلِيلٌ مَّنْ عَبَادَ إِلَيْهِ الشُّكُور﴾^(٣)

(وجفان كالجواب) أي كالحياض بالكبيرة في المساحة والسعنة قبل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف وجل ، قال الأعشى:

لَفِي الْلَّمِ عَنْ آلِ الْخَلْقِ جَفَنَةٌ

كِجَابِيَّةِ الشَّيْخِ الْعَرَقِيِّ تَفَهُّقٌ

تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَدَوْفِمٌ

مِنَ الْقَوْمِ وَلِدَانَ مِنَ النَّسْلِ درْدَقٌ^(٤)

فالكاف في الآية بمعنى (شكل) وكمله في البيت.

١٠٨ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٥)

١٠٩ - وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٦)

(١) سورة الشوراء .٦٣ .

(٢) ينظر الكذاف .١١٥/٣ .

(٣) سورة سبا .١٣ .

(٤) ديوان الأعشى ١٤١ - والجواب: الموضع الضخم - تفهق: تفهق - والدردق: الأطفال - ولليل الشيخ العراقي: كسرى.

(٥) سورة الشورى .٣٢ .

(٦) سورة الرحمن .٢٤ .

كالأعلام في مساحتها وارتفاعها وضخامتها.

١١٠ - وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ترمي بشرر كالقصر﴾^(١)

(القصر) أي في شكلها من العظم والضخامة.

وعندما يكون التشبيه بين المختلفين جنساً في صفة حسية ليس طريق إدراكيها البصر - فإن الكاف - عندئذ - لا تكون بمعنى (شبه) ولا بمعنى (شكل) لارباطها بالمشاهدات، وكذلك بقيه الكلمات التي تفيد الحكم بالمشاهدة ، لكننا نلجم عند بيان التشبيه إلى ذكر كلمة (مثل) على سبيل التوسيع والتسامح ، لأن (مثل) لا تكون إلا بين المتفقين جنساً وصفة والشاهد الذي من هذا القبيل ما يأتي:

١١١ - قال تعالى: ﴿وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رِبِّكُمْ لَمَنْ شاء فَلَيُؤْزِمْنَ وَمَنْ شَاء فَلَيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ كَارَأَ أَخْاطَرَ بِهِمْ سُرَادُهَا وَإِنْ يَسْتَهِنُوا يَكْتُلُوا بِمَا كَالْمُهَلِّ يَشْوِي الْوَجْهَ بَسْرَ الشَّرَابِ وَسَاعَةً مُرْتَفَقَاهُ﴾^(٢)

١١٢ - وقال تعالى : ﴿إِنْ شَجَرَةَ الرُّقُومُ طَعَامُ الْأَلِيمِ كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبَطْوَنِ﴾^(٣)

(الملهم) في الآيتين تشبيه في شدة الحرارة وقوتها بقرينة السياق فقد ذكر وصفه بأنه يشوي الوجه في الآية الأولى . وبأنه يغلق في البطون ، في الآية الثانية . وهذا يدل على أن القصد إلى صفة محسوبة ليس طريقها المشاهدة بخلاف محى التشبيه بالملهم في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهَلِّ﴾^(٤) فقد بينا عند الحديث عنها أنه روى في الملهم صفة مشاهدة وهي التلون . إذ قد يكون للشي وصفان فيشبه به منظورا إلى أحدهما في موضع ، ومنظورا إلى الآخر في موضع آخر.

^(١) سورة المرسلات . ٢٢

^(٢) سورة الكهف ٢٩

^(٣) سورة الدخان ٤٣ - ٤٤ - ٤٥

^(٤) سورة المارج ٨

١١٣ - قال تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَارِ﴾^(١).
كالفخار في صدور صوت منه وفي قرته ويزيد النظر إلى معنى الصوت مادة الكلمة فإنما تحمل صلصة وجرسا.

الكاف ومعنى (التعليل)

ذكروا أن من معانى الكاف التعليل . حكاه ابن هشام قائلًا : «قد أثبت ذلك قوم ونفاه الأكثرون . وقد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بـ (ما) كحكاية سيبويه : كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه . والحق جوازه في المجردة من (ما) نحو : ﴿وَيَكَالُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) أي اعجب لعدم فلاحهم ، وفي المقوته بـ (ما) الزائدة ، كما في المثال - الذي حكاه سيبويه - وبـ (ما) المصدرية ، نحو ﴿كَمَا أَرْزَقْنَا فِيهِمْ﴾^(٣) . قال الأخفش : «أى لأجل إرسالى فيكم رسولا منكم فاذكرهونى ، وهو ظاهر في قوله تعالى : ﴿وَإِذْكُرُوهُ كَمَا هَذَا كُمْ﴾^(٤) »^(٥)

وهذا الخلاف الذي حكاه يدل على أن فيه ثلاثة آراء :
الأول : أن الكاف لا تدل على التعليل أبنته . فهي موضوعة للتشبيه لا غير .
وما جاء من الشواهد بمعنى التعليل فعلى جهة من الناويـل ، وهذا رأى الأكثريـة .

الثانـى : أنها تفيد التعليل بشرط أن تكون مكفوفة بـ (ما) وعليـه تكون الكاف قد تحولـها عن أصل دلالـتها على التشـبيـه إلى إفادـتها للـتعلـيل .

(١) سورة الرحمن ١٤ .

(٢) سورة القصص ٨٢ .

(٣) سورة البقرة ١٥١ .

(٤) سورة البقرة ١٩٨ .

(٥) مغنى الليـبـ ١٥١/١ ، والنظر الـبعـرـ الحـيـطـ . ٩٧/٢ .

الثالث: أنها تدل على التعليل كما تدل على التشبيه دون قيد وهو ما ارتضاه ابن هشام، وتكون الكاف بهذا موضوعة للمعینين فهي من المشترك.

والذى أرتضيه كون الكاف للتتشبيه، وما حل من الشواهد على معنى التعليل فعلى جهة التجوز في طرف التشبيه أو أحدهما، وقد ذكر ابن هشام ما يحاب به عن القول بالتعليل في قوله تعالى: «واذكروه كما هداكم» قاللا: «وأجاب بعضهم بأنه من وضع الخاص موضع العام، إذ الذكر والهداية يشتراكان في أمر واحد، هو الإحسان، فهذا في الأصل بعرلة: وأحسن كما أحسن الله إليك»، والكاف للتتشبيه، ثم عدل عن ذلك للإعلام بخصوصية المطلوب، وما ذكرناه في الآية من أن (ما) مصدرية قاله جماعة، وهو الظاهر^(١).

إذا الكاف باقية على التشبيه، لكن وضع مكان الطرفين اللذين هما: إحسان العباد (المتشبه) وهو أمر عام، وإحسان الله (المتشبه به) وهو شامل عام - وضع مكافئهما أمران خاصان: مما ذكر الإنسان ربه، وهو نوع من إحسان العبد، وهداية الله وهي نوع من إحسان الله إليكم، ثم تجوز في طرف التشبيه.

ولي ملحوظ آخر يؤيدبقاء التشبيه في الآية، وينبع القول بالتعليل ذلك أن في دعوى كون الهداية علة للذكر بعدها، لأن جوهر الهداية الذكر، فكيف يكون الشيء علة لنفسه، فيترتب الذكر على الهداية ترتب المعلول على العلة؟

وقد خرج الأمير شواهد أخرى لبقاء الكاف للتتشبيه كبقائتها له في قوله تعالى: (واذكروه كما هداكم) قاللا: «وهو ممكن - أيضاً - في (كما أرسلنا) فإن الإرسال إحسان. بل وفي حكاية سيبويه، فإن عدم العلم يتضمن عدم الإساءة، فكانه قيل: كما أنه لم يسى لم يُساً فـإن غير المتلهك لم يقصد الإساءة،

(١) معنى الليبب ١٥١/١ ، وانتظر البحر الخيط ٩٧/٢

واما «ويكانه.. الآية» فيحتمل أنَّ (كان) من أخوات (إن) للتحقيق، والكلام معها مستائف^(١).

وعلى هذا النهج من التخريج يمكن حمل الآيات التي ذكر بعض المفسرين أن الكاف فيها للتعليق، بان تبقى للتشبيه. وهذه الآيات ما يأتي:

١١٤ - قال تعالى: **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتَلَوَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ وَيَزْكُرُكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾**^(٢).

(كما أرسلنا فيكم رسولاً) جوز أهل اللغة أن تعلق بما قبلها (ولاتم نعمتي) أو (علكم قد تكون) أو تعلق بما بعدها. واستجاد الزجاج الرأى الثاني، قال: « - كما - تصلاح أن تكون جوابا لما قبلها، فيكون (علكم قد تكون) كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم ». والأجود أن تكون (كما) متعلقة بقوله عز وجل (فاذكروني أذكريكم) أي فاذكروني بالشكر والإخلاص كما أرسلنا فيكم. فإن قال قالل : كيف يكون جواب (كما أرسلنا) فاذكروني أذكريكم؟ فالجواب ههنا إنما يصلح أن يكون جوابين . لأن قوله (فاذكروني) أمر، وقوله (اذكريكم) جزاء (اذكروني) والمعنى : إن تذكريني أذكريكم^(٣).

ولم يستجد الطبرى هذا الرأى، لكونه ليس الأسهل الأفصح من كلام العرب^(٤).

وعند تفسير الآية يذكر أبو حيان أن الكاف للتشبيه في موضع نصب على أنها نعت لمصدر مدلوف، تقدير الكلام، أي: ولاتم نعمتي عليكم إنما مثل إثمام إرسال الرسول فيكم، ثم يذكر الرأى بآهنا للتعليق قائلًا: «ويحتمل بل

(١) حاشية الأمير على متفق الليبب ١٥١/١.

(٢) سورة البقرة ١٥١.

(٣) معانى القرآن واعرابه ٢١٠/١.

(٤) بنظر جامع البيان ٣٦/٢.

الأظہر إذا علقت بما بعدها لا تكون الكاف للتшибیه، بل التعلیل، وهو معنی
مقول فيها إنما ترد له، وحول على ذلك قوله تعالى: ﴿وَذَكْرُوهُ كَمَا
هذا كُم﴾^(١) وقد سبق القول ببيانها للتшибیه وجود التجوز في مدخولها.

١١٥ - قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فِضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا
أَفْتَشْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَإِذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْعَرَامِ وَإِذْكُرُوهُ كَمَا هَذَا كُمْ وَإِنْ
كُشِّمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).

(كما هذا كُم) الكاف للتшибیه، في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف أو
حالاً، وجوز فيها التعلیل من أثبت هذا المعنی للكاف. أى اذکروه هداكم. وقد
سبق القول باستفاضة في الآية، وتحقيق كون الكاف للتшибیه.

١١٦ - قال تعالى : ﴿فَإِنْ خُفْتُمْ فِرْجًا أَوْ رُكْبًا فَإِذَا أَمْتَشْتُمْ فَإِذْكُرُوا
اللَّهَ كَمَا عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُنُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ذكر أبو حیان صحة اعتبار الكاف للتعلیل، أى فـإذکروا الله لأجل
تعلیمه إياكم^(٤) وكوحاً للتшибیه جلى لا يخفى.

١١٧ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَّشُ بَيْنَ أَلْيَ أَجَلٍ
مُسْمَى فَاقْتُلُوهُ وَلَا يَكُبُرُ يَتَكَبُّ كَاتِبَ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبَ أَنْ يَكُبُرَ كَمَا
عَلِمَ اللَّهُ فَلَا يَكُبُرُ وَلَيَمْلِي الدِّي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيَقُلِّ اللَّهُ رَبِّهِ وَلَا يَتَخَسَّ مِنْهُ شَيْءًا
..... الآية﴾^(٥).

(كما علمه الله) أى بمثل ما علمه الله من كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير.
أو الكاف للتعلیل، أى لأجل ما فضلته الله.

(١) البحر الحيط ١٤٤/١ وانظر البرهان للزرکشى ٤/٣١٠.

(٢) سورة البقرة ١٩٨.

(٣) سورة البقرة ٢٣٩.

(٤) ينظر البحر الحيط ٢٤٤/٢.

(٥) سورة البقرة ٢٨٢

١١٨ - قال تعالى: «وَكَذَلِكَ لَرِي إِنْرَاهِيمَ مَلِكُوت السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^(١).

(وكذلك) الكاف للتشبيه والمعنى: ومثل هدایته إلى توحيد الله تعالى
ودعوه أباه لترك الأصنام وعبادة الله أشهدهناه ملكوت السموات والأرض ليدعوا
قومه مستدلاً بما رأى. ومن يقول بأن الكاف للتعليق يقدر المعنى: لذلك الإنكار
على قوله إلى التوحيد أربناه ملكوت السموات والأرض»^(٢).

١١٩ - قال تعالى: «وَتَلَقَّبُ أَفْنَادَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ
مَرَّةٍ وَلَذِرَهُمْ فِي طَقْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ»^(٣).

يبدو من صنيع أبي حيان أنه يرتضى كون الكاف في قوله تعالى: (كما لم
يؤمنوا) للتعليق، فهو يقول: «المعنى أنه تعالى يحولهم عن المسدي ويشركهم في
الضلال والكفر، و(كما) للتعليق، أي يفعل بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا به أول
وقت جاءهم هدى الله»^(٤).

وكانه لم يرض بما ذكره من كلام الزمخشري، من كون الكاف للتشبيه،
والكلام على الإخبار بتقدير أنه لو جاءت الآية التي افترجها صنعتنا بهم ذلك
كما صنعتنا بهم أول مرة، وعبارة الزمخشري «ولقلب أشندقم - ولذرهم -
عطف على لا يؤمنون (في الآية السابقة) داخل في حكم وما يشعركم، بمعنى وما
يشعركم أنتم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أشندقم وأبصارهم أي نطبع على
قلوبهم وأبصارهم فلا يفهون ولا يصررون الحق، كما كانوا عند نزول آياتنا، أو
لا يؤمنون بما لكونهم مطبوعاً على قلوبهم»^(٥).

(١) سورة الأنعام .٧٥.

(٢) ينظر الكشاف ٢٠/٢ والبحر الخفيف ٤/١٦٥.

(٣) سورة الأنعام .١١٠.

(٤) البحر الخفيف ٤/٢٠٣.

(٥) الكشاف ٤/٤٤.

ومناط الفرق بين ما اختاره أبو حيان وما ذهب إليه الزمخشري أن أبا حيان يرى أن الكلام إخبار مسأله بما يفعل بهم في الدنيا وهو أمر واقع. أما الزمخشري فيرى أنه إخبار بما يقع لهم على تقدير وقوع الآية المقترحة، فالقليل لم يقع، لأنه مرتب على أمر على تقدير وقوعه.

على أى أرى - والله أعلم - أن اعتبار مدخل الكلام علة للكلام قبله وهو تقليل الأفتدة والأبصار بضعفه تقييد عدم الإيمان بقوله : (أول مرة) لأن تقليل الأفتدة والأبصار لا يعلل بترك الإيمان أول مرة، ولكن بتركه دائماً؛ إذ لا يتعين مع عدم الإيمان للمرة الأولى بقاء تقليل الأفتدة والأبصار فقد تذهب عن القلب غواishi الشك التي التبست به أول سماعه الدعوة إلى الحق، ثم يستقر الإيمان فيه. والمعنى الذي يدل على من الآية الكريمة بيان استمرار أحواهم على نمط واحد من الشك والتقلب والخيرة. فلا تراهم الآن إلا في هذه الخيرة. كان رأيهم عند دعوتك لهم أول مرة. فالكاف للتشبيه، وهو واضح جلى. أعادنا الله من الخيرة وثبتتنا القلوب.

١٢٠ - قال تعالى: **﴿كَمَا أَخْرَجْتَ رِبْكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾**^(١).

قال الزمخشري: «كما أخرجك ربك - فيه وجهان : أحدهما: أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محدوف، تقديره: هذا الحال كحال إخراجك، يعنى أن حاهم في كراهة ما رأيت من تنفيذ الغرزة مثل حاهم في كراهة خروجك للحرب، والثاني: أن يتتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله (الأطفال الله والرسول)، أي الأطفال استقرت الله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون»^(٢).

(١) سورة الأنفال ٥.

(٢) الكشاف ١٤٢/٢.

ومن إشارات ابن المير - رحمة الله عليه - قوله: «وكان جدّي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير - رحمة الله عليه - يذكر في معنى الآية وجه من هذين. وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه الصلاة والسلام - بالأطفال وتقويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة والجزاء باخراجه من بيته مطيناً الله تعالى ، سامعاً لأمره ، راضياً بحكمه على كراهة المؤمنين الطاعة ، فشبه الله تعالى نوابه بهذه المزية بطاعته المرضية . فكما بلغ طاعته الغاية في نوع الطاعات . فكذلك بلغت إثابة الله له الغاية في جنس المغوبات ، وجاء هذا المعنى هو المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام « والأجورة على قدر النصب »^(١) .

ويذكر أبو حيان حسنة عشر رأيا في معنى الآية والكاف، ولم يرض بشيء منها، وإنما ارتضى تحريراً (تاماً) يرجع إلى كون الكاف ليست شخص التشبيه، بل فيها معنى التعليل، والمفهوى عليه: لخروج ربك لك من بيتك بالحق نصرك وأيناك^(٢).

١٢١ - قال تعالى: **﴿وَأَنْخِضُ لَهُمَا جَنَاحَ الَّذِي مِنَ الرُّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْنَا صَفِيرَاهُمْ﴾**^(٣) .

استظهر أبو حيان كون الكاف في الآية للتعليل، قال: « والظاهر أن الكاف في (كما) للتعليل، أي رب أرحمهما لرببيتها وجزاء على إحسانهما إلى حالة الصغر والافتقار »^(٤) .

على أن ذلك - عيني - ليس بالوجه، بعد أن يخل الفعل الإلهي بفعل العباد؛ إذ الآية تأديب من الله تعالى لعباده أن يقولوا التي هي أحسن، وعلى هذا

^(١) الإنصاف على الكشاف ١٤٢/٢.

^(٢) ينظر البحر المحيط ٤٥٩/٤ وما بعدها.

^(٣) سورة الإسراء ٢٤.

^(٤) البحر المحيط ٢٨/٦.

النمط العالى قول يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - عندما أراد أن يدعو ربه. فقد أدخل ما أراد أن يدعو ربه في إطار نعم كثيرة فضله الله تعالى بما فقال ﴿رَبِّنِي مَنْ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقَى بِالصَّالِحِينَ﴾^(١).

والأولى في الكاف في قوله (كما) كونها للتشبيه، والمعنى ارجهما رحمة — لأنك الراحم بالحقيقة — كما رحمني بما فرباني صغيرا .

١٢٢ — قال تعالى ﴿وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاهُ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةِ وَلَا تَسْنَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَخْسِنْ كَمَا أَخْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَنْعِي الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ كَيْحَبُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

(كما أحسن الله إليك) أي إحسانا كإحسان الله، أي في مطلق وقوع الإحسان، إذ ليس ثمة مشابهة في الصفات ، بل لا مقارنة أبدا.

وقيل : الكاف : للتعليل، أي لأجل إحسان الله إليك^(٣)

الكاف ومعنى (التأكيد) :

ذكر بعض أهل اللغة والتحorيين أن الكاف كما تأتي للتشبيه والتعليل تأتي أيضا - زائدة للتأكيد، وحملوها على الريادة في آيات من القرآن الكريم منها ما يأتي:

١٢٣ — قال تعالى: ﴿فَاطَّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤).

(١) سورة يوسف ١٠١.

(٢) سورة القصص ٧٧.

(٣) بنظر البحر الحيط ١٢٣/٧.

(٤) سورة الشورى ١١.

فقد ذهب كثير من العلماء إلى أن في الآية زيادة ثلثا يلزم الحال، لأن المعنى على أصله (الكاف) و (مثل) ليس شيء مثل مثله، فيكون محتما إلبات المثل له - سبحانه - لأن النفي بحسب الظاهر ينصب على الحكم وفيه ثبوت متعلقه، لأن المبادر من قوله: ليس مثل ابن زيد أحد أن لزيد ابنا^(١).

ولما كان محتما إلبات المثل وليس قاطعا فيه «لأن السالبة» - كما يقول علماء المنطق - تصدق بـ عدم الموضوع، أو لأن النفي كما يقول علماء التحسو - قد يوجه إلى المقيد وقيده جهينا، تقول: ليس لفلان ولد يعاونه، إذا لم يكن ولد فقط، أو كان له ولد ولم يعاونه. وتقول: ليس محمد أخا لعلى، إذا كان أخا لغير على، أو لم يكن أخا لأحد^(٢).

وقد اختلف في الزائد هل هو (مثل) أو (الكاف)? فقيل الزائد (مثل) زيدت لتفصل الكاف من الضمير. وأكثر القائلين بالزيادة على أن الزائد (الكاف) لأن زيادة الحرف أولى من زيادة الاسم.

وقد ذكر الطيري الرأيين قالا: « قوله - ليس كمثله شيء - فيه وجهان: أحدهما: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام؛ إذ اختلف اللفظ به وبالكاف، وهو بمعرف واحد، كما قيل ما إن نديت بشيء أنت تكرره. فادخل على (ما) وهي حرف جحد (إن) وهي - أيضاً - حرف جحد لاختلاف اللفظ بما وإن الفق معناهما توكيدا للكلام، كما قال أوس بن حجر:

وقلى كمثل جذوع النخل

ومعنى ذلك كجذوع النخيل، كما قال الآخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلكم

ما إن كمثلهم في الناس من أحد

(١) ينظر البرهان للزركشى ٣١٠/٤ ومهنى الليب ١٥٣/١.

(٢) النها العظيم ١٤٦.

والآخر: أن يكون معناه: ليس كمثله شيء، وتكون الكاف هي الداخلة في الكلام كقول الراجز: وصاليات ككما يُؤثِّفين. فادخل على الكاف كافية توكيدا للتشبيه»^(١).

الطبرى إذا يذهب مع من يقولون بزيادة إحدى الكلمتين في الآية لتأكيد نفي المثل لأن زيادة الحرف بمفردة إعادة الجملة ثانية.

(رأى الزمخشري) ذهب الزمخشري عند تفسير الآية إلى عدم الزيادة فيها، لا الكاف، ولا (مثلك)، مشارياً إلى ضعف القول باليزيادة. قال: «قالوا: مثلك لا يدخل فنوا البخل عن مثله: وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكتابة، لأنهم إذا نفوه عنمن يسد مدة وعنمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، ونظيره قوله للعربي: العرب لا تخفر الذمم، فكان أبلغ من قوله: أنت لا تخفر .. فإذا علم أنه من باب الكتابة لم يقع فرق بين قوله: ليس ك الله شيء، وبين قوله (ليس كمثله شيء) إلا ما تعطيه الكتابة من فائدتها وكأنهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد، وهو نفي المبالغة عن ذاته. ونحو قوله عز وجل: هَبْلٌ يَذَاهُ مَبْسُطَتَانِ^(٢) فإن معناه: بل هو جواد، من غير تصور يد ولا بسط لها، لأنما وقعت عبارة عن الجود، لا يقصدون شيئاً آخر حتى إنهم استعملوها فيما لا يد له. فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل، ومن لا مثل له. ولذلك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت لتأكيد كما كررها من قال: وصاليات كما يُؤثِّفين. ومن قال: مثل كمحض مأكول»^(٣).

ووهذا يتضح أنه يرى ترجيح أصالة الكلمتين: الكاف و(مثلك) في الآية، وأن التركيب أفاد نفي المبالغة من طريق الكتابة، وذلك بتنفي المثلية عن مثل الله

(١) جامع البيان ١٢/٢٥ ، ١٢٠.

(٢) سورة المائدة ٦٤.

(٣) للكشاف ٤٦٢/٣

تعالى، مراداً بهذا المثل الله تعالى، إذا ليس له مثل. كما يترك القول بالزيادة إلى ضعفه بقوله: ولك أن تزعم.

(رأى ابن المنير) يلهم ابن المنير - رحمة الله - إلى اختيار الرأي الأول الذي ذكره الزمخشري ، رافضاً الرأي الثاني. أى القول بالزيادة لإخلاله بالمعنى لأن الزيادة للتأكيد تأكيد المماثلة، ومع تسلط النفي عليها يفید الكلام نفي تأكيد المماثلة، ونفي تأكيد المماثلة لا يستلزم نفي مطلق المماثلة لفسح ولو عهراً، وهذا مستحيل. وعبارته : «وهذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى، وذلك أن الذي يلقي هنا تأكيد نفي المماثلة، والكاف على هذا الوجه إنما توکد المماثلة، فإن نفي المماثلة المهملة عن التوکيد أبلغ وأکد في المعنى من نفي المماثلة المفترضة بالتأكيد، إذا يلزم من نفي المماثلة الغير المؤكدة نفي كل مماثلة، ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة باللغة نفي مماثلة دونها في التحقيق والتأكيد، وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت في الإيات فأكدها، فليس النظر في الآية هلينين النظرين مستقيماً والله أعلم »^(١).

هذا كلامه، وهو واضح في رفضه القاطع القول بالزيادة. ولم يكتف بما ذهب إليه الزمخشري من تضعيقه. واستدل على بطلانه - أى القول بالزيادة - بأنه يؤدي إلى فساد المعنى.

(رأينا في ذلك) وهو ذو وجهين: وجه اتفاق مع الزمخشري وابن المنير، وجده اختلاف.

وجه الاتفاق: وهو القطع برفض القول بزيادة (الكاف أو مثل) وأن نفي المثلية عن الله تعالى بطريق الكتابة.

(١) الإنصاف على الكتاب ٤٦٣/٣

وجه الاختلاف: نحن نرى أن دليل عدم الزيادة في الآية يقوم على أساس لغوی، وهو دلالة كل من (الكاف ومثل) إذ ليس معنا في الآية كلمتان متفقان اتفاقا تاما في الدلالة يقتضيما القول بزيادة إحداهما لافادة تأكيد الأخرى، أو يساعدنا عليه. لأن الكاف التي هي أداة التشبيه أصلحة وفي الآية كذلك تدل - كما قررنا - على التشبيه مطلقا، ولا يتعين دلالتها على المائلة في الذات والصفات التي هي مدلول (مثل) إذ قد تدل على شبه في صفة (ما) دون غيرها. فالكلمتان (الكاف ومثل) مختلفتان في دلالتهما اللغوية، وتؤديان في الآية هذه الدلالة. فتركيب الآية بالففي والكاف على نفي مطلق مشاهدة أى نفي المثل المفترض - بدلالة المقام - وجوده، وإذا انفي مطلق المشاهدة في صفة للمثل المدعى استلزم ذلك انتفاء مطلق المشاهدة في صفة الله تعالى بمحضها المائلة ، وإذا ثبت انتفاء مطلق الشبه لله - تعالى - استلزم ذلك انتفاء المائلة في الذات، وبجميع الصفات، التي هي مدلول (مثل) من باب أولى، على طريق التنبية بالأدلة على الأعلى، وثبت بذلك الوحدانية لله تعالى.

ومن هنا يندفع قول أبي حيان: «قد أجمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما موضوعهما الحقيقي من أن كلا منهما يراد به التشبيه، وذلك محال، لأن فيه إثبات مثل الله تعالى، وهو محال»^(١).

ووجه الدفع أن الكلمتين يراد بهما - فعلا مدلولهما اللغوي، لكن حكمه عليهم بأن مدلولهما إرادة التشبيه بما بهذا الإطلاق لا يستقيم، كما أن إثبات المثل لله تعالى محال إن كان على سبيل القطع والتحقيق . أما على سبيل الفرض فجاز لأن افتراض الوجود هو في حقيقته إثبات للانتفاء، فليس الإثبات على سبيل الفرض محالا. والله أعلم.

١١٤ - قال تعالى: **﴿وَسُورَ عِينٌ كَامِلَ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْتُونِ﴾**^(١).

يشبه الله تعالى الحور باللؤلؤ في شدة البياض والصفاء وقد اجتمع في الآية أداة التشبيه (الكاف) وكلمة (مثل) بصيغة الجمع التي تفيد المبالغة في الذات والصفات. وبناء على ما أكدنا ذكره عند سورة الشورى السابقة من اختلاف دلالة الكلمتين فإنه لا يمكن القول بزيادة إحداهما في هذه الآية.

والنكتة من مجني الكلمتين معاً - والله أعلم - أنه لما كان أصل دلالة الكلمة (مثل) الاتفاق في الجنس والصفة. والحور العين واللؤلؤ مختلفين جنساً متتفقين صفة، جاءت الكاف للدلالة على المشاهدة بينهما في الصفة دون الجنس ، كما لو قلنا في غير القرآن الكريم: حور كاللؤلؤ. ودللت صيغة الجمع (أمثال) على ما لا تدل عليه الكاف من عائل أفراد كل طرف مع بعضها وتشاكليها في الحسن من جميع الجوابات مقابلة في أوصافها أفراد الطرف الآخر.

وهذا شئ لا نجد له إلا في القرآن الكريم، مما يستحيل معه القول إن كلمة منه لا تفرد بمعنى خاص بها عن آخرها وهي في موضع الزيادة تأكيداً لها. لكنه - أي هذا القول - كثيراً ما يجوز في كلام البشر. كما هو واضح فيما ذكرناه من شواهدتهم تدليلاً على زيادة الكاف، وقد لا تخفي الزيادة في قول الأعشى من قصيدة التي يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى

ولاقيت بعد الموت من تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله

وأنك لم ترصد لما كان أرصدا^(٢)

(١) سورة الواقعة ٢٢-٢٣.

(٢) ديوان الأعشى ٤٦.

لقوله: (كمثله) الكاف فيه زائدة، أملت عليه هذه الزيادة ضرورة البيت. ولو فتشنا عن معنى يزيد بإحدى الكلمتين عن الأخرى فلن نجد. يبقى لنا الإشارة إلى أن فيه آيات أخرى قالوا فيها بزيادة الكاف، ونرى فيما استشهدنا به كفاية في هذا المطلب^(١).

(١) انظر على سبيل المثال تفسير آية البقرة ٢٦١ وآية آل عمران ٥٩ في البعر الشبيط ٤٧٧، ٣٠٣/٢ وآية البقرة ٢٥٩ في البرهان للزركشي ٣١٠/٤.

ثانياً - الأداة الأخرى «كأن»^(١):

الحرف الآخر الذي يدل على التشبيه (كأن) وقد اختلف فيها، أبسطة أم مركبة، في ذلك مذهبان:

الأولى: أنها بسيطة لا تركيب فيها، وهو مذهب بعض البصريين وحکى السيوطي اختيار أبي حيان له. وعللوا ذلك بجعدها. وبأن التركيب خلاف الأصل، ويقعها في بعض الصور فيما لا يصح فيه التأويل بالمصدر المناسب لـ (أن) المفتوحة.

الآخر: أنها مركبة من (الكاف) ومن (أن) المشددة، نظراً لما يedo من صورها، وقد ذهب إلى ذلك الخليل، وسيويه، وجمهور البصريين، والفراء. بل فيه من ادعى عدم الخلاف في تركيبها^(٢).

وقد ذكر ذلك سيويه في عدة مواضع من كتابه، من ذلك قوله: «سألت الخليل عن (كأن) فزعم أنها (إن) لحقتها (الكاف) للتشبيه، لكنها صارت مع (إن) بمفردة...». ^(٣)

وقال ابن جن في (كأن زيداً عمرو): «اعلم أن أصل هذا الكلام زيد كعمرو، ثم إنهم بالغوا في تأكيد التشبيه فقدموا حرفه إلى أول الكلام عناية به، وإعلاماً بأن عقد الكلام عليه، فلما تقدمت (الكاف) وهي جارة لم يجز أن تباشر (إن) لأنها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل، فوجب لذلك فتحها، فقالوا: كان زيداً عمرو»^(٤).

(١) شواهد (كأن) في القرآن الكريم أربعون شاهداً وقفت في سبع وللآيات آية وكررت في ثلاث آيات منها. وشواهدنا لفيلة خمسة وعشرون شاهداً، ومخالفتها تسعة شواهد، ومكتففة بـ (ما) ستة شواهد، متذكرة بما يجيئها بهن من الله تعالى، على حسب الفرض، لكن لا على سيل ذكر جميع شواهد الفرض في موضعها، منها للإطالة بالذكر، وما سعاد الاستشهاد به بسياق رقمه بين معرفتين، والله المستعان.

(٢) ينظر شرح النخيص ٣٨٥/٣ وجمع الموسوعة ١٣٣/١ ومدى الليب ١٦٢/١.

(٣) الكتاب ١٥١ / ٣ والنظر صفحه ١٦٤ ، ٢٣٢ .

(٤) الخصالص ٣١٧/١ .

ومسلك الخطيب في التلخيص والإيضاح عند حديثه عن أدوات التشبيه وذكره (الكاف) و (كان) يحتمل كون (كان) عنده بسيطة، ليست (الكاف) أصلها، أو أنها مركبة من كاف التشبيه و (كان)^(١).
(معانى كان):

ذكر أهل اللغة لكلمة (كان) أربعة معانٍ:
 التشبيه، والظن، والتحقيق، والتقرير. والذي يعنينا في هذه الدراسة معرف التشبيه، لكننا سنذكر المعانى الأخرى لنقف على ما أجاب به العلماء لارجاعها إلى معنى التشبيه.

(معنى التشبيه)

المشهور المتفق عليه عند الجمهور أن (كان) تفيد التشبيه مطلقاً^(٢)، ولا معنى لها غيره عند البصريين. قال به الخليل، وسفيويه، والمفرد، وابن جنى، وذكره ابن هشام، والمرادى، والسيوطى، وهم يزولون كل الأمثلة التي قيل: إن (كان) فيها تفيد معنى آخر ويرجعون إلى التشبيه^(٣).

ومن شواهد التشبيه بـ (كان):

١- قول الله تعالى : **فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ حَسَنًا كَمَا كَانُوكُمْ بُنَيَّانَ مُرْضُوصُوهُمْ^(٤).**

يشبه الله تعالى المؤمنين حال القتال والوقف صفا واحداً بالبيان المرصوص في الاستواء والتماسك. ويجوز أن يكون في استواء الآيات وأثبات عليها.^(٥)

(١) ينظر شروح التلخيص ٣٨٥/٣ وعروض الأفراح ٣٩١/٣.

(٢) أي دون نظر إلى كلام الزجاج وغيره من التفصيل الذي سندكره. انظر الأطوال ٨٨/٢.

(٣) انظر الكتاب ١٤٨/٢ والمفتضب ١٠٨/٤ والمصالص ٢١٧/١ ومعنى الليب ١٦٢/١ والمعنى الدان ٥٧٠ ومعنى الموضع ١٣٣/١.

(٤) سورة الصاف.

(٥) ينظر الكتاب ٩٧/٤.

(معنى الظن)

ذهب الكوفيون وجماعة منهم الزجاجي (الميد الزجاج) وابن الطراوة، وابن السيد إلى أن (كان) لا تكون للتشبيه إلا إذا كان خبرها إسماً جامداً، مثل: كان زيداً أسد. أما إذا كان خبرها جملة أو شبهها، أو صفة فهي للظن والحسبان، مثل: كان زيداً قاتم، أو يقظ، أو في الدار، أو عندك.

وقال الإمام عبد القاهر: «كان وحسبت وخلت وظننت للدخل إذا كان الخبر والمفعول الثاني أمراً معقولاً ثابتاً في الجملة، إلا أنه في كونه متعلقاً بما هو اسم (كان) أو المفعول الأول من حسبت مشكوك فيه، كقولنا: كان زيداً منطلق، أو مجاز يقصد به خلاف ظاهره، نحو: كان زيداً أسد. فال الأول على الجملة ثابت معروف، والغريب هو كون زيد إيه ومن جنسه»^(١).

وقد حكى السعد ما يراه الزجاج من أن (كان) تكون للتشبيه عندما يكون خبرها جامداً، وللظن عندما يكون خبرها مشتقاً^(٢). وذكر أليضاً -رأي الجمهور، ثم رأى أن الحق في القول بمجينتها للظن سواء كان الخبر مشتقاً أو جامداً ، وكثروه في كلام المؤلفين^(٣).

وحاصل القول أن فيها تبعاً لما ذكره ثلاثة آراء:

الأول: أنها للتشبيه مطلقاً، سواء كان خبرها جامداً أو مشتقاً .

الثاني: أنها للتشبيه إن كان خبرها جامداً وللظن إن كان خبرها مشتقاً.

الثالث : أنها قد تجيئ للظن مطلقاً، سواء كان خبرها مشتقاً أو جامداً.

^(١) أسرار البلاغة ٢٦٦، ٢٦٧ وانظر ماحكينا عن الكوفيين الجني اللذان ٥٧٢ ومدن الليب ١٦٣/١ وعروض الأفراح ٣٩٢/٣.

^(٢) مما ذكرناه قبل نعلم أن الزجاج لم ينفرد بذلك التفصيل كما هي دعوى العصام النظر الأطوال ٨٨/٢.

^(٣) ينظر المطول ٣٢٨ والرأي الأعمى الذي ذكره السعد يناسب إلى أبي بحري (ذكرها الأنصاري في كتابة: فتح بول المان بشرح الفصي الأمان في البيان والدبيع والمان ط الجمالية بمصر ١٩١٤ - عن كتاب الحروف العاملة في القرآن الكريم ١١٧ د/هادي عطية).

(مناقشة القول بمجيئها للظن):

(الظن مع الخبر المشتق)

قد يبدو من الرأيين الثاني والثالث السابقين أن المدخل إلى القول بمجيئه (كان) للظن عندما يكون الخبر مشتقاً وعندما يكون جامداً - واحد فيهما. لكن إمعان النظر يدل على أن المدخل إليه فيهما مختلف، بل إن طبيعة الظن فيهما - أيضاً - مختلفة، ذلك لأن الحامل على القول بالظن عندما يكون الخبر غير جامد في مثل: *كان زيداً قائم* - امتناع أن يكون المشبه والمشبه به شيئاً واحداً، لأن التشبیه في المثال تشبیه للشیء بنفسه، لأن القائم هو زيد، لكون الخبر المشتق عن المبتدأ؛ لأن ضمير المشتق عین الاسم، والمشتق عین الضمير.

لذا يتعين أن تكون الجملة مفيدة الشك في وقوع الخبر هروباً من هذا المدخل، وتكون (كان) خرجت عن معناها الأصلي الذي هو الدلالة على التشبیه إلى معنى الشك، أو أنها استعملت في الشك. لكنها وضعت له للتشبیه.

وطبيعة الشك هنا هي كون الخبر مشكوكاً في وقوعه للمبتدأ الذي هو اسم (كان) وهذا بين الوضوح. وطريق التفصي عن هذا المدخل الذي دفع إلى القول بعدم دلالة (كان) على التشبیه وجعلها للظن في الجمل التي خبرها مشتق أو جملة أحد الوجوه الآتية:

(الوجه الأول) تأويل المثال المذكور - وما هو من قبيله - وإرجاعه إلى التشبیه، بتقدير موصوف مدلوف، لأن أصل المعنى في المثال: *كان زيداً شخصاً قائماً*، فالمشبه والمشبه به متغايران، ولما قام الوصف مقام الموصوف وصار كأنه الخبر بعينه، عاد ضمير الوصف على اسم (كان) لا على الوصف المقدر، وروعي فيه ما يناسب اسم (كان) بجريانه عليه بحسب الظاهر، كما تقول: *كاني أمشي*،

وكانك تمشي، لأنك لو رجع إلى الأصل لقلنا: يمشي في المثالين مراعاة للموصوف المدلوف، لأن الأصل: كأني رجل يمشي، وكأنك رجل يمشي^(١).

٢- قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُوكُمْ عَنِ السَّاعَةِ أَهِيَنَ مُؤْسَأَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِنْدَ رَبِّي لَا يَجْلِبُهَا لِوْقَهَا إِلَّا هُوَ تَقْلِتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بِمَا
يَسْأَلُوكُمْ كَمَا لَكُمْ حِقْيَّةٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والتشبيه ليس تشبيهاً للرسول بنفسه في صفة الاجتهاد في السؤال عن الساعة معرفة وقتها، لأنَّه لم يكن منه ~~ذلك~~ ذلك، ولتعين اختلاف المشبه والمشبه به - ذاتاً أو حالاً. فالتشبيه هنا قائم على تقدير موصوف محدود، والمعنى: أَيْ أنت - وهم يكثرون سؤالك عنها - تشبه إنساناً عالماً بما معانٍ بأمرها يسألونه عنها. وعليه فليس المشبه والمشبه به متحدلين.

(الوجه الثاني) أنه لا مانع من كون المشبه والمشبه به شيئاً واحداً ما دام الاعتبار مختلفاً، بأن يكون الشي شبه بنفسه باعتبار حالين مختلفتين.

^(١) ينظر مواهب الفناح: شروح ٣٨٦/٢ وحاشية الأمير على متفق الليب ١٦٣/١.

(٢) سورة الأعراف

^{٣٠} المفردات في غرب القرآن ١٢٥ وانظر لسان العرب .٩٣٦

(٤) الكشاف ١٣٤/٢ والنظر جامع البيان ٩/١٤٠ والبحر الخيط ٤/٤٣٥.

فالسائل: كان زيداً قائماً، يكون مشبهاً له في حال الجلوس لطول جذعه
بمحاله وقت القيام: وكذلك قوله: كانه نائم، تشبيه له حال اليقظة به حال النوم
 لعدم تباهي لما يقال له، وهكذا^(١).

٣- قال تعالى: **هُوَ يَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَمَا هُمْ إِلَى كُسْبٍ**
يُوْلَقُّونَ هُوَ^(٢)

(كأهمل إلى نصب يوفضون) يشبه الله تعالى سرعتهم وجريهم يوم القيمة
مجيبين الداعي بسرعتهم عندما كانوا يجرون مسرعين إلى أنصاصهم في الدنيا.
فالماشي والمشبه به واحد لكنه اختلف باعتبار الحالين؛ لأنهم شبهوا في حالتهم يوم
القيمة بحالتهم التي كانوا عليها في الدنيا. فلا ضير إذا من عقد التشبيه والخبر
لعل لصحة هذا الأعيبار الذي بيانه. ومن شواهد ذلك في الشعر قول زهير:

تراث إذا ما جنته متلهلا

كأنك تعطه الذي أنت سائله^(٣)

جاء الغير في جملة التشبيه (كأنك تعطيه) فعلاً وذلك بتضليل المخاطب حال الأخذ من المدوح به حال إعطائه المدوح، فالتشبيه لشي واحد بمحالين مختلفتين، ثم يتبع هذا التشبيه تشبيه حال المدوح عند عطائه وفرحة به بمحاله عندما يكون هو الآخذ على حد سواء.

^(١) النظر الجيغ الدائني في حروف المعانٍ ٥٧٢، ٥٧٣.

(٢) سورة المعارج

(٣) البيت في الشعر والشعراء ١٣٩

وإذا كان لا يمكنهم القول بالشك فيها فهذا دليل قاطع لرفض ما ذهبوا إليه. من شواهد ذلك.

٤- قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ بِمَا فَهِمُوا لَهُمْ أَنَّهُ فَرِيقٌ مِّنَ الظَّالِمِينَ أُولَئِنَّا أَنْجَيْنَاكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَرَأَءَ ظُهُورِهِمْ كَمَا هُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**^(١).
 جاء الخبر (لا يعلمون) فعلا، والمشبه والمشبه به واحد وهم أهل الكتاب، لكنهم شبهوا بأنفسهم باعتبار حالين مختلفين ، حال العلم وحال الجهل، وكلام الزمخشري يفيد ذلك ، قال: « كافهم لا يعلمون _ أنه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك ، يعني أن علمهم بذلك رصين ، ولكنهم كابروا وعالدوا وبذلوه وراء ظهورهم » ^(٢).

ويعيل أبو حيان في تفسيره إلى تقدير موصوف محدود - كما ذكرنا في الوجه الأول - يقول : « هو تشبيه من يعلم من يجهل ، لأن الجاهل بالشيء لا يحفل به ، ولا يعتقد به ، لأنه لا شعور له بما فيه من المنفعة» ^(٣).

وكلام الزجاج في الآية يدل على عدم ذهابه إلى أن (كان) للظن قال:
 « كافهم لا يعلمون - أعلم أئم علماء بكتابهم، وأئم رفضوه على علم به، وعداؤه للنبي - ﷺ - وأعلم أئم نبذوا كتاب الله» ^(٤).

هذا هو المناسب لكون الكلام من الله تعالى وإن (كان) في الآية للتشبيه.

^(١) سورة البقرة . ١٠١

^(٢) الكشف / ٣٠٠

^(٣) البحر الهيط / ٣٢٥

^(٤) معان القرآن واعرابه / ١٥٩

(الظن مع الخبر الجامد)

قلنا: أن المدخل إلى الظن وطبيعته عندما يكون الخبر مشتقاً بخلافان عنهما عندما يكون الخبر جاماً، وبينما هناك مدخله وطبيعته، أما المدخل إلى الظن عندما يكون الخبر جاماً وطبيعته فهو تمكّن الشبه بين المشبه والمشبه به لتمام القرب بينهما والمائلة في أخص صفاتهما. يجلّي لنا ذلك شواهد القرآن في الآيات الآتية:

٥- قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَمَكَ فَلَمَّا رَأَهَا تَهْتَزُ كَأَلْهَا جَانٌ وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعْقِبْ يَا مُوسَى لَا تَخْفِ إِلَيَّ لَا يَخَافُ لَدَيِّ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١).

٦- وقال تعالى : ﴿وَإِنْ أَلْقَ عَصَمَكَ فَلَمَّا رَأَهَا تَهْتَزُ كَأَلْهَا جَانٌ وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعْقِبْ يَا مُوسَى أَقْبِلَ وَلَا تَخْفِ إِلَكَ مِنَ الْأَمْمِينَ﴾^(٢).

(كأنها جان) في الآيتين تشبيه للعصا بالشعان الغليظ، وتصوير لاحساس موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - بهذا الشبه الذي تمكّن منه حق كاد يعتقد أن العصا قد خرجت عن طبيعتها الجمادية إلى الحيوانية، فصارت حية فعلاً، بدليل أنه (ولى مدبراً ولم يعقب) فالظن هنا إحساس بكمال المشاهدة، وليس هو الظن هنالك الذي هو أضعف عما هنا في الإحساس بهذه المشاهدة.

وقد يكون المشبه هو المشبه به فعلاً فمرتبته اليقين الذي لا شك فيه، لكن تكتفي هذا اليقين شواهد غير معهودة تنشر ضبابها الملبس الكثيف، فتحول دون الحقيقة وتدفع النفس إلى التشبيه وفي رؤاها الخافية ضوء هذا اليقين. من شواهد ذلك.

(١) سورة النمل ، ١.

(٢) سورة القصص ، ٣١.

٧- قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْكَدَا عَرْشَكِ قَالَتْ كَائِنَةُ هُوَ وَأَوْيَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾^(١)

قوله تعالى حكاية عن بلقيس (كان هو) تشبيه لما تراه أمامها بعرشها الذي تعهد لها بيتهما من الشبه البالغ الذي يكاد يصيرهما شيئاً واحداً عندها. فهي «لما رأته على هيئة لا تعرفها فيه وتميزت فيه الأشياء من عرشها لم تجزم بأنه هو، ولا نفته النفي البالغ، بل أبرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت: كانه هو....»^(٢) فالتشبيه في الآية له دلالته بمساعدة المقام - على قام المشاهدة وكماها إلى درجة قرب اعتقاد أن المشبه والمشبه به ليسا شيئاً وإنما هما شيء واحد.

هذا تكون قد أوضحتنا الفرق بين الظن عندما يكون الخبر مشتقاً، والظن عندما يكون الخبر جاماً.

الظن مع المشتق - على القول به - خروج بالشاهد عن التشبيه إلى التردد في وقوع الخبر وصفاً أو فعلاً.. أما مع الجامد فهو إحساس بقوة المشاهدة، وأنما بلغت حداً يظن معها أن المشبه هو المشبه به.

والقول بأن (كان) قد تجيئ للظن مطلقاً سواء، كان الخبر جاماً أو مشتقاً - كما ذكرناه سابقاً عن السعد - هو تلفيق بين الظاهرتين فيهما لأنما لم تجيئ للظن إلا مع الخبر الجامد، بالمعنى الذي بيانه وإن كانت قد جاءت بمعنى الظن عندما يكون مشتقاً، فإن هذا الجني سـكما قيل - خاص بكلام المولددين^(٣) . وعلى هذا فالمسافة بين الظاهرتين واسعة تحتاج إلى تنبه.

(١) سورة النمل ٤٢.

(٢) البحر الخيط ٧٨/٧.

(٣) جاء في مختار السالك على أرضي السالك (٢٠٨/٢) عند الحديث عن حلف (أن) الناصحة وجوباً بعدفاء السبية وواو المعنة المسؤولتين بمعنى أو طلب معتبرين أن من قبيل ذلك أن تكون مسوقة بتشبيه بمعنى النفي، مثل: كأنك وال علينا فتشتمنا، بمعنى ما أنت وال، وهذا يحتاج إلى نظر في كون هذه القاعدة بحسبية على كلام واستعمال عربي قديم، أم على كلام مولده؟

معنى (التحقيق):

ذهب الكوفيون والرجاجي إلى أن (كان) قد تأثر للتحقيق لا للتشبيه.

واستدلوا لذلك بقول الشاعر:

فاصبح بطن مكة مقصمرا
كان الأرض ليس بها هشام

أى: إن الأرض، ووجه الاستدلال بالبيت قوله في رثاء هشام، وهو ليس في الأرض حقيقة، أى على ظهرها. عندئذ لا يتأثر التشبيه، لأن التشبيه يقتضي أن يكون فيها، فلما انفي المقتضى (فتح الصاد) انفي التشبيه، وصار المعنى المفاد بـ (كان) التحقيق، واستصحبوا معه بدلالة المقام معنى التعليل، من جهة كون الكلام معها في المعنى جواب عن سؤال مقدر عن العلة، مثل قوله تعالى: **﴿هُنَّا أَيُّهَا النَّاسُ آتَقُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾**^(١). أى لأن الأرض

وقد أجب بعده أجوبة تدل على أن معنى التشبيه باق:

الأول:- أن يكون المراد بالكون في الأرض الكون بطنها، وعليه يستقيم التشبيه، لأن الأرض عندئذ تكون قد شبّهت عندما افترضت مع وجوده في بطنها بنفسها عند عدم وجوده فيها.

الثاني:- أن يكون المراد هشام هو أو من يخليه، فشبّهت الأرض بحالها عند عدمه وعدم من يخليه معاً، مع أن الواقع وجود خلفه. وهذا مبناه المبالغة، بادعاء عدم سداد غيره مسدده. هذا التعليل واضح بعده.

الثالث:- وهو خاص بالسيوطى - أن يكون من باب تجاهل العارف إشارة إلى ما أصابه من دهشة جعلته لا يصدق أنه مات فعلاً^(٢).

^(١) سورة الحج ١.

^(٢) ينظر الجني الدان ٥٧، ومعنى الليب وحاشية الأمير ٦٣/١ وطبع الموضع ١٢٣/١

الرابع: - أن (كان) في البيت ليست مفردة (أى بسيطة) وإنما هي مركبة من الكاف المرادفة للام في الدلالة على التعليل، ومن (أن) المؤكدة. فهي كلمتان لا كلمة واحدة. كأنه قال: لأن الأرض ليس بها هشام، وجعلوا نظير ذلك الآية الآية:

٨- قال تعالى: **وَأَصْبَحَ الَّذِينَ ظَمِنُوا مَكَانَةً بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَحْفَنَ بِنَا وَيَكَانُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ كَهْ**^(١).

فالمعنى على هذا: أتعجب لعدم فلاح الكافرين ^(٢).
وهذا الجواب لا تكون (كان) للتشبيه ولا للتحقيق. وإنما هي مركبة، والكاف بمعنى اللام.
لكن يضعف القول بتركيب (كان) في الآية والبيت، وأن الكاف للتعليق
أمران:

الأول: مجيئها مخففة في بعض الموضع كما في قول زيد بن عمرو بن نفيل:
ويكان من يكن له شب يُخْ - بَبْ وَمَنْ يَفْتَرِ يَعْشِ عِيشَ ضَرَ ^(٣)
الثاني: - أن اعتبار الكاف في البيت، وفي الآية للتعليق على حد القول
بأنما للتعليق في قوله تعالى: **وَإِذْكُرُوهُ كَمَا هَذَا كُمْهُ**^(٤). فيه تكليف، لأن التشبيه
فيها ممكن ^(٥).

(١) سورة القصص ٨٢.

(٢) في البحر الخيط جهرة من الآراء في (ويكان) ١٣٥/٧ والنظر الجني اللان ٥٧٢.

(٣) ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قيمية ٥٢٧.

(٤) سورة البرة ١٩٨.

(٥) تنظر حاشية الأمير على معنى اللبيب ٣٩/٢.

قال سيبويه: «سألت الخليل سرمه الله تعالى - عن قوله: (ويكانه لا يفلح الكافرون) وعن قوله تعالى جده: (ويكان الله فزعم أنها (وى) مفصولة من (كأن) والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا لتتكلموا على قدر علمهم، أو نبهوا لفظ لهم. أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا، والله تعالى أعلم»^(١).

وقال الزمخشري: «ويكانه لا يفلح الكافرون - أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح، وهو مذهب الخليل وسيبويه»^(٢). وهكذا تجلى وضوح التشبيه في الآية والأمثلة التي ذكروها في معنى التحقيق.

معنى (التقريب):

ذهب الكوفيون إلى أن (كأن) قد تأتى للتقريب. أي إفاده قرب وقوع الخبر، مثل قوله: كأنك بالشتاء مقبل، وكأنك بالفرج آت، وقول الحسن البصري: كأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالأخرة لم تزل، فالمعنى إخبار بقرب إقبال الشتاء، وإتيان الفرج، وزوال الدنيا، ووجود الآخرة^(٣).

وبعد أن يحكي المرادي هذا المذهب وهذه الشواهد يقول: «والصحيح أن (كأنك) في هذا كله للتشبیه، وخرج القاري هذه المثل على أن الكاف في (كأنك) للخطاب، والباء زائدة، والشتاء والفرح والدنيا والآخرة اسم (كأن) والقدر: كان زمانك بالشتاء مقبل وكان زمانك بالفرج آت ويتأول قول الحسن البصري على أن الكاف اسم (كأن) ولم تكن خبرها، وبالدنيا - متعلق بالخبر . والقدر: كأنك بالدنيا، والضمير في تكن للمخاطب وتكن تامة، ويجتمل أن تكون ناقصة، والتشبیه في الحقيقة للحالتين»^(٤).

(١) الكتاب ١٥٤/٢.

(٢) الكشاف ١٩٢/٣.

(٣) ينظر المعنى وحاشية الأمير ١٦٤/١.

(٤) الجني الدان في حروف المعان ٥٧٣، ٥٧٤.

و تكون استفادة القرب في الأمثلة راجعة إلى كون الخبر موثقا في وقوعه بقوانين أخرى، وليس للتشبيه مدخل في إفادته، أى أن (كأن) باقية للدلالة على التشبيه وليس القرب من دلالتها الوضعية.

و من شواهد القرآن الكريم للدلالة (كأن) على التشبيه واستفادة معنى القرب من قرآن المقام والسياق الآيات الآتية:

٩- قال تعالى: **هُوَ الَّذِينَ كَذَبُواْ شَعْنَيَا كَانَ لَمْ يَقْنُوْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُواْ شَعْنَيَا كَالْكُلُوْا هُمُ الْخَاسِرِيْنَ** ^(١)

قوله تعالى: (كان لم يقنعوا فيها) تشبيه حال إهلاكهم واستصاتهم بحال فرض عدم وجودهم من أساسه، وهذا أبلغ في الدلالة على تحقيق استصاتهم على جهة الكمال حيث لم يترك لهم أثر أبنته،

وللسياق والمقام أثرها في إلادة قرب وقت هذا الفلال من وقت تكليفهم، إذا ابتدأت الآية **هُمْ بِوْصْفِ التَّكْلِيفِ** (الذين كذبوا شيئاً) ثم طوت الإغمار عنهم بالإهلاك ومساقت الخبر للمبتدأ (جملة التشبيه) لبيان حاليهم بعد هذا الهلاك فدل سياق الآية على قرب إهلاكهم من تكليفهم، وكذلك للفرض في الآية دلالة على ذلك إذ فيها بيان لقرب عقوبة المكذبين، زجراً لهم عن ضلائهم، والله أعلم.

١٠- قال تعالى : **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءُ أَنْزَلَتَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ تَبَاثُ الْأَرْضِ مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْقَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخْذَتِ الْأَرْضَ رُغْزِرَلَهَا وَأَزْيَّتَهَا أَهْلُهُمْ قَادَرُوْنَ عَلَيْهَا أَنْهَا أَمْرَنَا لَيْلًا أَوْ نَهارًا فَجَعَلْنَاهَا حَسِيدًا كَانَ لَمْ تَلْعَنْ بِالْأَمْسِ كَذِلِكَ لَفَصِيلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُوْنَ** ^(٢).

(١) سورة الأعراف ٩٢

(٢) سورة يونس ٢٤

قوله تعالى: (كَانَ لَمْ تَفْنِ بِالْأَمْسِ) تشبيه حال هلاك الدنيا بحالها عندما لم تكن موجودة، أي كأنك بالدنيا لم تكن.

قال أبو حيان «يشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتفاء وجوده في الزمان الماضي لسرعة انتقاله من حالة الوجود إلى حالة العدم، كان حالة الوجود ما سبقت»^(١). فالأدلة (كان) دلت على التشبيه واستفادة القرب من المقام والسياق.

١١ - قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ إِذْ فَعَلَ بِأَنِّي هِيَ أَخْسَنُ فِيَّا الَّذِي يَبْتَلِكُ وَبِيَّنَةُ عِذَابَةٍ كَائِنَةٌ وَلِيُّ حَمِيمٌ﴾^(٢).

(كأنه ولـ حميم) دلت (كان) على تشبيه من يقابل على سيته بالحسنة بالحميم والصديق أي بصيرورته إلى ذلك أو قريب منه، وكلام العلماء يدل على أن الأحوال في مثل ذلك لا تتحقق فيها الولاية الكاملة وإن قاربت.

قال أبو حيان : «قال ابن عطية: دخلت (كان) للتشبيه، لأن الذي عنده عدادة لا يعود ولـ حميمـ، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم»^(٣)، لكن دليل عدم عوده ولـ حمـما الأحوال والعادات التي جعل عليها الناس، فليس للأدلة دلالة على ذلك، وإنما طريقه قولهـ قرائن أخرى غير (كان) والله أعلم.

^(١) البحر الخريط ١٤٤/٥ وتجدد معنى القرب أيها في الآيات من يونس ٤٥ وهرود ٩٥،٦٨ .

^(٢) سورة فصلت ٢٤ .

^(٣) البحر الخريط ٤٩٨/٧ .

مزية التشبيه بـ (كأن):

تمييز (كأن) عن (الكاف) في التشبيه بما ياتى:

أولاً: أن التشبيه بـ (كأن) فيه من المبالغة والتاكيد مالا يكون مع (الكاف) لذا فهو تستعمل حيث يقوى الشبه، حتى يكاد الرالى يعتقد أن المشبه هو المشبه به، لا غيره، ولذا قالت بلقيس عندما رأت العرش (كأنه هو)^(١) .

ومبني هذه المزية على الفرق بين قولنا: زيد كالأسد، وقولنا: كأن زيداً أسد، فإن الأول فيه تحقيق للاحق الناقص بالكامل، وإثبات بالتشبيه بعد مضي صدره على الإليات ، أما الثاني فمبني على التشبيه من أول الأمر، والمتسارعة إلى تحقيق التشبيه ؛ ليتادر ذهن السامع إليه ، وإعلام بأن تحقيق الأسدية له عن طريق التشبيه لا غير^(٢) .

يذكر الإمام عبد القاهر - رحمه الله - هذه المزية في معرض حديثه عن تمييز الأساليب بالنظم والصياغة قائلاً: «فإن قلت: فإذا أفادت هذه - أي العبارة - مالا تفيده تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معندين الدين، قيل لك: إن قولنا (المعن) في مثل هذا يراد به الفرض، والذي أراد المتكلم أن يبيته أو ينفيه، نحو أن نقصد تشبيه الرجل بالأسد فنقول: زيد كالأسد ، ثم تزيد هذا المعنى بعينه، فنقول: كان زيداً الأسد ، لتفيد تشبيه - أيضاً - بالأسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول ، وهي أن يجعله من فرط شجاعته، وقوة قلبه، وأنه لا يروعه شئ يحيط لا يتميّز عن الأسد، ولا يقصّر عنه، حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي . وإذا كان هذا كذلك؟ فانظر هل كانت هذه

(١) آية التعل ٤٢ وقد سبق الاستشهاد لها د قم ٧.

(٢) ينظر المصاصعن ١/٣١٧ وعيروس الأفراح ٣/٣٩٤.

الزيادة وهذا الفرق إلا بما تؤخني في نظم اللفظ وترتيبه، حيث قدم (الكاف) إلى صدر الكلام مع (إن) «٠٠٠»^(١).

فالبالغة في التشبيه ناشئة عن تقديم الكاف وصيغة المشبه داخلاً في جنس المشبه به وفرداً من أفراده بحكم الاخبار بالمشبه به عن المشبه، وأكده هذا الإيات مجى (إن) والإعلام من أول الأمر عن طريق تقديم الكاف بأن عقد الكلام على التشبيه فتحت المبالغة في التشبيه وتاكيده بهذه الطائفة تاكيداً لا يكون مع الكاف.

وهذا التاكيد الحاصل من قوله: كأن زيداً أسد، يقترب من التاكيد الحاصل عند عدم وجود الأداة مطلقاً، مثل قوله: زيد أسد . بيان ذلك : أن توسط الأداة بين الطرفين مشعر بدلاليتها على تغاير الطرفين أكثر من وجودها في أول الكلام، لأن قوله: زيد كالأسد، تشبيه صريح كأنك قلت: زيد كائن كالأسد، أما قوله: إن زيداً كالأسد فيه تحقيق لإيات إلحاد الناقص بالكامل . وعندما يزيد الاهتمام بالتشبيه الذي عليه عقد الكلام ويراد تاكيده نقدم أداته، وتبقى دلاليتها على التشبيه التي كانت معها عندما كانت متوسطة، لكنها عندئذ غير متعلقة بفعل أو ما في معناه، لأنها فارقت الموضع الذي يهوى لها التعلق به، وصار ما تفيده الجملة عندئذ خلاف ما كانت تفيده قبل تقديم الكاف ، وهو الإعلام بأن تحقيق الأسدية لزيد إنما هو بطريق التشبيه لا غير^(٢) .

وأبلغ هذه الشواهد في تاكيد التشبيه والحكم به قوله: إن زيداً أسد، فهو أكده من قوله: زيد أسد مما فيه إخبار بتشبيه مؤكدة، وزيد أسد أبلغ في التشبيه من كأن زيداً أسد، لأن مجى الكاف إعلام بأن بناء الكلام على التشبيه،

^(١) دلائل الإعجاز ١٦٨.

^(٢) ينظر من صناعة الاعراب ١/٣٠٢ وشرح المفصل ٨/٨١ وعروض الأفراح ٣٩١/٣

خلالاً لقولنا: زيد أسد، لكون المشبه في ظاهر اللفظ هو المشبه به، وكان زيداً أسد أبلع من: إن زيداً كالأسد، لأن توسط الأداة بين الطرفين أكثر إشعاراً بالتشبيه من وجودها في أول الكلام، وإن زيداً كالأسد، فيه من تأكيد الحكم بالمشابهة أكثر من: زيد كالأسد^(١).

ومن شواهد هذه المبالغة في التشبيه وتأكيده في القرآن الكريم ما يأتي:

١٢ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِي نَفَخَنَا فِي الْجَبَلِ فَوَقَّمُهُمْ كَمَا هُنَّ طَّلَّةً وَظَرَبُوا اللَّهَ وَاقِعَ بِهِمْ خُدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعْنَكُمْ تَشْوُنُهُ**^(٢)

(كانه ظلة) أخبر الله تعالى أنه رفع جبال الطور على يدي إسرائيل، ولما كان رفعه لا تجرى به العادة وكان في مدى تمكنته من رؤوسهم خطاء شبّه الله ذلك بما تجري به العادة وهو رفع المظلة فوق الرؤوس فأكّد هذا التشبيه الشّبه بين الجبل وبين المظلة حتى صار المشبه كالمشبّه به في اشتتماله عليهم، وتقرر بذلك المعنى المراد. والله أعلم.

١٣ - قال تعالى يصف الريح التي أرسلها على قوم عاد: **فَإِلَى أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصِرًا فِي يَوْمٍ لَحِسِّ مُسْتَمِرٍ تَسْرِعُ النَّاسَ كَمَا هُمْ أَعْجَازٌ لَخَلِ مُنْقَرِفٍ**^(٣)

(كما هم أعجز لخل منقعر) يصف الله جل وعلا هؤلاء في تساقطهم بالريح القاتلة بأنهم كأعجز لخل قلع من جذرره. وهذا التشبيه بما صاحبه من الفعل (تسرع) ووصف النخل بـ (منقعر) والتشبيه بالأعجز لا بالخلة كلها، وأداة التشبيه (كان) كل ذلك يؤكد المشابهة بين هؤلاء والنخل المقلوع من مغارسه. ونظيرها:

(١) هذا الذي ذكرناه يخالف ما يراه الباهي السبكي النظر عروس الأفراح ٣٩٤/٣.

(٢) سورة الأعراف ١٧١.

(٣) سورة التمر ٢٠، ١٩.

٤- قوله تعالى فيهم-أيضاً : ﴿ سَخَرُهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لِيَالٍ وَّمَا يَهْدِي إِلَيْهِمْ مِّنْ حُسْنٌ مَا فَتَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرَعٌ كَائِنُهُمْ أَغْجَازٌ لَّخْلُ خَاوِيَةٍ ﴾^(١)
 (صرعى كائنهم أغجاز لخل خاوية) تأكيد لشبههم بالخل في الخل من عنصر الحياة، لأنّه تخرج أرواحهم عند الفزع والنخل يتضليلها الخواء بالترك مقطوعة .

ودقة النظم في القرآن الكريم تربينا عجباً حيثما نظرنا وتدبرنا، فتجد هذه الآية بعد أن وصفتهم بالصرع الذي به تخloo أجسامهم من أرواحهم تردد على هذا الصدر عجزها بكلمة (خاوية) وهكذا جاء قرآن الآية التي قبلها، إذ صدرت بكلمة (نزع) وجاء في عجزها وصف النخل بكلمة (مقعر) لأن النزع والانحراف بمعنى، وقد تعلق النزع في الصدر بالناس، والانحراف في العجز بالنخل لأهما في الشبه سواء .

٥- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تُفْجِئُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا أَسْمَعَ لَقَوْلِهِمْ كَائِنُهُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدٌ يَخْسِبُونَ كُلُّ صِيَحَّةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْمُدْرُّ فَأَخْلَرُهُمْ قَاتِلُهُمُ اللَّهُ أَكْبَرُ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢)

يشبه الله تعالى- المنافقين بالخشب المسند مؤكدًا هذا الشبه، وذلك في عدم النفع هم كما أن الخشب المسند لا ينفع بما في جدار أو غيره، والمجنى بكلمة التشبيه (كان) لما في هذا التشبيه من غرابة .

٦- قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عِنِ الْذِكْرَ مُغَرِّبِينَ * كَائِنُهُمْ حُمَرٌ مُّسْتَنِفَرَةٌ ﴾^(٣)

(١) سورة الحاقة ٧.

(٢) سورة المنافقون ٤.

(٣) سورة المدثر ٤٩، ٥٠.

يشبه الله تبارك وتعالى الكافرين في إعراضهم عن الإيمان بالحمر التي تفر وتجرى خوفاً مما أفرغها، أسد يجرى وراءها أو صائد يبعها، وأكد سبحانه هذا التشبيه بأداته (كأن) والله أعلم.

ثانياً: مما يصاحب كون المجنى به (كان) لفرض المبالغة في التشبيه وتأكيده أن يكون المشبه محظى الاهتمام عند التشبيه بما^(١) لأن المبالغة في التشبيه وتأكيده مقتضى حال يكون فيها المشبه في محل العناية به، لذا يتبع أن يكون له - أي المشبه - ذكر سابق، أو ارتباط بذلك كور سابق قبل جملة التشبيه.

وتتبع شواهد (كان) في القرآن الكريم بأنواعه ورقيق، وإنما نظر يجلب هذه الحقيقة ويكشف عن صحتها^(٢)، من ذلك على سبيل المثال:

١٧- قول الله تعالى: **﴿عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْطَّرِيقِ عِنْهُنَّ بَيْضٌ مَّكْتُونٌ﴾**^(٣).

يذكر الله تعالى بما أعد لأهل الجنة من الحور العين ثم يشبه المحسور بيض النعام في الأداحي المصنون من عباد العابدين. والعرب عندما تشبه النساء في البياض مع صفة مستحسنة يشبهونهن بالبيض قال أمير القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها

قمعت من طرها غير معجل^(٤).

و واضح من الآية الأولى أنها تتحدث عن الحور، فلما قام هذا الغرض من بيان صفة نساء الجنة والاهتمام بوصفهن. فجاءت (كان) وللمتشبه ذكر في الكلام السابق.

(١) ينظر شرح الفوائد الفيلالية وهوامشه، ففيه إضافة لهذا المعنى.

(٢) تابع جميع شواهد القرآن الكريم وكلام أهل الطبع لأن عدم صحة ما أتيته.

(٣) سورة الصافات ٤٨ ، ٤٩.

(٤) البيت في الديبران ١١٤.

١٨ - وقال تعالى: **﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمَثُنْ إِنْ قَبَلَهُمْ وَكَانُوا فَيَأْتِيَ أَلَاء رِبِّكُمَا لِكَذِبَانِ، كَالْكَهْنَةِ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ﴾**^(١) ،
 (كأهن) المشبه وهو (الحور) سبق ذكره في الآية الأولى.

١٩ - وقال تعالى: **﴿وَيَطْرُوْفُ عَلَيْهِمْ غَلْمَانٌ لَهُمْ كَالْكَهْنَةِ لَوْلَوْ مَكْتُونَ﴾**^(٢) ،

يشبه الله تعالى الغلمان الذين يخدعون أهل الجنة باللولو المكتوب في صدفه
 صفاء ونقاء. ونلحظ هنا ذكر لفظ المشبه قبل عقد التشبيه مما يشعر بأن المقام
 للحديث عنه. ونظير ذلك أيضاً ،

٢٠ - قول الله تعالى: **﴿قَوْلُ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ لَكُبِرٍ، خُشْعَأْ أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَالْكَهْنَةِ حَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾**^(٣) ،
 تصور الآيات مشهداً من مشاهد يوم القيمة مشهد خروجهم عند الحشر
 من قبورهم وأفهم يكونون أشبه شيء باجراد الذي ينتشر، يذهب هنا وهناك لما
 يأخذ الناس من شدة ذلك اليوم ،

و واضح أن المقام مقام بيان حال هؤلاء الناس. وترى الضمائر في الكلام
 عائدة إليهم ، وذكرهم مثال لمن يسمع خبرهم ووصفهم، فجاءت (كان) - كما
 بياناً - في مقام الحديث فيه عن المشبه محقق وواقع قبل عقد التشبيه، وهي في هذا
 تختلف عن (الكاف) يجعلنا ذلك أن ننظر إلى قوله تعالى: **﴿الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ، وَتَكُونُ الْجِنَّاتُ كَالْعِنَّ الْمَنْفُوشِ﴾**^(٤) ، وترى في الآيات الحديث عن يوم القيمة وما يصيب

(١) سورة الرحمن ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة الطور ٢٤.

(٣) سورة القمر ٦، ٧.

(٤) سورة القارعة ١ إلى ٥.

المخلوقات فيه من الأهوال والشدائد، فيشبهه الله تعالى الناس عندئذ بالفراش المتشير، ويشبه الجبال بالصوف الذي حل تمسكه، وأزيل ما بينه من اتصال وتشابك. فترى تشبه الناس بالفراش جاء بالكاف دون أن يسبق للناس ذكر أو كناية، وكذلك انتقلت الآيات إلى تشبه الجبال بأداة التشبيه (الكاف) أيضاً. وهذا هو فرق ما بين الكاف و(كان) إذ المشبه مع أداة التشبيه (كان) هو محظ الاهتمام، والمقام للحديث عنه، أما مجئه مع الكاف فقد يكون تبعاً لشيء آخر هو موضع الاهتمام، ويكون التشبيه بالكاف تبعاً له، يؤكد هذا أيضاً الشاهد الآتي:

٢١- قال تعالى: هُوَ الظَّلِقُوا إِلَى مَا كُشِّمَ بِهِ لَكَذَّبُونَ، الظَّلِقُوا إِلَى ظَلِيلٍ ذِي ثَلَاثٍ شَعْبٍ، لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُفْتَنُ مِنَ الْهَبَبِ، إِنَّهَا نُرْمِي بِشَرَرِ كَالْقَصْرِ، كَائِنَةٌ جَمَالَتْ صَفْرَهُ^(١).

يأمر الله سبحانه وتعالى - الكافر بن أن يتحرّكوا حرّكة لا بُطْءَ فِيهَا إلَى
شَعْبِ النَّارِ، حيث لا يجدون فيها مأوى ولا ظلاً يغنينهم ، فهُنَّ لَارٌ شَدِيدَةٌ تَرْمِي
بَشَرَّاً كَالْقُصْرِ فِي ضَخَامَتِهِ . وقد جاء التَّشْبِيهُ لِلشَّرِّ بِأَدَاءِ التَّشْبِيهِ (الكاف) دون
(كَانَ) لأن الاهتمام في الآية مازال مرتبًا بجهنم وشدتها، ووصفها بما ترمي به من
شَرٍ عَظِيمٍ .

ومن يطلب دليلاً واضحاً على ذلك فليختبر حسه بالمعنى لو قيل في غير القرآن الكريم: إنما ترمي بشر كأنه القصر، فهو - ولا شك - واحد المعنى مختلفاً تماماً، لأن في هذا التركيب التناقض من الحديث عن جهنم إلى الحديث عن الشرر لصيروته المقصود لهم بالالتفات إليه والتركيز على تأكيد تشبيهه بالقصر عن طريق أداة التشبيه (كان) وهذا واضح جداً لصاحب الذوق.

لكن عندما أعيد الحديث عن الشرر في الآية الثانية (كانه جمالة صفر) بعد التصریح به في الآية الأولى، وجعله عمل الاهتمام بالعظم والضخامة على سبیل التأکید والبالغة جمی بالاداء الخاصة بهذه الدلاله (كان) .
وما هو زیادة في تأکید ذلك أن ننظر إلى الآية الآتیة:

٤٢ - قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثْلُ ثُورَهِ كَمِشْكَاهَ لِيَهَا مَصْبَاحُ الْمَصْبَاحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَالْهَا كُوكَبُ دُرْيٍ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مَبَارِكَةِ زَيْتُونَةِ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتَهَا يَضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسِيَّ نَارُ لَوْرَ عَلَىٰ ثُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِثُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

فإنه لما كان مساق الآية في قوله تعالى (الزجاجة كالهـا كوكـب درـي) البالـفة في التشـيه وتأـكـيدـه، وـكانـ هـذا رـذـلاً لـالـاهتمامـ بالـتشـيهـ صـرحـ بـهـ وـهوـ (الـزـجاجـةـ) وـذلكـ قـبـلـ الجـنـيـ بالـتشـيهـ، وـتحقـقـ بـذـلـكـ - أـيـضاـ - بـقاءـ التـركـيزـ عـلـىـ المصـبـاحـ فيـ قولـهـ: (المـصـبـاحـ فـيـ زـجاجـةـ) كـماـ هوـ لـاـ يـنـفـتـ عـنـهـ إـلـىـ الـاهـتمـامـ بـتشـيهـ الزـجاجـةـ لـصـيرـورـةـ الجـملـةـ عـنـدـلـ وـصـفـاـ بـحـكـمـ الـرابـطـ لـوـ قـيلـ (كـالـهـاـ كـوكـبـ درـيـ) .

لكن نظم الآية هـكـذاـ - أـفـادـ الـاهـتمـامـ بـالـاخـبارـ عـنـ المـصـبـاحـ بـأـنـهـ فـي زـجاجـةـ، ثـمـ الـاهـتمـامـ بـتـشـيهـ الزـجاجـةـ بـأـنـهـ كـالـكـوكـبـ درـيـ، يـؤـكـدـ ذـلـكـ اـحـسـانـسـاـ بـالـعـنـيـ لـوـ قـلـنـاـ فـيـ غـيرـ القـرـآنـ الـكـرـيمـ: المـصـبـاحـ فـيـ زـجاجـةـ كـالـهـاـ كـوكـبـ درـيـ، فـهـوـ وـإـنـ أـفـادـ الـاخـبارـ بـأنـ المـصـبـاحـ فـيـ زـجاجـةـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـفـدـ مـزـيدـ الـاهـتمـامـ بـهـذـاـ الـاخـبارـ إـلـاـ لـكـيـ يـتـحـقـقـ الـوـصـفـ لـلـزـجاجـةـ بـأـنـهـ كـالـكـوكـبـ درـيـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ .

وإذا لم يكن للمشبه ذكر في الكلام السابق على جملة التشبيه فإننا نجد لفظه يأتي قبل عقد التشبيه وفاءً لهذا الاهتمام المناسب للتشبيه بالأداة (كأن) وذلك كما في الآية الآتية:

٢٣ - قال تعالى: **فَإِذْلَكَ خَيْرًا لَّمْ شَجَرَةَ الرُّقُومِ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فَتَةً لِّلظَّالِمِينَ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَضْلِ الْجَحِيمِ، طَلْمَهَا كَائِنَةٌ رُّؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**^(١).

تعرض الآيات سؤالاً موجهاً إلى الكفار عن المثل الحسن، مدلل المؤمنين أم مزعهم الذي يعلبون فيه بشجرة الرقوم بما لها من سوء منبت وقبيح منظر، وبعد أن ترمى هذا الحديث عن الشجرة وفتنة الكافرين بما اتجهت الآية الأخيرة إلى وصف طلعها بأنه كرؤوس الشياطين، محققة هذا التشبيه عن طريق أداته (كأن) فناسب ذلك - أيضاً - الاهتمام بالمشبه بالإعلام به قبل عقد التشبيه لعدم ذكره في الكلام السابق، والله أعلم.

وعلى هذا السبيل جرى كلام أهل الطبع من ذلك على سبيل المثال ما يأتي:

يقول الأعشى بعد أن يشبه حبيبته بالظبية التي تختلف عن قطيعها:

وَلَلَّاهُ كَانَهَا ظَهِيرَ تِرْسٍ

لِيسَ إِلَّا الرَّجِيعُ فِيهَا عَلَاقٌ^(٢)

ويقول أمرؤ القيس واصفاً الموضع التي وقف بها:

تَرَى بَعْرَ الْأَرَامَ فِي عَرَصَاهَا

وَقِيعَانُهَا كَائِنَهَا حَبَّ فَلْفَلٍ^(٣)

^(١) سورة الصالات ٦٢ إلى ٦٥.

^(٢) ديوان الأعشى ١٢٧ والرجيع: ما تجتره الإبل، والعلاق: ما تتبلي به الناقة عند سرها، أي ليس لها طعام غير ذلك.

^(٣) في فهرن الفصالد السابع ٢٣ ولـ الديوان ١١ ترى بعر الصيون: أي قطuman البقر والظباء، والعرصات: الساحات والقيعان: الأرضي المطمئنة.

ويقول طرفة بن العبد واصفاً ناقته:

أمون كالواح الأران نسأها

على لاحب كانه ظهر برجد^(١)

وقال عترة:

يدعون عترة والرماح كأنما

أشطان بشر في لبان الأدهم^(٢)

وقال ليدي يصف ناقته:

للها هباب في الزمام كأنما

صهباء راح مع الجنوب جهاماها^(٣)

وقال ربيعة بن مقروم:

وواردة كأنما عصب القط

ثير عجاجا بالسنابك أصهبا

وزعت بثل السيد فـ مقلصٍ

جهيز إذا عطفاه ماء تحليبا^(٤)

كل هذه الشواهد التي سبقت نرى فيها المشبه وقد سبق ذكره قبل بحثي

جملة التشبيه، ثم هذه شواهد المشبه فيها مرتبط بذكر ساقق:

^(١) شرح القصائد السبع الطوال ١٥١ - والأمون: الناقة التي يزمن عشارها والأران: تابوت خاص بالسداد،

واسأها: حلتها على السير - واللاعب الطريق الين - والبرجد: كساء فيه خطوط.

^(٢) في شرح القصائد السبع ٣٥٩ - والأشطان: الحمال - والليان: عبرى اللب.

^(٣) في شرح القصائد السبع الطوال ٥٤١، واللباب: المريح والنشاط صهباء: مسحابة قلبية الماء.

^(٤) البيان في الشعر والشعراء ٣٢٠ / ٥٤٠ - والواردة: قطعة من الحيل شبهها بجمادات القطط - وزعت:

كفت - السيد: اللتب - جهيز: خفيف.

يقول امروء القيس في صفة فرسه:

ضليع إذا استدبرته سد فرجه

بضاف لويق الأرض ليس باعزل

كأن سراته لدى أليت قالمًا

مداك عروس أو صلاية حنظل^(١)

وقال طرفه:

ووجه كأن الشمس حللت زداها

عليه نقى اللون لم يتخدلا^(٢)

ويقول عنترة يعنى نفسه:

بطل كان ثيابه في سرحة

يعذى نعال السبت ليس بيتوأم^(٣)

وهكذا لو فتشت فلن تجد إلا ما قلناه .

ثالثاً: تمييز (كان) بمجيئها في كل تشبيه فيه غرابة، ناشطة من كون المشبه به غير محقق الواقع لكونه مستحيلًا بحكم العقل أو العادة، أو لبعده عن المشبه، ويلحظ كثرة مجيئ ذلك عندما تكون (كان) مكتفولة بـ (ما) من شواهد ذلك الآيات الآتية:

(١) الديوان ١٢٠ وشرح القصائد السبع ٩٠ ضليع: لفوى - ويعنى بضاف ذبه وسراته: أعلى ظهره - والمداك: المحرج يسحق به الطيب - والصلابة: ما يدق عليه حب الحنطل.

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ١٤٦ والخدد اضطراب الجلد واستفرخاء اللحم.

(٣) شرح القصائد السبع ٣٥٢ - والسرحة: الشجرة الطويلة - والسبت جلود البقر إذا ديدت بالقرظ، وليس بيتوأم لم يزحه أحد في بطنه أحد.

٤٠ - قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَلَّمَهُ قَاتِلُ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَلَّمَهُ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ هُنَّ (١) .

تشبيه لقتل النفس الواحدة ظلماً بقتل الناس جميعاً لما فيه من سن الظلم،
واوضح استحاللة المشبه به وهو قتل الناس جميعاً أو إحياءهم جميعاً .

٤١ - قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ يَشْرَحْ صَدْرَةَ للإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَ يَعْجَلْ صَدْرَةً ضَيْقًا حَرَجًا كَالَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَعْجَلُ اللَّهُ الرُّجُسَ عَلَى الدِّينِ لَا يُؤْمِنُونَ هُنَّ (٢) .

شبه الله تعالى الكافر يضيق صدره بالإسلام وتسد منافذه عليه بمن يصعد
في السماء ويرتفع فيها دون جناح، وهذا مما تضيق عنه المقدرة .

٤٢ - قال تعالى: ﴿ يُجَادِلُوكُمْ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَالَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ هُنَّ (٣) .

شبه الله تعالى حال من يسارهم إلى النصر والفتحية وهم خائفون فزعون
بحال من يساقه إلى الموت والصغار وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها،
فبين المشبه والمشبه به بعد من جهة اختلاف المآل فيهما، ذلك لأن الخروج إلى
الجهاد ليس فيه ذلة، والموت فيه ليس محققاً والمشبه به سوق إلى موت وحمل على
مهانة وذلة . فجاءت (كان) لما بينهما من غرابة وبعد .

(١) سورة المائدة ٣٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) سورة الأنفال ٦.

٤٧ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءٌ سَيِّئَةً بِمُثْلِهَا وَتَرْهِقُهُمْ ذَلَّةً مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَلْمَانِ أَغْشَيْتُ وُجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ الظَّلَلِ مُظْلِمًا أَوْ لَكِنْ أَصْحَابَ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَهُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفُرِ بِظُلْمِ اللَّيلِ رَكِبُ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ كَسَيْتُ بَهُ وَجْهَهُمْ ۝

٢٨ - قال تعالى: ﴿ حُنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَلَّمَهُ خَرُّ الْسَّمَاءِ تَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ لِي مَكَانٌ سَحِيقٌ لَهُ ﴾^(٢)

شَبَهَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكَ فِي تَلْبِيَّهِ وَتَرْدِدِهِ عَلَى ضَلَالٍ مُّخْلَفَةً، بَسْتَخْطِفَهُ الطَّيْرُ وَتَسْرُّزُهُ، أَوْ شَبَهَهُ فِي حَالٍ تَمْسِكَهُ بِضَلَالٍ وَعَدْمِ الرَّجْوِ عَنْهُ بِالسَّاقِطِ فِي أَهْوَاءٍ لَا يَنْكِرُ مِنْهَا أَبَداً، يَا قَيْاً فِي قَرَارِهَا السَّاجِقِ^(٣)

رابعاً: إذا كانت (كان) تفيد تأكيد التشبيه فإن هذا التأكيد ينطوي على
ويهدأ قليلاً عندما تكون مخففة، يشهد لذلك ما يأتي:

١- أن الإحساس بالمعنى عند مجبيتها مخففة يختلف عنه عندما تكون نقيلة، وهذا أمر يدرك بالذوق، ويزيده ما قالوه من أن للألفاظ من حيث هي أصوات دلالة على معناها، إذ يكون بناء الكلمات على صورة لها مناسبة للمعنى الذي تدل عليه، وقولهم: إن زيادة المبني تدل على زيارة المعنى^(٤) والشأن في (كأن) نقيلة أنها أكثر في مبناهما وأقوى في أصواتها منها مخففة، وسيلنا إلى ذلك أن ننظر في شواهدنا .

۲۷ صورہ بونس۔

٣١ سورة الحج

^{٣)} الظرف الكفاف والإنصاف لابن المتن ١٢/٣.

(٤) ينظر الحصانص ١٥٢/٢ والمذهر ١٤٧.

٤٩ - قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَانَ لَمْ تَكُنْ
يَتَكَبَّرُونَ وَإِذَا مَوَدَّةً يَا لَيَسِتِي كُنْتَ مَعْهُمْ فَأَفْوَزُ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^(١) .
(كان لم تكن بينكم وبينه مودة) جاءت (كان) مخففة - والله أعلم -
دلالة على أن المخاطبين بذلك هم المؤمنون ليسوا في حاجة إلى فضل تأكيد هذه
المشاهدة، فروعى بذلك مقتضى حاهم، ولأن حال المنافقين في عداوتهم للمؤمنين
أوضح من أن تحتاج إلى مزيد تأكيد.

قال أبو حيان: «قال ابن عطية: وكان مضمنة معنى التشبيه ولكنها
ليست كالشقيقة في حاجة إلى الاسم والخبر، وإنما تجيء بعدها الجملة انتهي»^(٢) وإن
كان أبو حيان نظر في كلام ابن عطية إلا أنها تستفيد منه أن بين (كان) تقبيلة
ومخففة فرقاً.

٥٠ - قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ثَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَمْ تَسْتَكِرْأْ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا
كَانَ فِي أَذْلِيهِ وَقَرَا فَبَشَّرَهُ بِعَدَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٣)
في الآية تشبيهان الأول (كان لم يسمعه) بتخفيف (كان) والثان (كان في
أذلية وقرأ) بتشبيهها.

ويبدو - والله أعلم - أن التخفيف في الأول لسبق الإخبار عنه بأنه
استكير عند توليه فتشبهه من لا يسمع غير خاف ولا يحتاج إلى مزيد تأكيد،
وناسب - أيضاً - ما يستحقه من هؤلؤ شأنه وعدم الافتراض به، ثم أكد التشبيه
الثان إعلاماً بأن الإعراض متمكن منه، ليقطع الرجاء فيه، مثله في ذلك مثل
الأصم الذي لا يسمع أبداً.

^(١) سورة النساء . ٧٣ .

^(٢) البعر المحيط . ٢٩٢ / ٣ .

^(٣) سورة لقمان . ٧ .

٣١ - قال تعالى: **﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُلَقَّى عَلَيْهِ لَمْ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبِشِّرْهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾**^(١).

وهي في تخفيض (كان) كالآية السابقة.

٢ - وما يدل على نظام التأكيد عندما تكون (كان) مختلفة صحة حلهما على الكاف والجملة التي بعدها فعلية . إذ لا يكون هذا إلا لقرها من الكاف في الدلالة على التشبيه، يقول الزمخنثري عند تفسير الآية الآتية:

٢٣ - قوله تعالى: **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا إِلَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَالَ مَا لِمَا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرًّا مَرًّا كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مُّسْئَةً كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**^(٢):

يقول : «كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن»^(٣) ويرى أبو حيان غير ذلك عند تفسيره الآية الآتية:

٣٣ - قوله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ كَانَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بِئْتَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾**^(٤). حكى أبو حيان عن ابن عطية قوله «والكاف من قوله (كان) يصح أن تكون في موضع الصفة لل يوم، ويصح أن تكون في موضع نعت للمصدر، كانه قال و يوم يخشرهم حشراً كان لم يلبساً، ويصح أن يكون قوله (كان لم يلبساً) في موضع الحال من الضمير في يخشرهم»^(٥).

(١) سورة الجاثية .٨٨.

(٢) سورة يونس .١٢.

(٣) الكشاف ٢/٢٢٨.

(٤) سورة يونس .٤٥.

(٥) البحر المحيط ٥/١٦٢ .

وهكذا يبدو لنا صحة الحمل على الكاف، وكومنا باقية كما هي (كان) كما يبدو من رأى ابن عطية الأخغir وما قاله الزمخشري.

ويجرى هذا التأويل أيضاً في آيات أخرى كآية هود (٦٨-٩٥).

خامساً: تختص (كان) بالمعنى هنا عند إرادة تشبيه الشئ بنفسه باعتبار حالين مختلفين. ويطرد ذلك عندما تكون مكافئة بـ (ما) وعندما تكون مخلفة، وكذلك عندما يكون غيرها فعلاً أو شبه جملة في أحد احتماليه، من ذلك.

٣٤ - قول الله تعالى: ﴿كَانَ لَمْ يَتَنَوْ فِيهَا أَلَا إِنَّ نَمُوذَةً كَفَرُوا رَبُّهُمْ أَلَا بُغْدَادَ نَمُوذَهُ﴾^(١).

٣٥ - وقال تعالى: ﴿كَانَ لَمْ يَتَنَوْ فِيهَا أَلَا بُغْدَادَ لَمَدِينَ كَمَا يَعْدَتْ نَمُوذَهُ﴾^(٢). شبه الله تعالى: غود ومدين في الآيتين بعد إهلاكهم بحاله عدم غناهم في ديارهم وبلادهم وذلك من شدة اهلاك الذي أصابهم، فالتشبيه بين حالتين لكل منهما ، و (كان) هنا مخلفة .

ومن شواهدها مكافئة بـ (ما) ما يأتي :

٢٦ [قال تعالى ﴿يُجَادِلُوكُنَّ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَائِنًا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٣)]

تشبيهم الله تعالى في حال فزعهم وخوفهم عند الخروج للجهاد للحصول على الغنيمة ، بحالهم لو كان يسار بهم إلى الموت .

(١) سورة هود ٦٨.

(٢) سورة هود ٩٥ وانظر النساء ٧٣ والأعراف ٩٢ ويوس ٤٥، ٢٤، ١٢ وآل عمران ٨٨.

(٣) سورة الأنفال ٦ وانظر المائدة ٣٢ والأنعام ١٢٥ والحج ٣١.

ومن شواهدها وخبرها فعل ما يأني :

٣٦ - قال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَفْجِلْ لَهُمْ كَالَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُسُوا إِلَّا سَاعَةً مَّنْ بِهَارِ بَلَاغٌ فَهُلْ يَهْلُكُ إِنَّ الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(١)

يشبه الله تعالى حالتهم يوم القيمة عندما يعاينون ما أندرهم بحالتهم لو كانوا قد لبשו وقتا قصيرا .

٣٧ - قال تعالى : ﴿كَالَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَحْكَاهَا﴾^(٢)
تشبيه لهم - أيضا - عندما يرون القيمة ويعرضوا على رهم بحالة من يستقر
لبث في الحياة الدنيا . وأخير في الآية وفي الآية التي قبلها جملة فعلية^(٣)

﴿[٣٠] وَشَاهِدُهَا وَالْخَيْرُ شَيْءٌ جَمِيلٌ الآية الآية :

قال تعالى : ﴿وَإِذَا نَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَيْ مُسْتَكِنِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَفَرَأَ قَبْشَرَةً بِعَذَابِ الْيَمِ﴾^(٤).

(كان في أذنيه وقرأ) خير كان شبه جملة وهو الجار والمرور (في أذنيه) شبه الله تعالى حاله عند توليه بحالة لو كان في أذنيه صمم و حاجز ، والله أعلم .

(١) سورة الأحقاف . ٣٥.

(٢) سورة النازعات . ٤٦.

(٣) وانظر - أيضا - البقرة ١٠١ والقصص ٨٢ والمعارج ٤٢ .

(٤) سورة لقمان . ٧ .

«مطلب»:

ييفي لنا القول بعد تحديد أدوات التشبيه وحصرها في الكاف وكان أن نقرر أمرين:

الأول: أن التشبيه عندما يكون محدود الأداة يتعين أن تكون الأداة المقدرة فيه (الكاف) لا غير، وذلك نظرا إلى أنها الأصل، أي (أم الباب) كما يقولون - هذا من ناحية أخرى، ومن ناحية أخرى: لدلالتها على التشبيه مطلقا - كما قررناه وأوضحتناه في مبحثها - فهي تصلح مع جميع الشواهد.

الآخر: أن الأداة عند حذفها يكون للمقام والقرآن الأخرى الدلالة على كون الكلام مجرأة التشبيه، ولا يسد مكان الأداة غيرها. وهذا يندفع ما يسدد عليه ظاهر كلام الخطيب من أنه «قد يذكر فعل يتبع عن التشبيه» كما في علمت زيداً أسدًا. وحسبته بحراً؛ ذلك أن الحق كما وضع شراح التلخيص أن هذه الأفعال لا تتبع عن أصل التشبيه، وإنما تتبع عن حال التشبيه في القرب والبعد^(١).

(١) ينظر شروح التلخيص ٣/٣٨٩ وما بعدها.

المبحث الثالث (التشابه)

يرجع الفرق بين التشبيه والتشابه إلى ما تقرر من أن قضية التشبيه تقتضى القصد إلى إلحاق ناقص بكمال، يجعله مثلاً في وجه الشبه بالدالة. أما التشابه فهو الجمع بين شبيهين في أمر من الأمور من غير قصد إلى زيادة ونقصان، وجدت الزيادة أم لم توجد^(١).

ووجه إطلاق التشابه - الذي مضمونه التساوى بين الطرفين - على ما كان فيه زيادة غير منظور إليها هو مراعاة القدر المشترك بينهما الذي تساوا به. وللتتشابه طريقان:

«الطريق الأول»:

ما يؤتى فيه بكلمة (تشابه) و(كما) و(تساوى) وكل ما وازن ذلك مما يدل على التساوى، مما له فاعلان، لا ما كان له فاعل ومحفول مثل شابه وساوى، إذ شرطه أن يكون الفعل لازماً، لأن المدعى بذلك على الحكم بالتشابه^(٢).

ويكون ذلك عند القصد إلى الدلالة على تساوى الطرفين في الصفة، وإنما تفيد هذه الكلمات التشابه الذي مضمونه التساوى لأن قولنا: تشابه زيد وعمرو «قضية تتحل في المعنى إلى قولنا زيد يشبه عمرو وعمرو يشبه زيداً، وأنت لو صرحت بهاتين القضييin لكانتا متنافيتين، فصارتا كالمدللين المعارضين في شيء فيتساقطان في محل التعارض، وهو ترجيح أحدهما على الآخر، ويعمل بما

(١) ينظر المطول .٣٣٥

(٢) الغير مواهب الفتاح وهو من الألواح شروح ٤٢٢، ٤١٦.

فِي مُجْرِدِ الْمَشَاهَةِ، فَيَكُونُانِ مُتَسَاوِيْنِ، فَيَكُونُ مَضْمُونُ التَّشَابِهِ التَّسَاوِيِّيِّ»^(١) سواءً
كَانَ هَذَا التَّسَاوِيُّ وَاقِعًا حَقْيَةً كَمَا فِي قَوْلِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَادٍ:

رَقُ الزَّجَاجِ وَرَاقِتُ الْخَمْرِ

وَتَشَابَهَا لِتَشَابِكِ الْأَمْرِ

فَكَائِنًا هَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ

وَكَائِنًا قَدْحٌ وَلَا هَمْرٌ

أَوْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْإِدْعَاءِ مِثْلُ قَوْلِكَ: تَشَابَهُ وَجْهُ الْحَبِيبِ وَالصَّمْبَحِ،

وَقَوْلُ أَبِي إِسْحَاقِ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِيِّ:

تَشَابَهُ دَعْيَى إِذَا جَرَى وَمَدَامَى

فَمِنْ مُثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْقَى تَسْكُبٍ

لَوْلَهُ مَا أَدْرَى أَبَا الْخَمْرِ أَسْبَلَتْ

جَفْوَنَى أَمْ مِنْ عِيرَتِى كَنْتُ أَشْرَبْ

وَبِرِي الدَّسْوَقِيُّ — رَحْمَهُ اللَّهُ — أَنَّ التَّشَابِهَ وَاقِعٌ حَقْيَةً فِي هَذِينِ الْبَيْتَيْنِ،

وَلَيْسَ كَذَلِكَ^(٢).

(شَوَاهِدُ هَذَا الطَّرِيقِ)

يَتَّبِعُ شَوَاهِدُ هَذَا الطَّرِيقِ وَاسْتِقْصَاءُ كَلِمَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَجَدَمَا

ثَلَاثَيْنِ كَلِمَاتٍ، هُنَّ: تَشَابَهٌ، مُتَشَابِهٌ، مُشَتَّبِهٌ، سَوَاءٌ، يَسْتَوِي، مَسَاوِيٌّ، سَوَىٌ،

مِثْلٌ.

(١) المرجع السابق الموضع نفسه.

(٢) الآيات في شروح التشخيص، وحاشية الدسوقي، ٤١٢/٣.

الكلمة الأولى «تشابه»:

جاءت هذه الكلمة في أربع آيات من القرآن الكريم، هي ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿قَالُوا اذْعُنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَهْتَدُونَهُ﴾^(١)

٢- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْلِمُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مُثْلُ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قَوْلُهُمْ فَذَبَّتَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَهُ﴾^(٢)

٣- وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنْ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخِرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبَغَ فَيُشَبَّهُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَبْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ كَارِبَةً إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَيْنَابِ﴾^(٣)

٤- وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ ذُوَّهُ أَوْلَاهُ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ كَفَعًا وَلَا ضَرًا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَغْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلْمَاتُ وَالثُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخْلُقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْفَهَارِبُ﴾^(٤)

الكلمة الثانية «مقتباه»:

جاءت هذه الكلمة في حمس آيات مكررة واحدة منها، هي ما يأتي:

(١) سورة البقرة ٧٠.

(٢) سورة البقرة ١١٨.

(٣) سورة آل عمران ٧٥.

(٤) سورة الرعد ١٦.

١- قال تعالى: ﴿وَتَسْرِيرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَلْهَارُ كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ نَعْمَةٍ رُزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

٢- وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخِرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَبْتِقَاءُ الْفَتَّةَ وَأَبْتِقَاءُ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنُوا بِهِ كُلُّ مَنْ عَنِ دِينِنَا وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُتُوا أَلَيْابَهُ﴾^(٢). جاءت فيها كلمة (متَشَابِه) بصيغة الجمْع.

٣- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَنَا مِنْهُ خَضْرًا لَخْرُجٌ مِنْهُ حَبَّا مُتَرَاقِبًا وَمِنَ التَّخْلُلِ مِنْ طَلْعَاهَا قَرْوَانٌ ذَائِيَّةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّومَانَ مُتَشَابِهٌ وَغَيْرُ مُتَشَابِهٌ انْظُرُوا إِلَيَّ نَعْمَةٍ إِذَا الْمَرْ وَيَنْعِدُ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

٤- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَغْرُوشَاتٍ وَغَيْرُ مَغْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُنْتَهِلًا أَكْلُهُ وَالرَّيْتَونَ وَالرُّومَانَ مُتَشَابِهٌ وَغَيْرُ مُتَشَابِهٌ كُلُّوْ مِنْ نَعْمَةٍ إِذَا الْمَرْ وَأَتُوا حَقَّةً يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِلَهٌ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤). والصيغة مكررة في الآية.

٥- وقال تعالى: ﴿الَّهُ نَزَّلَ أَخْسَنَ الْحَدِيثَ كَتَبًا مُتَشَابِهًًا مَثَانِيٌّ تَفَصَّلُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبِّهِمْ لَمْ قَلِيلٌ جُلُودُهُمْ وَقَلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِيهِ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة. ٢٥.

(٢) سورة آل عمران. ٧٦.

(٣) سورة الأنعام. ٩٩.

(٤) سورة الأنعام. ١٤١.

(٥) سورة الزمر. ٢٣.

الكلمة الثالثة «مشتبه»

قد جاءت هذه الكلمة في آية واحدة، إحدى آيات سورة الأنعام، السابقة
منهما، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانُ مُشْتَبِهٌ وَغَيْرُ مُشْتَبِهٌ﴾^(١).

(دلالة هذه الكلمات)

نستطيع بتدقيق نظر ، وفي ضوء ما قاله أهل اللغة والمفسرون عند تفسيرهم
الآيات السابقة أن نحدد دلالة الكلمات (تشابه ، مشتبه ، مشتبه) فيما يأتي:
أولاً: أن معنى : تشابه الشيئان وهذا مشتبهان، أن كل واحد منهما يشبه
صاحبه، فالكلمتان لفادة الحكم بالتشابه، لا التشبيه.

ثانياً: أن الأصل في التشابه أن يكون عيناً، أي مرتبطاً بالصور المشاهدة،
كما هو الأصل في مادة (شب) وما تفرع منها^(٢). أما إن جاء معنى ليكون على
سبيل المجاز.

وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلِ وَأَنْزَلْنَا بِهِ
مُشْتَبِهٌ﴾^(٣) - فقد ذكر أبو حيان عند تفسيره الآية قول ابن عطية: «هذا-
إشارة إلى الجنس، أي هذا الجنس الذي رزقناه من قبل»^(٤) وإذا كان تشابه
الشعر في الجنس ، فإن أكثر تمايز الأجناس بدواها وصورتها ، فالتشابه هنا عيناً،
لا معنى.

وقد وقع اختلاف في النظر إلى التشابه في الآية عيناً أم معنى.

(١) سورة الأنعام .٩٩

(٢) انظر في المبحث الأول كلمة (شب) وأصل مادتها من ٧٠ وما بعدها .

(٣) سورة البقرة .٢٥

(٤) البحر الخريط .١١٥/١

قال الراغب: «- وأتوا به متشابهاً - أى يشبه بعضه بعضاً لوناً لا طعمأ وحقيقة، وقيل: متماثلاً في الكمال والجودة»^(١). ويبدو من كلامه ترجيحه التشابه في الصورة.

وقال ابن منظور: «.. وأما قوله تعالى: «وأتوا به متشابهاً» فإن أهل اللغة قالوا: معنى متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الجودة والحسن، وقال المفسرون: متشابهاً - يشبه بعضه بعضاً في الصورة ويتختلف في الطعم، ودليل المفسرين قوله تعالى: «هذا الذي رزقنا من قبل» لأن صورته الصورة الأولى^(٢).

ووجه استدلال المفسرين بقوله تعالى: (هذا الذي رزقنا من قبل) كون مبناه على التشبيه، قال الزمخشري: «كيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقه في الدنيا؟ قلت: مفناه: هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه، بدليل قوله (وأتوا به متشابهاً) وهذا كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة. تريده أنه لاستحکام الشبه كان ذاته ذاته ، فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: وأتوا به؟ قلت إلى المرزوقة في الدنيا والآخرة جهينا، لأن قوله : (هذا الذي رزقنا من قبل) انطوى تحته ذكر ما رزقه في الدارين، ونظيره قوله: هـ إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أوثن بهمـ»^(٣). لدلالة قوله: غنياً أو فقيراً على الجنسين^(٤).

وإذا كان المبني على التشبيه، أى تشبيههم ما رأوا من ثمرات الجنّة بثمرات الدنيا، فإن ذلك لا يكون إلا في الصورة المشاهدة، لأن بين السوعين تمييزاً في الجودة والحسن الذي هو معنى لا صورة. وبعده ذلك - كما قال

(١) المفردات في غريب القرآن . ٢٥٤

(٢) لسان العرب . ٢١٩٠

(٣) سورة النساء . ١٣٥

(٤) الكشاف ١/ ٢٦١، ٢٦٠.

الزمخشري - كون التشابه في قوله تعالى: (وَأَتُوا بِهِ مِنْشَاهًا) تشابه بين ثغر الدنيا وثغر الآخرة، إذا لو كان التشابه بين ثغر الآخرة بعضه وبعض لأمكن القول بأن التشابه في المعنى، أى الجودة والحسن: ولعل هذا هو محل نظر أهل اللغة - الذي حكاه ابن منظور.

وقد ذكر البهاء السبكي ما يمكن أن يشكل من التقاء التشبيه والتتشابه في الآية ، وحصر الجواب عنه فيما لا غناه فيه، وغيره أولى منه، قال: «فإن قلت: إذا كان التتشابه يقتضي التساوى ، والتتشبيه يقتضي التفاوت، فكيف جمع بينهما في قوله تعالى: (كُلُّمَا رَزَقْنَا مِنْهَا مِنْ ثُرَّةٍ رَزَقَنَا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلِ) - قال الزمخشري معناه: مثل الذي رزقنا - ثم قال تعالى: (وَأَتُوا بِهِ مِنْشَاهًا) فقد جمع بين صيغتي التشبيه والتتشابه؟ قلت: ليس عن ذلك جواب إلا أن يقال: التتشابه هنا المراد به التساوى في مقدار وجه الشبه، والتتشبيه باعتبار أن وجه الشبه في المشبه به معروف»^(١).

أما ما نراه أولى فإن نقول: إن التشبيه في الآية من باب التتشابه، أى الطريق الثاني منه، بأن يكون مقصوداً بالتشبيه مجرد الاشتراك في صفة من غير إرادة زيادة ونقصان.

يؤيد ذلك ترددهم هذا التشبيه ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها، وكونه لا يظن أن يكونوا فاصلين بذلك كمال ثمرات الدنيا وزيادتها في المزينة والفضل - حقيقة أو ادعاء - كما هو مقتضي التشبيه - فيتحققون ما هي في الآخرة بما نالوا منه في الدنيا، وإنما كان جعلهم ما يرزقونه في الجنة مشبهها وما كان في الدنيا مشبها به لكون المشبه محل اهتمامهم والكلام عنه، وهذا فرج مسلكه لتعليل ما هو من هذا القبيل^(٢).

(١) عروس الألواح: شروح ٤١٤/٣.

(٢) ينظر شروح الطخيمص ٤١٥/٣.

وقد جاء التشابه معنى في قوله تعالى: (تشاهت قلوبهم)^(١). قال أبو حيان: «لما ذكر تمايل المقالات وهي صادرة عن الأهواء والقلوب ذكر تمايل قلوبهم في العمى والجهل ، كقوله تعالى : هُنَّا واصوا بهم»^(٢) قيل: تشاهدت قلوبهم في الفكر، وقيل: في القسوة، وقيل، في التغافل والاقتراب، وقيل: في اغفال»^(٣) وهذه الوجوه كلها أمور معنوية بعيدة عن الحسن.

وإذا كان الأصل في دلالة المادة على التشبيه في الصورة فان استعمال التشابه في معنى من المعان يكون على سبيل المجاز باطلاق هذه الدلالة على مطلق الالتفاق عيناً أو معنى.

ثالثاً: قالوا: إن (تشابه) و(اشتبه) يتقاربان ويشتراكان كثيراً، ففي الآية (والزيتون والرمان مشتبها وغير مشتبه) يقول الراغب: «وقرئ قوله (مشتبها وغير مشتبه) وقرئ (مشابها) جهيناً، ومعناهما متقاربان»^(٤).

وقال الزمخشري: «مشتبهاً وغير مشتبه - يقال: أشبه الشيئان وتشابهاً، كقولك: أستروا وتساوياً. والالتفاعل والتفاعل يشتراكان كثيراً»^(٥).

لكننا في حاجة إلى إضافة تكشف لنا حدود هذا القرب ، ومدى الاشتراك بينهما. والذى يبدو أن وجه الاشتراك كون كل من الكلمتين تدل على مشابهة كلا الطرفين للآخر. قال ابن منظور: «تشابه الشيئان واثبتهما: أشبه كل واحد منهما صاحبه، وفي التعزيل (مشتبهاً وغير مشتبه)... ثم يقول: وأمور مشتبهه ومشتبهه: مشكلة يشبه بعضها بعضاً»^(٦).

(١) سورة البقرة ١١٨.

(٢) سورة الذاريات ٥٣.

(٣) البحر الطيّط ٣٦٧/١.

(٤) المفردات في غريب القرآن ٢٥٤.

(٥) الكشاف ٤٠/٢.

(٦) لسان العرب ٢١٩٠، ٢١٨٩.

أما التقارب لمن جهة كون الشابه لوعين: نوع لا يقع في الشبهة،
و نوع يقع فيها وهو ما يلتفت فيه (شابه و اشتبه).

فالاشتباه يدل على الواقع في الشبهة، يؤيد ذلك ما حكاه ابن منظور
قالا: «ذكر أبو العباس عن ابن الأعرابي. و شبة الشئ إذا أشكّل و شبة إذا مارى
بين شئ و شئ، وقال: و سأله عن قوله تعالى: (و أتوا به متشابها) فقال: ليس من
الاشتباه المشكل، وإنما هو من الشابه الذي هو معن الاستواء. وقال البيهقي:
المتشبهات من الأمور المشكلات..»^(١).

والى كون الشابه نوعين ذهب - أيضاً - أبو حيان عند تفسير الشابه في
الأية: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات من أم الكتب وأخر
متشابهات) قال : « وجاء وصفه - أى القرآن - بالتشابه بقوله: (كتابا متشابها)
معناه: يشبه بعضه بعضا في الجنس والتصديق، وأما هنا فالتشابه ما احتمل،
وعجز الدهن عن التمييز بينهما، نحو (إن القراء تشابه علينا) (وأتوا به متشابها)
أى مختلف الطعوم متفق النظر»^(٢).

لكن لا يسلم لأبي حيان كون الشابه في قوله تعالى: (وأتوا به متشابها)
من التشابه الملبس، لأن هذا التشابه بين ثغر الآخرة وثغر الدنيا، ومادام كذلك
فلن يقعوا في خلط بينهما بقرينة المقام، فضلاً عن قرينة المقال من قوله: (هدا
الذى رزقنا من قبل) وترددهم هذا القول كلما رزقا منه، على التشبيه.

رابعاً: إن كلمة (تشابه) عندما تكون هي وكلمة (اشتبه) معنى، أى
للدلالة على التشابه الملبس فإذا تكون مصحوبة بحرف الجر (على) لأن الفعل
مق ضمن معنى فعل آخر عدى بالحرف الذي يعدي به هذا الفعل ، كما عدوى

(١) لسان العرب، ٢١٩.

(٢) البحر الهحيط . ٣٨١/٢

ال فعل استوى بالحرف (إلى) عندما ضمن معنى انتهى (لديها) في قوله تعالى: ﴿هُنَّمُ استَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(١)

وإنما تصير (تشابه) بمعنى (اشتبه) ومساربة لها عندما يستند التشابه، ويصير كأنه علا على الرائي وليس عليه الأمر. وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿هُنَّمُ جعلوا لَهُ شرَكاءَ خلَقُوا كَخَلْقِهِ لِتَشَابَهِ الْخَلْقِ عَلَيْهِم﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾^(٣). وهي في هذا تعتمد على قرائن المقام والبيان.

الكلمة الرابعة (سواء)

تدل هذه الكلمة على تساوى طرفيها في المعنى الذي اشتراكا فيه، وقد عدتها البهاء السبكي في أعلى مراتب الأبلغية في المشاهدة، إذ تدل على تحقق الشبه من كل وجه عدا ما يقع به الامتياز^(٤).

وهي وما يشق منها مما يحتاج إلى فاعلين - مثل تساوى، ويتساوى واستوى عند إسنادها إلى فاعلين، مثل: استوى زيد وعمرو - تدخل في باب التشابه لا التشبيه، لعدم إلحاق ناقص بكمالها.

وقد جاءت كلمة (سواء) في القرآن الكريم مثبتة في النحو عشرة آيات ومنفية في آية واحدة، هي ما يأتي:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْوَأُ عَلَيْهِمْ الْأَذْرَافُ هُمْ أَمْ لَمْ يُلْزِمُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥). سوت الآية بين الإنذار وعدمه، فالكافرون حالمون

(١) سورة فصلت ١١ وانظر المفردات .٢٥١

(٢) سورة الرعد .١٦

(٣) سورة البقرة .٧٠

(٤) ينظر عروس الأفراح ٢٩٣/٣ وهذه الدراسة ٨٨٠ وما بعدها.

(٥) سورة البقرة .٦

معهما سواء لا تختلف. والظرفان (الإنذار، وعدهم) بينهما تشابه ولم يلحق أحداً بالآخر في الوجه الذي هو عدم الاستجابة معهما لوجود نقصان وزيادة.

- قال تعالى: ﴿وَدُرَا لَوْلَكُفِّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءٌ فَلَا تَخْدُلُوْنَمُنْهُمْ أَوْلَيَاءٌ حَتَّىٰ يَهَا جَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْنَا فَخُدُولُهُمْ وَأَخْلُوْهُمْ حَيْثُ وَجَدُّهُمْ وَلَا تَخْدُلُوْنَمُنْهُمْ وَلَيْا وَلَا نَصِيرُهُمْ﴾^(١).

أى تكونون أنتم وهم سواء في الكفر. والتشابه بكلمة (سواء) مسبوق

- أيضاً - بتشابه من طريق التشبيه (كما كفروا).

- قال تعالى: ﴿هُوَ إِنْ لَذْغُوْهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَبَعُوْكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَذْعَوْتُمُوْهُمْ أَمْ أَشْتُمُ صَاحِبُوْنَهُمْ﴾^(٢).

تسوية حالتي الأصنام عند الدعوة إلى الهدى، وعند ترکهم في عدم السمع والاستجابة.

- قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مُنْكُمْ مَنْ أَسْرَى الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفِي بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(٣).

أى يستوى من يسر القول ومن يجهز به في علم الله بما. وكذلك من يستخف في ظلمة الليل ومن يضطرب بالنهار في الطرقات يصره الناس.

- قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الْمُضْعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُمْ لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُلْتَقَوْنَ شَتَّىٰ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْلَا هَذَا إِنَّ اللَّهَ لَهُدِّيَنَا كُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزِعَنَا أَمْ صَبَرَكَا مَا لَنَا مِنْ مَعِيشٍ﴾^(٤).

أى يستوى جزعنا وصبرنا في عدم الفائدة مع العذاب الذي نلاقيه.

(١) سورة النساء .٨٩

(٢) سورة الأعراف .١٩٣

(٣) سورة الرعد .١

(٤) سورة إبراهيم .٢١

٦- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ يَا لِلْحَمْدُ بِظُلْمٍ لُدْغَةً مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(١).

(سواء العاكس في الباد) أى يسترى فيه الجموع في العبادة والطاعة والزيارة، وليس لأحد حق أكثر من الآخر في ذلك.

٧- قال تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءَ عَلَيْنَا أَوْ عَظَتْ أُمُّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾^(٢) أى يسترى عندنا وعظك وعلمه فلن تستجيب. وقال الزمخشري: «فإن قلت: لو قيل: أوعزت أم لم تعظم كان أخضر والمعنى واحد. قلت: ليس المعنى بواحد، وبينهما فرق، لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلاً من أهله و مباشرته فهو أبلغ في قوله اعتقادهم بوعظه من قوله لم تعظ» ويرى أبو حيان أن النكتة في ذلك مراعاة الفاصلة، وما ذهب إليه الزمخشري أولى.^(٣)

٨- قال تعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مُثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ مِنْ شَرَكَاءِ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِي سَوَاءٍ تَخَلُّفُهُمْ كَحِيفَتُكُمْ أَنفُسُكُمْ كَذَلِكَ تُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَقْلُوْنَهُم﴾^(٤) أى تكونون أنتم وعيدهم فيما تملكون من أموال وغيرها سواء من غير تفضيل حر على عبد.

٩- قال تعالى: ﴿وَسَوَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَهُم﴾^(٥) أى يسترى إنذارك وعدمه، فهم لا يؤمنون في جميع الأحوال.

(١) سورة الحج ٢٥.

(٢) سورة الشعراء ١٣٦.

(٣) الكشاف ١٢٢/٣ والبحر الخيط ٣٣/٧.

(٤) سورة الروم ٢٨.

(٥) سورة يس ١٠.

١٠ - قال تعالى: **﴿فَمَ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السُّيُّنَاتِ أَنْ لَجْفَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مُّحْيَا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَوَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ﴾**^(١)
 (سواء محياهم و مماتهم) سواء - بالنصب بدل من الكاف ، أجري مجربي (مستويها) و (بحياتهم و مماتهم) بالرفع على الفاعلية ، و بالنصب على الظرفية ، أي في محياهم وفي مماتهم ، والمعنى: إنكار أن يستوي المسيئون والحسنة في الحبا والممات ، لافتراق أحواهم ، لأن العاصي للمسئين ، و الطاعة للمحسنين ، واليأس من رحمة الله للعصاة ، والبشرى للطائعين ، وعلى هذا التوجيه يكون الاستفهام على سبيل نفي الشاهة . و قريء (سواء محياهم و مماتهم) برفع (سواء) على الاستثناء ، بمعنى أن حيا المسيئين و مماتهم سواء و حيا المحسنين و مماتهم سواء ، فكل يموت على حسب ما عاش عليه ، وعندئذ يكون الشاهة على سبيل الإلبات لا النفي ^(٢)

١١ - قال تعالى **﴿وَاصْنُوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تُصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجزِّئُونَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾**^(٣) أي سواء عليكم الأمران فسواء غير لم تدا محظوظ .
 ١٢ - قال تعالى **﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**^(٤)
 أي سواء عندهم الاستغفار وعدمه ، فهم لا يأبهون بشيء ولا يعتقدون في رجاء لظلمة قلوبهم ، أو أن الله لا يغفر لهم استغفار أم لم تستغفروهم ^(٥) .
 أما الآية التي جاءت فيها (سواء) منافية فهي:

(١) سورة الجاثية . ٢١.

(٢) ينظر الكشاف ٥١٢/٣

(٣) سورة الطور . ١٦ .

(٤) سورة المائدون . ٦ .

(٥) ينظر الكشاف ٤/١١٠

١٣ - قول الله تعالى: **لَيْسُوا سَوَاء مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَمْ قَاتَلَةً يَتَّلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَكَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**^(١)

نفي الله تعالى استواء أهل الكتاب في الجور والاعتداء ، لأن منهم من استقام على النهج بدخوله الإسلام.

الكلمة الخامسة (يستوى)

جاء هذا الفعل مبينا في اللفظ منفيا في المعنى في ثلاث آيات ، ومكررا في واحدة منها ، ومتفيأ في اللفظ والمعنى في تسع آيات. وهذه الشواهد نوعان:

«نوع» يكون فيه متعلق التساوى النفي - صفة غير موجودة أصلا في أحد الطرفين ^(٢) ويكون الغرض نفي تساويهما في مجرد وجود الصفة ليقى الطرف الآخر متميزا بوجودها فيه. وشواهد هذا النوع في تسع آيات منها الآيات الثلاث التي فيها النفي في المعنى دون اللفظ، وهي ما يأتي:

١- قال تعالى: **هَلْ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَئْخَذُنَا مِنْ ذُو نَوْءِ أُولَيَاءٍ لَا يَمْلَكُونَ لَأَنفُسِهِمْ كُفَّاً وَلَا ضَرًا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شَرَكَاءَ خَلَقُوا كَعْنَاقَهُ فَشَابَهُ الْعَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**^(٣)

الفعل (يستوى) في موضعه مثبت في اللفظ منفي في المعنى لأنه في سياق استفهام إيكاري، فهو نفي لاستواء الأعمى والبصير في رؤية الأشياء، أو في المدحية إن كانوا مستعملين في الضلال والمهتدى على سبيل الاستعارة ، ونفي لاستواء الظلمات والنور في الكشاف الأشياء بعما، أو في الاهتداء بعما إن كان

(١) سورة آل عمران ١١٣

(٢) نفي بالطرفين هنا طرق التساوى لا طرق التشبيه الاصطلاحي

(٣) سورة الرعد ١٦.

استعمالهما في الكفر والإيهان على سبيل الاستعارة، وواضح أن الصفة المنفي التساوى فيها غير موجودة في الأعمى وفي الظلمات ، فنفي التساوى نفي مجرد الوجود فيما معا على حد سواء.

٣- قال تعالى: **هُنَّا ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عِنْدَهُمْ مَنْ لَوْكَأَ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رُزِقَهُ مِنَا رِزْقًا حَسَنَاهُ فَهُوَ يُنْفَقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُلْ يَسْتَوْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِهِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رُجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْنَكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْتَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُلْ يَسْتَوْيُ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١)**

استفهام على سبيل الإنكار في الآيةين، إنكار أن يستوي العبيد والحرار في العمل في الآية الأولى بقوله (هل يستوون) وإنكار أن يستوي من كان ضعيفا عاجزا ومن كان قادرًا سالكا الطريق المستقيم في الإitan بالاعمال على وجه النفع والخير، وذلك بقوله (هل يستوي) في الآية الثانية، وواضح أن الصفة التي انتفى فيها الاستواء موجودة في أحد طرقه دون الآخر في الشاهدين.

وهذه الآيات التي سبقت هي آيات النفي في المعنى دون اللفظ. أما النفي فيما معا فنفي الآيات:

٤- قال تعالى: **هُنَّا قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالظَّيْمُ وَلَوْ أَغْجَبْتَ كَثْرَةَ الْخَيْرِ فَأَئْتُهُمُ اللَّهُ يَا أَوْلَى الْأَئْمَابِ لَعَلَّكُمْ تَفَلَّحُونَ^(٢)**

نفي لاستواء الخير والظيم في النفع والخير، وواضح أن النفع لا يكون في الخير قطعا. فالنفي نفي للتساوي في مجرد وجود الصفة فيما معا.

^(١) سورة النحل، ٧٦، ٧٥.

^(٢) سورة المائدة، ١٠٠.

٥- قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِ وَعَمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ كَمَنْ أَمْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)

نفي أن تتساوى أعمال الكافرين المحبطة وأعمال المؤمنين النابية في القبول لها عند الله تعالى.

٦- قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُنَ﴾^(٢)

نفي للتتساوي بينهما في القبول لهما في الدنيا والآخرة

٧- قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَغْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُلُ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٣)

الفعل ملفوظ في آياتين مقدر في الآخرين. أى وما يستوي الظلمات ولا النور، وما يستوي الظل ولا الحرور، وهو في الآيات كلها لنفي التتساوي في الفع والتشابه في صفة، واضح أن الصفة موجودة في أحد الطرفين دون الآخر.

٩- قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْتَكِ وَيَتَنَاهُ عَذَابًا كَلَّهُ وَلَيَ حَمِيمٌ﴾^(٤)

نفي للتتساوي بين الحسنة والسيئة في إصلاح النفوس . وإثبات للتفاوت المقتضى من العاقل اختيار الأفضل منهما، والنفي مجرد الاتفاق في الصفة.

١٠- قال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْنَابُ النَّارِ وَأَصْنَابُ الْجَنَّةِ أَصْنَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٥)

(١) سورة التوبه ١٩.

(٢) سورة السجدة ١٨.

(٣) سورة فاطر ١٩ الى ٢٢.

(٤) سورة قصص ٣٤.

(٥) سورة الحشر ٢٠.

نفي لتساويهما في صلاح العمل في الدنيا وفي الجزاء عليه في الآخرة.
 «ونوع آخر» يكون فيه متعلق التساوى المنفي صفة موجودة في طرق التساوى معاً، ويكون الفرض نفي تساوى الطرفين في هذه الصفة، أى نفي وجودها فيما على حد سواء. وقد جاء من هذا النوع الشاهدان اليقان من شواهد الفعل (بستوى) و(ما):

١١- قول الله تعالى: **«لَا يَسْتُوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِنَّ الْفَضْرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُوِّلُهُمْ وَأَنفَسُهُمْ فَضْلَ اللَّهِ الْمُجَاهِدُونَ يَأْمُوِّلُهُمْ وَأَنفَسُهُمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ ذَرَجَةً وَكُلُّاً وَعَذَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضْلَ اللَّهِ الْمُجَاهِدُونَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»**^(١)

نفي للمساواة في الفضل بين القاعدين لعدم والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. فالصفة المشتركة هي المولدة عند الله تعالى لكن التساوى فيها منفي لزيادة درجات المجاهدين عن القاعدين. بدلالة المقام والسياق قوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) دل على قبرز المجاهدين وتوفيقهم في الفضل بدرجة قوله (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيمما) يدل على عظمة هذه الدرجة في القدر والمولدة، وأها شيء عظيم. والله عظيم.

١٢- قال تعالى: **«فَوَمَا لَكُمْ أَنْ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَلَّهُ مَوَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتُوِي مِنْكُمْ مَنْ فَنِيَ فِي سَبِيلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أَوْلَئِكَ أَغْظَاهُمْ ذَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلُّاً وَعَذَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»**^(٢) في الآية نفي للتساوى والتشابه في الفضل بين من أنفق قبل الفتح ومن أنفق وقاتل من بعده، وإن كانوا جميعاً من أهل الفضل والكرامة.

الكلمتان السادسة والسابعة (ساوى وسوى):

جاءت هاتان الصيغتان في آية واحدة هي:

ـ١ـ قول الله تعالى: ﴿أَلَوْنِي زَبَرَ الْحَدِيدَ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
قَالَ انْفَخُوكُمْ حَتَّى إِذَا جَعَلْتُه كَارَأَ قَالَ أَلَوْنِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرَاهُ﴾^(١)
(ساوى بين الصدفين) و (سوى بين الصدفين) قراءتان، قال أبو حيان:
«فِرَا الجَمْهُورُ سَاوِي، وَفِرَادَةُ سُوَى (بِتَشْدِيدِ الْوَاءِ) وَإِنِّي أَبِي أَمِيَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ
عَنْ عَاصِمٍ سُوَى مُبْنِي لِلْمَجْهُولِ»^(٢)

والمعنى: أى جعل بينهما سوا لا فرق بين جانب وجانب، ولا بين جانبه ووسطه، ودلالة الصيغتين على التساوى والتشابه يكون عند تعلقهما بالطرف (بين) كما في الآية. أما إذا تعدد الصيغتان إلى المفعول الثاني بحرف المجر (الباء) فلأنهما لا تفيدان التسوية والتشابه، مثل: ساويت هذا بذلك وسويته به.

ذكر ابن منظور من المادة أعلاها مختلفة نلاحظ فيها اختلاف الدلالة بغير اختلاف متعلق الفعل، قال: «تساوت الأمور واستوت، وساويت بينهما، أى سويت، واستوى الشيتان وتساوايا تمايلا... ويقال ساويت هذا بذلك إذا رفعته حق بلغ قدره وبلغه، وقال الله عز وجل: (حق إذا ساوي بين الصدفين) أى سوى بينهما حين رفع السد بينهما ويقال: ساوي الشيء الشيء إذا عادله، وساويت بين الشيتين؛ إذا عدلت بينهما وسويت»^(٣)

واضح أن الفعل مقى دل استعماله في الكلام على إلحاق ناقص بكامل كان من باب الحكم بالمشاهدة، وإن دل على تساوى الطرفين كان حكمًا بالتشابه.

(١) سورة الكهف .٩٦

(٢) البحر المحيط ١٦٤/٦ والظر كتاب التذكرة في القراءات ٥١٧/٢

(٣) لسان العرب ٢١٦١

وعليه فقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَنِي ضَلَالٌ مُّبِينٌ إِذْ كُسُوْبُكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾^(١) الفعل (سوى) فيه لإفادة الحكم بالمشاهدة والتسوية بينهم وبين الله
تعالى في العبادة، أي إخالهم في المولدة بالله جل وعلا عن النظر والتبيه.
وهكذا نرى أن الدلالة تختلف بما يتعلّق الفعلين (ساوى، سوى)، حكمًا
بالمشاهدة، أو الت الشابه.

الكلمة الثامنة (مثيل).

ذكرنا عند الحديث الأول عن الكلمات التي تفيد الحكم
بالمشاهدة أن كلمة (مثل) تدل على الاتفاق بين طرق المائلة جنساً وصفة،
الذى هو حقيقة المائلة. وأخطأ إلى أن شواهد (مثل) في مواقعها تتوزع حسب
المقام والسياق إلى ما هو لإفاده المائلة وما هو لإفادة العامل.

وتكون (مثل) لإفادة المائلة ان جاءت في مقام يقصد بها فيه إخال
نافق بكمال على سبيل الفرض والإدعاء، فمثلا قوله تعالى حكاية لما يقوله
الكافر لأنبيائهم: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مُّتَّلِّدٌ﴾^(٢) نجد فيه الكفار يلحظون
أبياءهم بغيرهم في البشرية ، جريا على ما يزعمونه من أن دعوى الرسالة
تناق الشريعة، فأخبروا رسالهم بأنهم يمالئون في البشرية لا ينقصون من
أوصافها شيئاً، تقوم مقامه صفات ملائكة يكونون بها أهلاً للرسالة. وكذلك
يقص القرآن إجابة الرسول لهم بمحالتهم لهم في البشرية في قوله تعالى
﴿فَقَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنَّكُمْ إِلَّا بَشَرٌ مُّتَّلِّدٌ وَلَكُنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٣) لهم يوقوفون فيما قالوه من أنهم لا ينقصون عنهم في
البشرية ، لكن الله ميزهم بالرسالة، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من

(١) سورة الشعراة ٩٨،٩٧

(٢) سورة إبراهيم ١٠

(٣) سورة إبراهيم ١١

يشاء. فالطرفان وإن عاشرلا في الصفة إلا أن المقام دل على أن الغرض إفادة المماثلة وإلحاد الناقص بالكامل، وكذلك للسياق دلالته . – أيضاً – على ذلك، إذ جاء الكلام بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، الذي من شأنه أن يكون الجنيء به عند الحكم بما هو مجهول أو ما نزل منزلة المجهول .

وقد لا يمكن تحقق المماثلة أبداً، فضلاً عن انتفاء دعوى التمايل، لكن تأتي (مثل) طلباً للمماثلة على سبيل الإلزام في مقام بيان العجز عنها، كما في آيات التحدي بالإثبات بكلام يغایل القرآن الكريم، في دقة نظمها وبلاستيكتها، مثل قوله تعالى: ﴿فَقُلْ لَنِّي اجتَمَعَتِ الْإِنْسُوْنُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوْنَا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بِعْضُهُمْ لَبِعْضٍ ظَهِيرَاً﴾^(١) فمقام التحدي يدل على أن الغرض لنفي استطاعتهم أن يأتوا بكلام يصل إلى درجة في البلاغة ، وسياق الآية بما فيه من نفي الاستطاعة واضح الدلالة على هذاـ أيضاً – وهم مع هذا العجز يتمسكون بباطلهم، يدعون استطاعتهم أن يأتوا بمثله، حتى عنهم القرآن الكريم ذلك قاتلاً: ﴿وَإِذَا ثَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ شَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأُوْلَئِنِ﴾^(٢) لهم يدعون – قال لهم الله – ألم يسعطون الإثبات بما يغایل القرآن في قصصه وحكاياته الغريبة، بحيث لا يقل عنده، لأنه من أساطير الأولين !!.

– وقد تأتي (مثل) لإفاده الأخبار بالاتفاق جنساً وصفة دون قصد إلى زيادة ونقصان، فتكون عندئذ لإفاده التشابه، وشواهدها في الآيات الستة الباقية الآتية:

(١) سورة الإسراء ٨٨.

(٢) سورة الأنفال ٤١.

٧٣ - قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَ النَّصَارَى لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَلَوُنُ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَخْكُم بِيَتْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(١)

٧٤ - وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَرْوَلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ نَاهِنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ يَسِّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(٢)

مضي ذكر هاتين الآيتين في معرض الحديث عن دلاله الكاف على معنى (مثل) في قوله تعالى (كذلك قال...) أي قال الدين لا يعلمون مثل قول اليهود والنصارى، وكان التشبيه بالكاف باعتبار أن وجه الشبه في المشبه به معروف، ثم جاءت (مثل) للدلالة على التشابه بين المقالتين، إذ مالت كل مقالة اختها، وذلك في خطأ التجريح والدم في الآية الأولى ، وفي التراجع الآيات وغير ذلك في الآية الثانية، فالتشابه بظرا إلى توافق القسولين معنا في كلتا الآيتين، ويساعد على ذلك سياق الآية الثانية في قوله (تشابه قلوبهم) فإن تشابه القلوب يلزم منه تشابه الأقوال والأفعال. فالآياتان بذلك جمعتا بين التشبيه والتشابه^(٣).

٧٥ - قال تعالى: ﴿ هُنَّا يَمْسِسُكُمْ فَرْخٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمُ فَرْخٌ مُّكْلَهٌ وَتِلْكَ الْأَيَامُ لَذَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَ مِنْكُمْ شَهَدَاءُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾^(٤)

(١) الترقيم يجرى في سلسلة جميع شواهد (مثل).

(٢) سورة البقرة ١١٣.

(٣) سورة البقرة ١١٨.

(٤) ينظر عروس الأفراح ٤١٤/٣ والبحر الخريط ٣٥٣/١، ٣٦٧.

(٥) سورة آل عمران ١٤٠.

(فرح مثله) أى مثله في الإصابة من قتل وأسر، أو من قتل أو من هزيمة، ثلاثة أقوال ذكروها^(١)

وعلیه فالشیة تكون في كونه قرحا دون نظر إلى زيادة ونقصان والمعنى: أهم إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتمن منهم يوم بدر. فتشابه القرآن.

٧٦- قال تعالى: **فَخَلَقَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفًا وَرَوَاهُ الْكِتَابَ يَا خَدُونَ**
عَرَضَ هَذَا الْأَذْكَرِ وَيَقُولُونَ سَيَقْرَبُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّثْلٌ يَا خَدُونَ أَلَمْ
يُؤْخَذَ عَلَيْهِمْ مِّيقَاتُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ
وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^(٢)

(العرض) التافه الذى لا يثبت ولا يستقر، وقوله تعالى (عرض مثله) أى في الحقارة وعدم القيمة و(مثل) لافادة تفالل العرضين في صفة التفاهة، ولا يندو منها مساواة ناقص بكامل، فهو لتشابه العرضين معاً في الصفة، والله أعلم.

٧٧- قال تعالى: ﴿أَنرِّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَأَلَتْ أُزْدِيَّةٌ بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلَ زَبْدًا رَأْبَا وَمَمَا يُوَقْدُونَ عَلَيْهِ فِي التَّارِيخِ إِغْرَاءً حَلْيَةً أَوْ مَتَاعًّا زَبْدَهُ مَذْلَمَةً كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَمَمَا الزَّبْدُ فَيَذَهِبُ جُفَاءً وَمَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَال﴾^(٣).

قوله (أو متع زيد مثله) المثلية هنا - والله أعلم - للتشابه في كون كل من الزبدين يتولد من الأوساخ والأكدار ، وليس أحدهما أولى بالوصف من الآخر، إذ هو ينحصرها معاً على السوية، فكلمة (مثل) للتشابه، لعدم تحقق زيادة ونقصان بين طرف المثلثة.

^{٦٢}) انظر البحر المحيط ٣/٦٢.

١٦٩ الأعماق

١٧٣) سودة الى عدد

-٨٨ قال تعالى: **هُنَّ هُنَّ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمَنِ شَاءَ هَذَا فَلَيَعْمَلْ**
(العاملون ٤٤)

المعنى : أى ليعمل كل جاد يبتغي الفوز يوم القيمة عملا يصل به إلى مثل هذا الفوز . وكلمة (مثل) للتشابه ، لأنه ليس ثمة فوز آخر يمالئ الفوز بالجنة ، فيمكن أن يتصور عندئذ زيادة ونقصان ، ولأن الأمر بالعمل في حقيقته من أجل ذلك الفوز ، قال الطبرى : « يقول تعالى ذكره : مثل هذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة ، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون ، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم » ^(١) .

وإذا كان العمل لإدراك هذا الفوز إذ لا فوز بغيره في الآخرة ، فلا يكون عندئذ ما هو ملحق به ، ومثال له .

وإذ قد تبين لنا الفرق بين بحثي و (مثل) لإفادحة الحكم بالماللة بالحاق الناقص بالكامل ومحبها لإفادحة الحكم بالتماثل بين الطرفين عندما لا ينظر إلى زيادة ونقصان ، تبعا لما يقضيه المقام ، ويساعد عليه السياق ، فإنه يظهر لنا فساد تعميم القول بأن « مثل ، ومثال ، وما يتفرغ منها تفيد التسوية والتشابه ، لا التشبيه - وأنه - قد ورد استعمالها في القرآن الكريم ، للدلالة على التشابه والتساوى ، لا التشبيه بين المتفقين في الجنس أو النوع ، في كثير من أمور التشريع ، وفي تحدى الكافرين والكافرة ، أن يأتوا بشيء مثال للقرآن في إعجازه ، وببلاغته ، وفي غيرهما من السياقات المقتضية لاستعمالها للدلالة على المساواة في صفة أو صفات » ^(٢) .

وبما كان هذا التعميم فاسدا لأن ثمة فرقا - كما بينا - بين التسوية والتساوى ، وكذلك بينها وبين التشابه ، بقدر الفرق بين التشبيه والتشابه .

(١) سورة الصافات ٦١،٦٠

(٢) جامع البيان ٦٢/٤٣

(٣) بيان التشبيه ٣١٨، ٣١٧

(الطريق الآخر):

هو أن يؤتي بأداة التشبيه ويكون الفرض من المجرى ما - حسب المقام - مجرد الجمع بين أمرتين مرادا القراء المشترك بينهما دون نظر إلى زيادة ونقصان في الطرفين.

قال العصام: «إن أداة التشبيه قد تستعمل مجرد قصد التشيريك»^(١) مثال ذلك: أن تشبه غرة الفرس بالصريح، أو الصبح بغرة الفرس، فقصدنا إلى وقوع متير في مظلم أكثر منه، دون نظر إلى اختلاف الطرفين في التاللز والابساط وفورة الضوء بدلالة المقام. لأنه إن قصد ذلك كان من باب التشبيه المعهود، وحيث كان المراد المعنى الذي يتساوى فيه الطرفان يكون من باب التشابه^(٢).

ويستحسنون عند إرادة الجمع بين الطرفين على سبيل الساوى في الوجه لا مطلق حصوله فيما الإياتان بصيغة التشابه (الطريق الأول) لأن أداة التشبيه تنهى غالباً عن كون أحد هما ناقضاً والأخر زائداً في وجه الشبه. « وإنما لم يجب لأن المتكلم قد يكون أحد الطرفين عنده أهم، إما لكونه أول خاطر لمجئه فيه أو لكونه المخبر عنه، فيتقدم لكونه يجب أن يكون مبتدأ حينئذ ، فيخبر عنه بكونه ك الآخر»^(٣).

وشواهد هذا الطريق تختص أداة التشبيه (الكاف) دون (كان) لأنها لما كانت لتأكيد التشبيه ناسب ذلك أن يكون القصد معها إلى إلحاق الناقص بالكامل، وتؤكد هذا الإلحاق، فلا تأتي (كان) للتشابة. أما الكلمات الأخرى فقد بينا أنها ليست أدوات للتشبيه الاصطلاحى الذى يصار به إلى هذا الطريق الثاني ، ولذلك ذكرنا شواهدنا في الطريق الأول.

(١) الأطوال ٩٥/٢

(٢) ينظر شرح الثنتين ٤١٥/٣

(٣) مواهب الفتاح ٤١٥/٣

والفيصل بين إبقاء شواهد التشبيه كما هي من التشبيه الاصطلاحى والخروج بها إلى التشابه يرجع إلى الغرض الذى سبق من أجله الكلام، وما يصحب ذلك من قوله تعالى: **وَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ** سواءً فلَا تَخْدُلُوهُمْ مِنْهُمْ أَوْ لِيَأْتِيَهُمْ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَيِّلِ اللهِ فَإِنْ تَوْلُوا فَلَا تَخْدُلُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدُوكُمْ وَلَا تَخْدُلُوهُمْ وَلَيْا وَلَا يَصِرُّوا^(١)

التشبيه في قوله: (لو تكفرون كما كفروا) ليس من التشبيه المعهود الذي يقصد به زيادة وجه الشبه في المشبه به ونقضان في المشبه، والخافق الناقص بالكامل.

لأن الغرض الإخبار عن قوى المنافقين مجرد وقوع الكفر من المؤمنين كما هو واقع منهم، لا أن يصير كفرهم - حاشاهم من ذلك - مساوياً لكفر المنافقين، فالمقام يعنى بذلك أيته. والسباق أيضاً يساعد على ذلك باشتماله على كلمة (سواء) التي تدل على التشابه بطريقه الأول. أي تكونون سواء في الكفر، لا أن يساوى كفرهم في أسبابه وصفاته ويصير مثله.

١٦٦ - قوله الله تعالى: **وَمَا مَلَكَتْ نَفْسٌ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ هَلْ كُمْ مِنْ** مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شَرَكَاءِ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُوهُمْ كَخِيفَتْكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ تُفْعَلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَقْلُونَ^(٢).

(١) يجري تسلسل الترقيم لأيات الكاف كلها، وهي اثنان وسبعين ومتنا آية.

(٢) سورة النساء .٨٩

(٣) سورة الروم .٢٨

قال الزمخشري: «ما يابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وإن ثفثثوا بتدببر عليهم، كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار»^(١) ومن الواضح حين أن السيد لا يخاف أن يستبدل برأيه دون عبده، وأن يتصرف في الأمور حلاً وعقداً دون أن يرجع إليه، وإذا كان كذلك فإنه يتأنى أن يكونقصد إلحاد ما عند السادة من خوفهم عبدهم بما يكون بين السادة من خوف بعضهم لبعض، لأنه ليس ثمة خوف قطعاً من السادة لعيدهم، فالتشبيه بين الخوفين في مجرد الواقع، فيعد من باب التشابه لذلك.

١٢٧ - قوله تعالى في قصه ملكه سيا: **﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْكَلَهُ عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَلَهُ هُوَ وَأَوْتَنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾**^(٢) جاء قوله: «أهكلا عرشك» في مقام تعريفها بعرشها الذي نكروه لها، فالسؤال عن كمال المشاهدة التي هي حقيقة التشابه، يدل على ذلك مساق الكلام، فقد سألهما عن مشاهدة عرشهما لما تراه أمامها، جاعلين الحاضر أمامها المشبه به، ومعلوم أن طبيعة المشبه به الظهور وعلم الخفاء لدى المتكلم والسامع، وجعلوا عرشهما الذي تعلمه مشبهها، فصار الطرفان واضحين أمامها لا تخفي حقائقهما عليها. هذا مع ما في السياق من إيقاظ السلفين بالتشبيه والإشارة، ولذلك لم تثبت أن قالت. (كأنه هو) فقربت بينهما وجعلتهما في دائرة واحدة بالجنيء بلفظ التشبيه (كأن) والإخبار عنه بلفظ الضمير (هو) بما له من دلالة على حقيقة الشيء وماهيته.

قلنا إن مرجع اعتبار صيغة التشبيه من باب التشابه إلى المعنى الذي يفهم من الكلام. ويتبدي لنا اختلاف الاعتبار عند العلماء في تفسيرهم الآية الآتية:

(١) الكشاف ٤٢١/٣.

(٢) سورة النمل ٤٢.

١٢٨ - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّبَاحَ بُشِّرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَةٍ
حَتَّى إِذَا أَفْلَتَ سَحَابًا فَقَالَ مُقْتَأْنَاهُ لِيَدِ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَغْرَجْنَا بِهِ مِنْ
كُلِّ الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ لِخُرْجِ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)

قوله (كذلك لخرج الموتى) أي إخراجاً مثل ذلك - وهو إخراج
الثمرات - لخرج الموتى لعلمكم تذكرون. التشبيه هنا في مجرد الفعل؛ لذلك
يكون من باب التشابه، وبينما يرى الزمخشري هذا التفسير يقول أبو حيان:
«وهل التشبيه في مطلق الإخراج، ودلالة إخراج الثمرات على القسرة في
إخراج الأموات، أم في كيفية الإخراج، وأنه ينزل مطر عليهم فيحيون كما
ينزل المطر على البلد الميت فيحيى بهاته، احتمالان»^(٢).

وهذا الاحتمال الثاني الذي ذكره أبو حيان فيه إبقاء للتشبيه على حاله
بالخلق الحقى بالظاهر، وي بيان حال هذا الإخراج.

وضع ما قدمناه أن التشبيه الذي يصير إلى الطريق الثاني للتشابه يكون
القصد منه مجرد اتفاق الطرفين في وجه الشبه ، دون خصوصيات فيه، كان
تراعي فيه زيادة ولقصان أو ظهور وخفاء... وقد قلنا عند بدء الحديث عن
التشبيه بالكاف إن التشبيه بين الأفعال ضربان ضرب يلاحظ فيه كمال وجه
الشبه في المشبه وضرب لا يكون القصد منه إلا إلى مجرد اتفاق الطرفين في
وجه الشبه، وتدخل شواهده في باب التشابه، وهو كثير في القرآن الكريم .

وهذه الشواهد مع كثراها لا تختلف في طبيعة هذه الدلالة. أي القصد إلى
مجرد الجمع بين الطرفين، وإن كانت تختلف حسب مقاماتها ومواضعها التي
جاءت فيها . فقد تكون في مقام الحديث عن الوسي والرمائل أو
الحديث عن الآيات وبيانها وتفصيلها ، أو عن الخلق والإحياء والإماتة. أو
عن الإيمان، وما يصاحب الطاعة من نعم في الأولى والآخرة، أو عن الكفر

(١) سورة الأعراف ٥٧

(٢) البحر الهبيط ٤/٣١٨ والظر الكشاف ٢/٨٤

والمعاصي والجزاء عليها وما يرتبط بذلك، أو عن ابتلاء، أو بيان تشريع، أو حكم، أو ضرب مثل، إلى غير ذلك.

و سنذكر هذه الشواهد حسب كثرة ورودها في القرآن الكريم، بصورة مختصرة في البيان لوضوح الرؤية فيها بعد ما قدمنا من بيان الفرق بين التشبيه التشابه.

أولاً: شواهد الحديث عن الهدایة والإيمان وما يصاحب ذلك من تفضيل الله على عباده وتكريمه لهم.

١٢٩ - قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعِّدُ عَنْ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ يُضِيعُ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالشَّاءِ لَرَزُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)

قال الطبرى: «كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد صلوات الله عليه وسلم وما جاءكم به من عند الله كذلك فضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطا»^(٢) فالتشبيه مراد به القدر المشترك بين الطرفين وهو مجرد الواقع، فهو من باب التشابه.

١٣٠ - قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِنْ لَسْنَنَا أَوْ أَخْطَلَنَا رَبَّنَا وَلَا تَخْمَلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْنَا عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَأَغْفِرْنَا عَنَّا وَأَغْفِرْنَا لَنَا وَازْخَمْنَا أَئْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) جامع البيان ٦/٢.

(٣) سورة البقرة ٢٨٦.

(كما حملته على الدين من قبلنا) التشبيه مجرد التفاف الطرفين في مجرد الحصول. ومقام الدعاء يدل على رجاء حل المشقة ورفع الإصر قل أو كثير لا أن يكون خاصاً بما هو مثل الإصر الذي حل بهم غيرهم من الأمم السابقة، والله أعلم.

١٣١ - قال تعالى: **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَقْوُبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَلَوْحَانَ هَدَيْنَا مِنْ قَتْلٍ وَمِنْ ذُرْبِهِ ذَارِودَ وَمُلْيَمَانَ وَأَبُوبَ وَتُوسَّفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ لَجْزِي الْمُخْسِنِينَ﴾**^(١) المفع على وقوع الجزاء لا أن يكون الجزاء المخصوص المشار إليه في (وكذلك لجزي الحسين) فهو من باب الشابه.

١٣٢ - قال تعالى: **﴿فَنُمْ نَجِيَ رُسُلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَا كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا لَنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**^(٢) التشبيه في مطلق النجاة، أما الحصانص من الأحوال والأسباب فهي تختلف.

١٣٣ - قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيَقْلُمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخَادِيثِ وَيَقْتُلُكَ لِغَمَةَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَلَّا يَقْبُبَ كَمَا أَنْتَهَا عَلَى أَبُوئِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنْ رَبُّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**^(٣).
في الآية شاهدان: (وكذلك يجتبك ربك) و (كما أنها على أبوائك) وهو ما من باب الشابه.

١٣٤ - قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مُصْرَ لِأَمْرِهِ أَكْرَمَهُ مَنْوَاهَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَعْدَدَ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّا لِوَسْفَ فِي الْأَرْضِ وَلَقَلْمَةَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**^(٤)

(١) سورة الأنعام .٨٤

(٢) سورة يوسف .١٠٣

(٣) سورة يوسف .٦

(٤) سورة يوسف .٢١

(وَكَلَّكَ مَكَنًا لِيُوسُفَ) أى كَمَا أَنْجَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا الْعَزِيزَ يَعْطُفُ عَلَيْهِ
مَكَنًا.

١٣٥ - قال تعالى: **هُوَ لَمَّا بَلَغَ أَشْدَادَهُ أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ**
لِجَزِيرِ الْمُخْسِنِينَ^(١) المشابهة في مطلق الإحسان إليهم، دون نظر إلى نوعه،
أو زيادة ونقصان.

١٣٦ - قال تعالى: **وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**
كَذَلِكَ لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِلَهٌ مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلَصِينَ^(٢)
(كَذَلِكَ لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ) أى مثل تلك الرؤية ثبتَهُ ونبيه
البراهين.^(٣) فالمشا به من باب التشابه في مطلق إنعام الله عليه.

١٣٧ - قال تعالى: **وَكَذَلِكَ مَكَنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَرَّأُ مِنْهَا**
حيثُ يَشَاءُ لِصِيبَةٍ هَرَخَمْتَنَا مِنْ شَاءَ وَلَا لِصِيبَةٍ أَجْرَ الْمُخْسِنِينَ^(٤)
أى مثل التمكين الذي ظهر له عند الملك مكنا له في الأرض.

١٣٨ - قال تعالى: **جَنَّاتٌ عَذْنٌ يَذْخُلُوهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**
لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ^(٥)
أى مثل هذا الجزء من دخول الجنة خجز كل مقن طالع.

١٣٩ - قال تعالى: **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ**
الْجَيَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ
يُتَمَّ نَعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ^(٦).

(١) سورة يوسف .٢٢

(٢) سورة يوسف .٢٤

(٣) ينظر الكتاب /٣١٢ والبعض الغيط .٢٩٦/٥

(٤) سورة يوسف .٥٦

(٥) سورة النحل .٣١

(٦) سورة النحل .٨١

التشبيه في مجرد وقوع النعمة في المستقبل كما حصلت لهم في الماضي.

١٤٠ - قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَيْفِيَةً مِنَ الْفَمِ وَكَذِيلَكَ لَنْجِيِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)

أى كما حصل ليوس النجاة، يحصل للمؤمنين النجاة من شد اللهم،
وليس نجاة المؤمنين ماثلة لنجاة يوں في خصائص أفعالها وصفاتها.

١٤١ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جِنَوْبَهَا فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْفَالَّيْعَ
وَالْمُعْتَرَ كَذِيلَكَ سَخْرَتْهَا لَكُمْ لَغَلُوكُمْ نَشْكُرُونَهُ﴾^(٢)

١٤٢ - وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنْالَ اللَّهُ لُحُومُهُمْ وَلَا دَمًا مِنْهُمْ وَلَكِنْ يَنْأَلُ
الْفَوْئِيْدُكُمْ كَذِيلَكَ سَخْرَهَا لَكُمْ لَتَكْبِرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاهُمْ وَتَبْشِيرُ
الْمُخْسِنِينَ﴾^(٣)

المشاهدة في وقوع تسخير الإبل في حسبها وذبحها، وتكسرار التشبيه
تكرار للمن بالنعم، والله أعلم.

١٤٣ - قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الدِّيْنَ آمَنُوكُمْ وَعَمَلُوكُمْ الصَّالِحَاتِ
لَيُسْتَخْلِفُوكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمْ
الَّذِي أَرَضَى لَهُمْ وَلَيُذَلِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَرْقَهُمْ أَمْنًا يَعْثِلُوكُنِي لَا يُشَرِّكُونَ بِسِيْ
شِيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِيلَكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤) (كما استخلف الدين من
قبلهم).

المشاهدة لا ينظر فيها إلى زيادة ولقصان، وإنما في مطلق العمكين، إذ قد
يكون المشبه وهو استخلاف أمّة محمد عليه الصلاة والسلام - ألوى وأمكن،
فالمعنى على التشابه في مجرد الواقع.

(١) سورة الأنبياء .٨٨

(٢) سورة الحج .٣٦

(٣) سورة الحج .٣٧

(٤) سورة التور .٥٥

١٤٤ - قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأُرْثَنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيل﴾^(١)

أى مثل ذلك الإخراج الذى أخر جنهم أو رثاهم الأرض.

١٤٥ - قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

وَكَذَلِكَ لِجُزِيِّ الْمُحْسِنِين﴾^(٢)

١٤٦ - قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى لَوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّ كَذَلِكَ لِجُزِيِّ

الْمُحْسِنِين﴾^(٣)

١٤٧ - قال تعالى: ﴿فَقَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْبَى إِنَّ كَذَلِكَ لِجُزِيِّ

الْمُحْسِنِين﴾^(٤)

١٤٨ - قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ لِجُزِيِّ

الْمُحْسِنِين﴾^(٥)

١٤٩ - قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّ كَذَلِكَ لِجُزِيِّ

الْمُحْسِنِين﴾^(٦)

١٥٠ - قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّ كَذَلِكَ لِجُزِيِّ

الْمُحْسِنِين﴾^(٧)

١٥١ - قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوْجُتَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾^(٨)

المشاهدة بين دخولهم المقام الكريم وتزويجهم الحور العن في مجرد حصول
الإنعام والتكريم لهم.

(١) سورة الشراة ٥٩.

(٢) سورة القصص ١٤.

(٣) سورة الصافات ٨٠، ٧٩.

(٤) سورة الصافات ١٠٥.

(٥) سورة الصافات ١١٠، ١٠٩.

(٦) سورة الصافات ١٢١، ١٢٠.

(٧) سورة الصافات ١٣١ - ١٣٠.

(٨) سورة الدخان ٥٤.

١٥٢ - قال تعالى: **هُنَمَّةٌ مَّنْ عِنْدَكَ كَذَلِكَ لَجْزٌ يَرَى مَنْ شَكَرَهُمْ**^(١)

١٥٣ - قال تعالى: **هُنَّ كُلُّهُمَا وَأَشْرَبُوا هَبِيبًا بِمَا كَسْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ كَذَلِكَ لَجْزٌ يَرَى الْمُحْسِنِينَ**^(٢)

وهكذا رأينا في الشواهد السابقة أن المشاهدة في مطلق تحقق الفعلين ووقوعهما خارجاً - غير منظور فيها إلى زيادة ونقص أو خصالص أخرى في الفعل تشير بالتشبيه إلى معنى من المعانى التي ذكرناها في مبحث الكاف..

ثانياً: شواهد الحديث من الكلم والملاعنص وما يرتبط بذلك من جراءه وفيه..

١٥٤ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِي أَنْهَى نَاسًا لَّمَّا كَرِهُوا فَقَبَرُوا مِنْهُمْ كَمَا قَبَرُوا مِنْهُمْ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ الثَّارِيَةِ**^(٣)

في الآية شاهدان: «كمَا تبرءوا منا» و(كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات) والمشاهدة في مطلق الحصول لإمكان اختلاف الطرفين عن بعضهما.

١٥٥ - قال تعالى: **هُوَ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَخْتَيَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ كُورَا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَئِسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**^(٤)

في الآية تشبيهان (كم من مثله في الظلمات) وهو تشبه بدليل عكس التشبيه فيه، و(كذلك زين) وهو شاهد هذا الموضع.

(١) سورة القمر .٢٥

(٢) سورة المرسلات .٤٤، ٤٣

(٣) سورة البقرة .١٦٧

(٤) سورة الأنعام .١٢٢

١٥٦ - قال تعالى: **فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدَرَةً لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدَرَةً ضَيْقًا حَرَّاجًا كَائِنًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلْ اللَّهُ الرَّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**^(١)

أى مثل ذلك الجعل من تضيق الصدر يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون. فال مشاهدة في مطلق حصول الفعلين.

١٥٧ - قال تعالى: **وَسَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بِأَسْنَانِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَبْيَعُونَ إِلَّا الظُّنُونُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**^(٢)

(كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ذلك التكذيب المشار إليه في الآية قبلها (فإن كذبوا) كذبت الأمم السابقة - فالتشبيه لإفاده التشابه وليس فيه زيادة ونقصان منظور إليهم. ويدل على أن الغرض مجرد الجمع بينهما في وقوع التكذيب، أنه لو كان الغرض التشبيه لكان المناسب للمقام - والله أعلم - أن يشبه تكذيبهم للرسول ﷺ بتكذيب من سبقوهم.

١٥٨ - قال تعالى: **هُنَّا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتَنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَنْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَرْغُبُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِتُرِيَهُمَا سَوْءَاهُمَا إِنَّ اللَّهَ يَرَأُكُمْ هُوَ وَقِيلَةٌ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**^(٣)

أى فتنة مثل فتنة إخراج أبيكم في الواقع والحصول ، لا في نوعها.

١٥٩ - قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَكِّحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمْ الْخِيَاطِ**

(١) سورة الأنعام ١٢٥.

(٢) سورة الأنعام ١٤٨.

(٣) سورة الأعراف ٢٧.

وَكَذَلِكَ لَجْرَى الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مَنْ جَهَنَّمْ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ لَجْرَى
الظَّالِمِينَ^(١)

(كذلك لجزى) في الآيتين للتشابه؛ لأنه في مجرد وقوع الفعلين.

١٦١ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوَا وَأَعْبَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**
فَإِنَّهُمْ لَنَسَاهُمْ كَمَا لَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْنَدُونَ^(٢)
المشاهدة في مجرد وقوع السيان ، وليس الغرض التشبيه ، لأن تسيان الله
أشد وأخرى ، وقانا الله ذلك.

١٦٢ - قال تعالى: **هُنَّلِكَ الْقَرَى لَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَبَابِلِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلِ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِ الْكَافِرِينَ^(٣)** المشاهدة في مجرد وقوع الطبع.

١٦٣ - قال تعالى: **هُوَ جَارِزٌ تَبْنَى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرُ فَأَنْتُمْ عَلَى قَوْمٍ يَغْفُلُونَ**
على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهنا كما لهم آلهة قال إلكم قوم
تجهلون^(٤) (كما لهم آلهة) اي في مجرد حصول آلهة لهم.

١٦٤ - قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّنَاهُمْ غَضِبَ مَنْ رَبَّهُمْ**
وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ لَجْرَى الْمُفْتَرِينَ^(٥) سورة الأعراف ١٥٢.

١٦٥ - ١٦٦ - قال تعالى: **هُوَ إِذَا مَسَ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَبَهَهُ أَوْ قَاعِدًا**
أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَمْفَنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرُّهُ مَسْسَهُ كَذَلِكَ زَرِّيْنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا
وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ لَجْرَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ^(٦).

(١) سورة الأعراف ٤١، ٤٠.

(٢) سورة الأعراف ٥١.

(٣) سورة الأعراف ١٠١.

(٤) سورة الأعراف ١٣٨.

(٥) سورة يونس ١٢، ١٣.

- ١٦٧ - قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَوْا أَهْلَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يومن ٣٣ .
- ١٦٨ - قال تعالى : ﴿ هَبَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ سورة يومن ٣٩ .
- ١٦٩ - قال تعالى : ﴿ هُنَّمَ بَعْثَنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ لَجَاهَوْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ كَذَلِكَ لَطَّافَ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِلِينَ ﴾ سورة يومن ٧٤ .
- ١٧٠ - قال تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفَلَكَ وَكُلُّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنَّ سَخِرُوا مِنْنَا فَإِنَا لَسَخِرُ مِنْكُمْ كَمَا لَسَخِرُونَ ﴾ سورة هود ٣٨ .
- ١٧١ - قال تعالى : ﴿ كَانَ لَمْ يَأْتُوكُمْ فِيهَا أَلَا بَعْدَ لَمَدِينَ كَمَا بَعِدَتْ نَوْدُهُ ﴾ سورة هود ٩٥ .
- ١٧٢ - قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ سورة هود ١٠٢ .
- ١٧٣ - قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكَهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة الحجر ١٢ .
- ١٧٤ - قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة الشعرا ٤٠ .

ذكر أبو حيان أحد المعلقين في تفسير السلك قائلاً: «قال ابن عطيه: الضمير في نسلكه عالد على الاستهزاء والشرك ولحوه..»^(١) وعلى هذا يكون التشابه في مجرد وقوع الفعل الذي هو من أفعال العصاة والكافرين، وعلى جعل الضمير للقرآن يكون الشاهد من ضرب الحديث عن الوحي للتتشابه أيضاً.

(١) البعر الخريط ٤٤٨/٥.

- ١٧٥ - قال تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا التَّالِبُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْتَنَا عَلَى
الْمُقْسِمِينَ ﴾ سورة الحجر ٨٩-٩٠ - أى اندر قومك كما انذرنا المقسمين
فأنزلنا عليهم العذاب وهم يهود قريطة والنصير، فالتشابه في مجرد الواقع^(١)
- ١٧٦ - قال تعالى: ﴿ مَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمُلْدَكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
سورة النحل ٣٣. أى تشابه فعلهم وفعل من سبقوهم في التكذيب.
- ١٧٧ - قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ
مِنْ شَيْءٍ كُخْنَ وَلَا آبَازْنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ سورة النحل ٣٥.
- ١٧٨ - قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ اللَّهُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَفَقَّنُ إِلَى ذِي
الْعِرْضِ سَيِّلَهُ سُورَةُ الْأَسْرَاءِ ٤٢﴾
- ١٧٩ - قال تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكَنَا وَلَكُنْ حُمَانًا أَوْ زَارًا
مِنْ زِيَّةِ الْقَوْمِ فَقَدْ قَنَّاهَا كَذَلِكَ أَقْرَى السَّامِرِيُّونَ ﴾ سورة طه ٨٧.
(فكذلك أقرى السامری) تشابه لأنه لو كان تشبيها لشُبهوا ما فعلوه
يفعل السامری.
- ١٨٠ - قال تعالى: ﴿ قَالَ يَصْرَتْ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتَ قَبْضَةً مِنْ أَنْ
الرَّسُولِ فَتَبَدَّلُوا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتَ لِي لِنفسي ﴾ سورة طه ٩٦.
- ١٨١ - قال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتِنَا فَتَسْيِطُهَا وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ
تَسْيِطُهَا ﴾ سورة طه ١٢٦.
- أى كما كان لك من المعيشة الضنك وحشرك يوم القيمة أعمى أنتك آياتنا
فسطتها ، وكما نسيتها تسلي. فالكاف للتشابه في الشاهدين.

١٨٢ - قال تعالى: **هُوَ كَذِلِكَ تَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ** ولعذاب الآخرة أشد وأقسى **بِهِ سُورَة طه** ١٢٧.
أى كما جزينا من نسى الآيات نجزى من أسرف ، فاجزاءان متشابهان في الحق.

١٨٣ - قال تعالى: **هُوَ مَنْ يَقُلُّ مِنْهُمْ إِلَى إِلَهٍ مَّنْ ذُوْهُ فَلَدِلِكَ تَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ** كذلك نجزي الظالمين **بِهِ سُورَة الأنبياء** ٢٩.
أى كما نجزى من يكفر ويشرك بالله نجزى كل ظالم على ظلمه آيا كان هذا الظلم ، فصيحة التشبيه للتشابه في مطلق وقوع الجزاء.

١٨٤ - قال تعالى: **هَقَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا** أعزّة أهلها أذلة **وَكَذِلِكَ يَفْعَلُونَ** **بِهِ سُورَة النمل** ٤٤.
الكاف للتتشابه ، لأن المشبه والمشبه به بمعنى واحد.

١٨٥ - قال تعالى: **هَقَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هُوَ أَكَلَ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا** أغويتهم كما غوينا **تَبَرَّا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّاكَ يَعْبُدُونَ** **بِهِ سُورَة القصص** ٦٣.
(كما غوينا) أى غيا كفينا. فالكاف للتتشابه في مجرد الواقع لا كونه على درجته، وإلا كان عندئذ تشبيها.

١٨٦ - قال تعالى: **هُوَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبُسُوا غَيْرَ** ساعنة كذلك كانوا **يُؤْفَكُونَ** **بِهِ سُورَة الروم** ٥٥.
أى كما أتوا بالإفك والضلال وعدم التثبت أقسموا على ذلك.

١٨٧ - قال تعالى: **هَكَذِلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** **بِهِ سُورَة الروم** ٥٩.
أى كما طبع الله على قلوب الكفرا (في الآية السابقة) يطبع الله على قلوب الدين لا يعلمون بمنع الألطاف عنهم.

١٨٨ - قال تعالى: **هُوَ حِيلٌ بِتِئْمٍ وَّتِينَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَا عِهْمٍ مُّنْ قَتْلٍ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُّرِيبٍ** سورة سبا ٥٤.

(كما فعل بأشياءهم) أى يتشابه ما فعل لهم وما فعل بأشياءهم من الخرمان.

١٨٩ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمُ لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ قَبْرُولُوا وَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ مَنْ عَذَابَهَا كَذَلِكَ لِغَزِيرِ كُلُّ كُفُورٍ** سورة فاطر ٣٦.

أى تتشابه أجزية الكافرين جميعا فيما ذكرته الآية من الخلود في النار.

١٩٠ - قال تعالى: **فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ إِلَّا كَذَلِكَ كَفَعْلُ الْمُجْرِمِينَ** الصالات ٣٢، ٣٤ أى يتشابهون في العذاب ويشركون فيه. فهم فيه سواء.

١٩١ - قال تعالى: **هُوَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَكْهُمْ أَصْنَحَابُ النَّارِ** غافر ٦. أى تتشابه هلاكهم في الدنيا وصحبتهم للنار يوم القيمة في الوجوب عليهم.

١٩٢ - قال تعالى: **هُوَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بَالِيَّنَاتِ فَعَا زَقْنُمْ فِي شَكٍ مَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قَلْثُمْ لَنْ يَقْعُثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ** سورة غافر ٣٤.

أى إضلal الله لهم تتشابه مع إضلal المسرفين المرتابين.

١٩٣ - قال تعالى: **هُوَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ** في آيات الله بغير سلطان أكفهم كبر مفتاح عند الله وعند الدين آمنوا كذلک يتبع الله على كل قلب متكبر جباره سورة غافر ٣٥.

هكذا طبع الله على قلوب المتكبرين، تتشابه قلوبهم فتشابه جرائمهم.

١٩٤ - قال تعالى: **هُوَ قَالَ فَرَزَعْنَ يَا هَامَانَ ابْنَ لِي صَرْنَحَا لَعَلَى أَبْلَعَ الْأَسْبَابِ أَسْبَابَ السُّمَاءَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَيْهِ مُوسَى وَإِلَيْهِ لَأْظَهَهُ كَادِيَا وَكَذَلِكَ**

**زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّعَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تِبَابِ هَمْسُورَةِ
غَافِرٍ ، ٣٦ ، ٣٧.**

أى مثل الذى ذكرنا من التزيين والصد زين لفرعون سوء عمله، فالمتشابهان
بعن واحد.

**١٩٥ - قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَالُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ سورة
غافر ٦٣. أى تتشابه قلوب الجاحدين في الصرف عن الحق وعن آيات الله.**

**١٩٦ - قال تعالى: ﴿هُنَّمَ قَبْلَ لَهُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ دُونَ اللَّهِ قَالُوا
ضَلَّوْا عَنَّا بَلْ لَمْ لَكُنْ لَذُخُورٌ مِنْ قَبْلِ شَيْنَا كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ سورة غافر
٧٣ ، ٧٤. أى يتتشابه الضالون في إضلال الله لهم وصرفهم عن الحق.**

**١٩٧ - قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ لِيَقُرِيهَ مَنْ لَمْ يَرِدِ إِلَّا قَالَ
مُتَرْفُوهَا إِلَّا وَجَدَلَا آبَاءِنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِلَّا عَلَىٰ آتَارِهِمْ مُفَدَّثُونَ﴾ سورة الزخرف
٢٣. أى كما قال الذين من قبلهم إلها وجدنا آباءنا على أمم كذلك قال كفار
مكة فتشاهت قلوبهم وأقوالهم، ولو وجود هذا التتشابه شبه ما قاله السابقون بقول
أهل مكة وكفارها.**

**١٩٨ - قال تعالى: ﴿كُمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَغَيْوَنٍ * وَزُرْوَعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ *
وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَأَكَهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثَنَاهَا فَوْمًا آخَرِينَ﴾ سورة الدخان
٢٨-٢٥. أى مثل ذلك الإخراج من الجنات والغتون لفرعون وأشياعه أو رثناها لوما
غيرهم. فالتشابه حصل في وقوع الأمرتين وإنفاذ الله لهما.**

**١٩٩ - قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسَأُكُمْ كَمَا كَسِيْتُمْ لِقاءً يَوْمِكُمْ هَذَا
وَمَا أَكْنَمْتُ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ لَاصِرِينَ﴾ الجاثية ٣٤.**

تشابه نسيان الله ولسايدهم في الواقع، ويمثل على التتشابه اختلاف
النسيانين طبيعة وأثرا، فالكاف ليست للتشبيه.

٢٠٠ - قال تعالى: ﴿لَئِنْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَنْفَرِ رِبَّهَا فَاصْبِحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ لَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ سورة الأحقاف . ٢٥

أى كذلك لجزى ونوع العقاب بكل مجرم ظالم، فالكاف للتشابه في وقوع الجزاء على جميع الظالمن، وليس للتشبيه. لأن مقتضاه أن يكون جراء المجرمين جينا إرسال الريح عليهم وتدميرهم بما وليس الأمر كذلك.

٢٠١ - قال تعالى: ﴿هُوَ قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَغْرَابِ سَتَذَعَفُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تَفَانُوْكُمْ أَوْ يَسْلِمُونَ فَإِنْ نُطْبِعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسْنَا وَإِنْ تَنْوِلُوا كَمَا تَوْلَيْتُمْ مَنْ قَبْلُكُمْ عَلَيْهَا أَلْيَمَاهُ﴾ سورة الفتح ١٦ . القصد والله أعلم - مطلق التولى فالصيغة للتشابه وهو واضح.

٢٠٢ - قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ زُسْوِلَ إِلَّا قَاتَلُوا سَاحِرًا أَوْ مَجْتَنَّةً﴾ الداريات ٥٢ . أى تشاهدت قلوبهم وأقوالهم.

٢٠٣ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُرُوا كَمَا كُبِّرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِمَّ﴾ الجادلة ٥ .

٤ - قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْعَثِّرُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلُفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلُفُونَ لَكُمْ وَيَخْسِبُونَ أَلَهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِلَهُمْ هُمُ الْكَادِبُونَ﴾ الجادلة ١٨ .

(كما يخلفون لكم) التشابه في مطلق الواقع. ويدل على ذلك أن وجه الشبه وهو ظهور الكذب أوضح في المشبه وهو كذلك يوم القيمة على الله تعالى.

٢٠٥ - قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ القلم ٢٣ . أى يتشابه ما يصيغ لهم في الدنيا مع عذاب أهل الجنة التي أصبحت كالصريم، لكن عذاب الله في الآخرة أكبر لا مقارنة بينه وبين عذاب الآخرة.

٢٠٦ - قال تعالى: **هُوَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَّهُمْ إِلَّا فَتَّالَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَقِنُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يُرِقَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جِئْنَدُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ** سورة المدثر .٣١
(كذلك يضل الله من يشاء) تشابه في وقوع الإضلال، إذ تختلف درجات الضلال وطريقه. فالكاف للتشابه.

٢٠٧ - قال تعالى: **هُوَ أَلْمَنْ لَهُنَّكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ لَتَبْغِيْهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ لَفَعْلُ بِالْمُجْرِمِينَ** سورة المرسلات ١٦ - إلى - ١٨ .
أى يتشابه ما فعله با مجرمين جهينا.

وقد جاء نفي التشابه بين جزاءى الكفر والإيمان في الآية الآتية:

٢٠٨ - قال تعالى: **هُوَ أَجْعَلَنَّمْ سَقَيَةَ الْحَاجَ وَعَمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْعَرَامَ كَمَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** سورة التوبة .١٩

فالمعنى على إنكار أن يكون بين أعمال المشركين وعمارات المسجد آية مشابهة مع إيمان المؤمنين وأعمالهم، لا مشابهة مخصوصة، فانتفت التسوية بينهما في وجود مجرد الفضل فيهما، لأن في ذلك ظلماً كبيراً.

ثالثاً: شواهد التشبيبة بين المصادر الدالة على الوهى وإرسال الرسول.

وللحظ في شواهد هذا النوع أن منها ما يكون دالاً على التشابه في مجرد وقوع الفعل دون نظر إلى زيادة ونقصان، ومنها ما يكون مراعي فيه تمام الشبه بين الطرفين وكثيراً ما يكون ذلك عندما يكون المشبه هو المشبه به باعتبار حالين.

فمن شواهد التشابه في مجرد الوقع ما يأتى:

٢٠٩ - قال تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالثَّمَّانِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَقْتُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَإِلْيَوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاؤُودَ زَبُورًا﴾ سورة النساء ١٦٣.

(كما أوحينا إلى نوح) الكاف هنا لافادة التشابه في كون الرسول عليه الصلاة والسلام أوصي إليه وكذلك المرسلون عليهم الصلاة والسلام. فالتشابه في مجرد الوحي، وهو القدر المشترك بينهم، دون النظر إلى خصائص الموسى به لكل من هم .

٢١٠ - قال تعالى ﴿وَكَذَّلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لَكُلُّهُمْ عَلَيْهِمُ الْدِيَنِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرُّخْمَنِ فُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ سورة الرعد ٣٠.

تشابه بين إرساله وإرسال الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام في مجرد الوقع.

٢١١ - قال تعالى ﴿وَكَذَّلِكَ تَقْصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنْنَا ذِكْرًا﴾ سورة طه ٩٩.

تشابه في القصص ووقوعه، لقصص موسى وفرعون وغيره من قصص الأمم الأخرى.

٢١٢ - قال تعالى ﴿وَكَذَّلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَنْفُسِكَ مَا كُنْتَ تَذَرِّي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ لَهُدِّيَّ بِهِ مِنْ لِشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِلَيْكَ لَهُدِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ سورة الشورى ٥٢.

أي مثل ما أنزلنا إلى الأنبياء قبلك وأوحينا إليهم أوحينا إليك .

٢١٣ - قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ سورة المزمل ١٤.

كاف التشبيه هنا لافادة التشابه في المعنى المشترك بينهما وهو تحقق الإرسال.
وفي الشواهد الآتية للحظة التشابه؛ فالمتشبه والمتشبه به بمعنى :

٢١٤ - قال تعالى: ﴿فَكَذَّلَكَ كَذَّلَكَ لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمُنْكِرِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ لَثَاءِ وَفُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ يُوسُفٌ﴾ ٧٦.

أى مثل ذلك الكيد العظيم كذنا ليوسف يعنى علمناه إيه وأوحينا به إليه^(١)
أى مثل الكيد الذى أخبر الله به وتعليم له كان الوحي إليه به ليفعله.

٢١٥ - قال تعالى: ﴿فَوَكَذَّلَكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَكِنَّ الْبَغْتَةَ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ مَا جَاءُكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍِ﴾ سورة الرعد ٣٧.

أى وكذلك الإنزال الذى أنزلناه ننزل القرآن حكمًا عربيًا، ومثلها:

٢١٦ - قوله تعالى ﴿فَوَكَذَّلَكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعْلَهُمْ يَتَفَوَّنُ أَوْ يُخَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ سورة طه ١١٣.

٢١٧ - قال تعالى ﴿فَكَذَّلَكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُهُ﴾ سورة الحج ١٦.

أى أنزلنا القرآن كله مثل ذلك في البيان والوضوح من غير تفاوت.

٢١٨ - قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لَنُثْبِتَ بِهِ فُؤَادُكُمْ وَرَأَنَّاهُ تَرْنِيلًا﴾ سورة الفرقان ٣٢.

أى نزل القرآن بهذه الصورة التي نزل عليها، وهي كونه مفرقا.

٢١٩ - قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هُؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَعْمَلُ بِآتَاهُنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ سورة العنكبوت ٤٧.

أى مثل هذا الانزال الذى علمته ويسمعه من حوله أنزلناه، أو مثل الكتب السابقة أنزلناه^(١).

٢٢٠ - قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْغَفِيرُ الْحَكِيمُ﴾ سورة الشورى ٣.

٢٢١ - قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْسَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا كَثِيرًا أُمُّ الْقُرْآنِ وَمَنْ حَوَّلَهَا وَتَنَزَّلَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبِّ لَهُ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ سورة الشورى ٧.

أى ينزل عليك الوحي على درجة واحدة من البلاغة، ما نزل وما سيزول.

رابعاً : شواهد جدت في معرف الصدقة عن الآيات وبيانها وتفصيلها:

٢٢٢ - قال تعالى ﴿فَأَحْلِلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَئْشُمْ لِبَاسَ لَهُنَّ عِلْمَ اللَّهِ الْكُمْ كُشْمٌ تَخَالُونَ الْفَسَكْمُ قَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَّا عَنْكُمْ فَلَا أَنْ يَأْشِرُوهُنْ وَأَتَقْلُوْنَا مَا كَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوْا وَأَشْرِبُوْا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَتْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الظَّلَلِ وَلَا يَأْشِرُوهُنْ وَأَئْشُمْ غَاكْفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تَلْكَ حُنُودُ اللَّهِ لَلَّا تَفْرِبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَعَمَّنُونَ﴾ سورة البقرة ١٨٧.

(كذلك بين الله لكم الآيات) أى البيان كله يتشابه في الدقة والإحكام.

وجاء التشابه في البيان أيضاً في الآيات الآية.

٢٢٣ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

.٢١٩٤ البقرة

٢٢٤ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ٢٤٢

٢٢٥ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

.٢٦٦٦ البقرة

٢٢٦ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ ﴾ آل عمران ١٠٣

٢٢٧ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة ٨٩

٢٢٨ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة النور ٥٨

[٢٠] قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ النور ٥٩

٢٢٩ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ التور ٦١

وقد جاءت بعض الشواهد بلفظ التفصيل كما في الآيات الآتية :

٢٣٠ - قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ وَتَسْتَبِينَ سَيِّلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة الأنعام ٥٥

٢٣١ - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف ٣٢

٢٣٢ - قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ سورة الأعراف ١٧٤

[٦٦] قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة يومنٖ ٤

[١٦] قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ لُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ﴾ سورة الروم . ٢٨

وجاءت شواهد أخرى بلفظ التصريف كما في الآيات الآتية.

٢٣٣ - قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ لَصَرْفُ الْآيَاتِ وَلَيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلَتَبِينَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سورة الأنعام . ١٠٥

٢٣٤ - قال تعالى ﴿كَذَلِكَ لَصَرْفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ سورة الأعراف . ٥٨

خامساً: شواهد في معرض الحديث من الإبتلاء والاختبار، وجاءت فيما يأتي:

٢٣٥ - قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِلَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَائِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمًا﴾ سورة النساء . ١٠٤

(كما ظلمون) قشابة في الإصابة بالبلاء وليس فيه - والله أعلم - مراعاة لزيادة ونقصان ، فهو مجرد الإصابة في الطرفين .

٢٣٦ - قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ قَسَّا بَعْضَهُمْ بَعْضًا لَيَقُولُوا أَهْؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنْ يَئِنِّي أَنِّي لَهُ بِأَغْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ﴾ سورة الأنعام . ٥٣
أى إن ابتلاء هذه الأمة بفتون بعضها بعض يتشاره هو وفتون الأمم السابقة، فالكاف للتشبيه في مجرد وقوع الفتن .

٢٣٧ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَذْنَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مُرْجِعُهُمْ فَيَنْبَثُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام : ١٠٨

أى تزيين العمل لكل أمة واقع على حد سواء اختباراً من الله تعالى.

٢٣٨ - قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَذْنَوْا شَيَاطِينَ النَّاسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْتُهُمْ فَلَدَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ سورة الأنعام . ١١٢

(وكذلك..) الكاف للتشابه. إذ لا ينظر إلى زيادة ونقصان ويؤكد كون هذه الآية وأسواتها للتشابه لفظ (كل) بما فيه من دلالة على ارتباط هذا الجعل بكثرين. تشابهوا فيه.

٢٣٩ - قال تعالى: **هُوَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** سورة الأنعام: ١٢٣ .
أى هذا الجعل في جميع القرى على حد سواء حق في أم القرى ، إذ فيها من صناديد الكفر ما يمكرون فيها.

٢٤٠ - قال تعالى: **وَكَذَلِكَ لَوْلَى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** سورة الأنعام: ١٢٩ . الكاف تفيد التشابه لا التشبيه .

٢٤١ - قال تعالى: **هُوَ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكُلِّيْرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شَرَّ كَآوْهُمْ لِيُرِذُوهُمْ وَلِيُلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِيَنَهُمْ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَلَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** سورة الأنعام: ١٣٧ .

٢٤٢ - قال تعالى: **وَاسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَغْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شَرُّاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَلُوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ** سورة الأعراف: ١٦٣ .
(كذلك تلوجه) الكاف للتشابه في مجرد وقوع البلاء. لأنه لا يتعين أن يكون بلاء الفاسقين دالما مثل بلاء يوم السبت.

٢٤٣ - قال تعالى: **هُوَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ كَبِيْرٍ عَدُوًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرِبِّكَ هَادِيًّا وَتَصِيرَأَهُ** سورة الفرقان: ٣١ .

٢٤٤ - قال تعالى: **هُلَا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْكَا أَصْنَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَفْسَمُوا لَيْصِرِّمُهَا مُصْبِحِينَ** سورة القلم: ١٧ .

سادساً: شواهد في معرض الحديث عن الخلق والإلهية، وجدت في هذه الآيات:

[١] قال تعالى: **هُنَّا هُنَّا اخْرِبُوهُ بِعَيْنِهَا كَذَلِكَ يُعْنِي اللَّهُ الْمُوْتَىٰ وَيُوْبِيْكُمْ آيَاتِهِ لَعْنَكُمْ تَعْقِلُونَ** سورة البقرة: ٧٣.

واضح أن الصيغة (كذلك يعني الله الموتى) تفيد التشابه في مجرد وقوع الإحياء ولا يراد بها - والله أعلم - أن الإحياء عند البعث يكون مماثلاً للإحياء هذا القتيل الذي ضرب بقطعة من لحم البقرة التي أمروا بليجها. وهذا واضح جلى.

٢٤٥ - قال تعالى **هُوَ رَبُّكُمُ الَّذِي ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَعْلَمْ بِمَا يَدْعُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرْيَةٍ قَوْمٌ أَخْرِيْنَ** سورة الأنعام: ١٣٣.

التشابه في الواقع والقدرة عليه وليس التشبيه لبيان الكيفية بان يكون خلقتهم من طين كما كان بذرهم.

٢٤٧ - قال تعالى **إِنَّمَا جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخْلُقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** سورة الرعد: ١٦.

(خلقوا كخلقه) أي وقع منهم خلق كما كان من الله خلق فالكاف للتتشابه في وجود خلقين. لا أن المعنى خلقو خلقا مماثلاً لخلق الله^(١).

٢٤٨ - قال تعالى **وَكَذَلِكَ بَعَثَنَا مِنْهُمْ لِتَسْأَلُوا بِيَتْهُمْ قَالَ قَاتِلُ مَنْهُمْ كَمْ لِبَثُمْ قَاتُلُوا لَبِثَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .. الْآيَةُ** سورة الكهف: ١٩.

أي كما أبناهم بعثتهم، فذلك في قدرة الله سواء.

٢٤٩ - قال تعالى **وَكَذَلِكَ أَغْنَرَنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ** سورة الكهف: ٢١. أي كما أمناهم وبعثتهم أطعنهم على حالمهم.

(١) انظر تعلييل التشبيه في الآية صفحه ١٠٩ وما بعدها.

٢٥٠ - قال تعالى ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيْهِ هَمِّنَ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ فَيْلٍ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ سورة مرثيم: ٩.

أى أمر خلق يحيى في مراد الله كما يخبر الله به.

٢٥١ - قال تعالى ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيْهِ هَمِّنَ وَتَجْفَلَةً آتَيْتَ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مَتَّا وَكَانَ أَنْفَرُهُ مَفْضِلَةً﴾ سورة مرثيم: ٢١.

أى خلق عيسى في مراده جل وعلا كما أخبر الله به.

[٣٨] - قال تعالى ﴿هُوَ يَوْمُ نَطْرُوِ السَّمَاءَ كَطْيَ السَّجْلَ لِلْكَبْرِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقَ لَعِيَّةً وَغَدَّ عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ سورة الأنبياء: ١٠٤.

الشاهد هنا (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى الخلق سواء في القدرة بدءاً والنتها.

٢٥٢ - قال تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ سورة الروم: ١٩.

أى إخراجكم من القبور كإخراجكم من طين ، في القدرة سواء.

٢٥٣ - قال تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتَبَرَّ سَحَابًا فَسُفْنَاهُ إِلَى بَلْدَةٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَتَنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ التَّشْوُرُ﴾ سورة فاطر: ٩.

٢٥٤ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا يُقدرُ فَأَنْشَرَكَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتَنَا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ سورة الزخرف: ١١.

(كذلك تخرجون) تشابه في الإخراج والقدرة عليه وليس في هيئة الإخراج الذي عليه إخراج النبات بالماء.

٢٥٥ - قال تعالى: ﴿رِزْقًا لِلْعَبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتَنَا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ سورة ق: ١١ وهي كالشاهد من هذا الضرب.

سابعاً: وهذه شواهد في بيان الأحكام وضرب الأمثال:

٢٥٦ - قال تعالى: **هُنَّا أَيْمَانُ الَّذِينَ آتَيْنَا كِتَابًا عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ** سورة البقرة: ١٨٣.

الكاف للتتشابه في وقوع التشريع لا في خصائص الشرع.

٢٥٧ - قال تعالى: **هُنَّا نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ فَسَأَلَتْ أُوْدِيَّةٌ بَقْدَرَهَا فَأَخْتَمَ السَّيْلُ زَبَدًا رَأْيَاهَا وَمَمَا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي التَّارِيْخِ ابْتِغَاءَ حَلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مُثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَإِنَّمَا الْزَبَدُ فِي دَهْبٍ جَفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ** سورة الرعد: ١٧.

قوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل) تتشابه في ضرب الأمثال.

وقوله تعالى (كذلك يضرب الله الأمثال) ليس تشبيهاً في خصوصية ما يضرب به المثل في الآية.

٢٥٨ - قال تعالى : **هُذِّلَكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آتَيْنَا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ** سورة محمد: ٣.

تشابه بين الاتباع وبين تبين الله أمر كل فرقة في مجرد وقوع الطرفين لا في خصائصهما^(١).

٢٥٩ - قال تعالى: **هُسْتَقُولُ الْمُخْلَفُونَ إِذَا طَلَّتُمُ الْمَقَامَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُوكُمْ تُشْفَعُكُمْ بِرِيدُونَ أَن يَدْلُوَا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَن تَشْبُعُنَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ قَسْيَقُولُونَ بَلْ تَخْسُدُنَا بَلْ كَالُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَبِيلَاهُ** سورة الفتح: ١٥.

تشابه بين ما ي قوله الرسول ﷺ وبين ما قاله الله. إذ لا فرق بينهما في مضمونها الذي أشارت إليه الآية.

٢٦٠ - قال تعالى: **﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾** سورة الداريات: ٣٠. أي مثل الذي قلنا وأخبرنا قال ربك.

ومن قبيل التشابه أيضاً ما يأتي:

٢٦١ - قال تعالى: **﴿كَذَلِكَ وَلَذَا أَحْطَنَا بِمَا لَدَنِيهِ خَبْرًا﴾** سورة الكهف: ٩١.

قال الزمخشري: " كذلك، أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيمًا لأمره" ^(١) أي تشابه ما وصف الله به حاله وما كان عليه في واقع الحال.

٢٦٢ - قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدُّوَابُ وَالْأَلْعَامُ مُخْتَلَفُ الْوَائِلَةِ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾** سورة فاطر: ٢٨.

(كذلك) قال أبو حيان: "أي كاختلاف الثمار والجبال فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله" ^(٢)

ويحتمل - والله أعلم - أي حقيقة اختلاف هذه الأشياء كما أخبر الله عنها. فتشابه الخبر والخبر به.

ويتميز طريق التشابه لكون الطرفين فيه يستويان في وجه الشبه بصحة بحث أحد الطرفين مكان الآخر لأن يؤتي ما من شأنه أن يكون مشبهًا به في

^(١) الكشاف ٤٩٨/٢.

^(٢) البحر الخيط ٣١٢/٧.

التشبيه الاصطلاحي مكان المشبه دلالة على تساوى الطرفين في وجه المشبه.
حقيقة أو دعاء. وقد جاء على هذا المعنى الشواهد الآتية:

٢٦٣ - قال تعالى: **﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخْطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا زَادَهُ جَهَنَّمُ وَنَسْنَ الْمَصِيرُ﴾** سورة آل عمران: ١٦٢.

وتقدير المعنى - والله أعلم - أيكون فيه تسوية بين ما آل برضاء الله -
تعالى - وبين ما باء بسخطه. والإنكار أن يسوى العاصي والكافر بالمؤمن ،
وأشعرت الآية بهذه التسوية بتقديم ما حقه أن يكون مشبهًا به ويسمى به غيره ،
وهو (من اتبع رضوان الله).

٢٦٤ - قال تعالى: **﴿أَفَمَنْ يَغْلِمُ أَلْمًا أَنْوِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَغْمَى إِلَمًا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْيَاب﴾** سورة الرعد: ١٩.

المعنى - والله أعلم - إنكار أن يكن ثمة شبه بين العالم والجاهل بعد أن بين
الله تعالى بعد ما بين الزبد والماء والخبيث والإبريز^(١) . فلا ينبغي أن يستوي العالم
والجاهل ، ولما كان المعنى على لففي التشابه بينهما ساخ أن يؤتي بأحد الطرفين
مكان الآخر ، لعدم القصد إلى زيادة ولقصان.

٢٦٥ - قال تعالى: **﴿أَفَمَنْ يَعْنِقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَلْلَا تَذَكَّرُونَ﴾** سورة
النحل: ١٧.

إنكار أن يسوى الخالق بغيره - وهو على نفس المسلك في التشابه.

٢٦٦ - قال تعالى: **﴿أَفَمَنْ وَعَدَكُوهُ وَغَدَّ حَسَنًا فَهُوَ لَائِيهِ كَمَنْ مَتَعَناهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَمْ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾** سورة القصص: ٦١.
لففي للتشابه والتسوية بينهما.

٢٦٧ - قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ﴾ سورة السجدة: ١٨. أى لا تشابه بينهما في المثلة.

٢٦٨ - قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّنْ رِّبَّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ مُّثَلُ الْجَبَثَةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَقْوِنُونَ فِيهَا أَلْهَارٌ مِّنْ مَاءَ غَيْرِ آسِنٍ وَالْهَارٌ مِّنْ لَبِنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَغْمَةً وَالْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ وَالْهَارٌ مِّنْ عَسْلٍ مُّصْنَفٍ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّرَابَاتِ وَمُتَفَرِّغٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسَقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَعَ أَفْعَاهُمْ﴾ سورة محمد: ١٤، ١٥.

إنكار على من يسوى بين المؤمن البصير والكافر الذي ضل وغوى، وإنكار أن يسوى بين جزاء صاحب الجنة النعم فيها وبين جزاء المخلد في النار المعدب فيها. والله أعلم.

٢٧٠ - قال تعالى: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ سورة القلم: ٣٥.

إنكار وتوبیخ لمن يجعل المسلم كال مجرم إذ لا يستويان في شيء.

٢٧١ - قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ تَجْعَلُ الدِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَقْبِنِينَ كَالْفَجَارِ﴾ سورة ص: ٢٨.

٢٧٢ - قال تعالى: ﴿أَفَمَ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ تُجْفَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مُّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ﴾ سورة الجاثية: ٢١.

إنكار أن يكون فيه تشابه بين الاثنين أو مقارنة بينهما، إذ شتان بين الحيوانين وبين المماثلين، فالنفي مجرد وجود شبه ما بينهما، والله أعلم بمراده.

خاتمة

"وبعد" فقد تم ما أعنانا الله عليه في هذه الدراسة ، التي تحقق فيها ما

يأتى:

أولاً: قد وفت هذه الدراسة - فيما نعتقد - باستقصاء جميع شواهد أدوات التشبيه ومواقعها في القرآن الكريم. وأثبتت أن (الكاف) جاءت في التين وسبعين ومتنا آية، وجاءت (كان) في سبع وتلائين آية (القible ومحففة ومكفرة بـ (ما)) وجاءت كلمة (مثل) في ثمان وسبعين آية....

ثانياً: تم تحقيق القول في تحديد أدوات التشبيه، والتهبنا إلى أن الأداة مخصوصة في (الكاف) و(كان) أما الكلمات الأخرى (مثل، شبه، شكل، مساو....) فلأنها تدل على معناها اللغوي، ويفاد بالمجيء بها الحكم بالمائلة، والمشاهدة ، والمشاكلة، والمساواة إلى غير ذلك إذ ليست أدوات تشبيه. لذا لا يعد ما جاءت فيه من التشبيه الاصطلاحي، وعدد اعتباره من التشبيه يكون ذلك على سبيل التوسيع في حقيقة التشبيه أو في الأداة.

ثالثاً: تجلت لنا من خلال هذه الدراسة الفروق في الدلالة بين أدوات التشبيه وبين الكلمات التي تفيد الحكم بالمشاهدة.

وقد جدت هذه الدراسة في كل مسائلها على قدر الوسع. وهي وإن أوجزت في بعض الشواهد فقد يكون لإبعانها في بقية الشواهد والموضع الأخرى في بعض المائلة ما يدفع لإضافة ما أوجزنا الحديث عنه.

هذا. والله من وراء القصد ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحـبه وسلم.



www.lisanarb.com

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
سورة البقرة			
٦	١٨٥ - ١٦٤ - ١٦١	١٩٨	٢١٦
١٣	١٣١	٢٠١	١١٥
١٧	٢٠٢	٢١٩	١٤٠
١٩	٥١ - ٤٢	٢٢٨	١٤٠
٢٢	٢٣	٢٣٣	٨١
٢٣	١٦٤	٢٣٩	٥١ - ٥٠ - ٣٦
٢٥	٢٥٢	٢٤٢	٢١١ - ٢١٠ - ٧٠
٧٠	١٣٥	٢٥٩	٢١٦ - ٢٠٩
٧٣	١٤١	٢٦١	٢٥٥ - ١١٣
٧٤	١٤١ - ١١٧	٢٦٤	١٥٢
٩١	١٤٢	٢٦٥	١٨١
١٠٦	٢٥٢	٢٦٦	٣٢
١٠٨	١٢٥ - ٥١ - ٤٣	٢٧٥	١١٥
١١٣	١٦٤	٢٨٢	٢٢٢ - ١١٦
١١٨	٢٣٤	٢٨٦	٢٢٧ - ٢١٤ - ٢٠٩ - ١١٦
١٣٧	سورة آل عمران		٦٧
١٤٣	٢١٠ - ٢٠٩	٧	٢٣٤
١٤٦	١٤٧	١١	١١٦
١٥١	٦١	١٣	١٦٣ - ١٦١
١٥٥	١٥٣	٣٦	١٣٠ - ٨١
١٦٧	١١٣	٤٠	٢٣٩
١٧١	١١٤	٤٧	١٤٠
١٨٣	١٥٠ - ١٠٦	٤٩	٢٥٧
١٨٧	١٤٢ - ٥٠	٥٩	٢٥١
١٩١	٤٤	٧٣	١١٧

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
١٠٣	٢٥٢-٩٩	٨٩	٢٥٢
١٠٥	-١٣٧	٩٥	٧٨-٣٥
١١٣	٢٢٠	١٠٠	٢٢١
١١٧	١٤٢	١١٠	١٥١-١٠٦
١٤٠	٢٢٧		سورة الأنعام
١٥٦	١٣٧	١	٧٩
١٦٢	٢٥٩	٢٠	١١٦
١٦٥	٦١	٢٨	٦٣
	سورة النساء	٥٣	٢٥٣
١١	٦٠-٣٢	٥٥	٢٥٢
٢٣	٩٧	٧٠	٧٨
٤٧	١٢٥	٧١	١٢٥
٧٣	٢٠٢	٧٥	١٦٥
٧٧	١٣٢	٨٤	٢٣٥
٨٩	٢٢١-٢١٧	٩٣	١٠٧-٤٥
٩٤	١٢٣	٩٤	١٢٦
٩٥	٢٢٣	٩٩	٢١١-٢١٠
١٠٤	٢٥٣	١٠٥	٢٥٣
١٢٩	١٥٤-٧٨	١٠٨	٢٥٣
١٣٥	٢١٢	١١٠	١٦٥
١٤٠	١٣٩-٥٩-٥٢	١١٢	٢٥٤
١٥٧	٧١-٩	١٢٢	٢٣٩
١٦٣	٢٤٩	١٢٣	٢٥٤
١٧٦	٣٢	١٢٤	٤٦
	سورة المائدة	١٢٥	٢٤٠-٢١٠
٣١	٥٤	١٢٩	٢٥٤
٣٢	٢٠٠	١٣٣	٢٠٥
٣٦	٣٤	١٣٧	٢٥٤

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
١٣٧	٢١	٢١٠	١٤١
٢٢٦-٣٨	٣١	٢٤٠	١٤٨
١٣٧	٤٧	٧٩	١٥١
١٤٧	٥٢	٦٣-٤٢-٢٩	١٦٠
١٤٧	٥٤	سورة الأعراف	
سورة التوبة		٢٤٠	٢٧
٢٤٨-٢٢٢	١٩	٤٠٥	٢٩
٨٤	٣٠	٢٥٢	٣٢
١٢٦	٣٦	٢٤٠	٤٠
١٣٥-١١٨	٦٩	٢٤٠	٤١
سورة يونس		٢٤١	٥١
٢٤١-٢٠٣	١٢	٢٢٣	٥٧
٢٤١	١٣	٢٥٣	٥٨
٢٥٢-١٨٧-١٤٣	٢٤	١٨٧	٩٢
٢٠١-٣١	٢٧	٢٤١	١٠١
٢٤٢	٣٢	٢٤١	١٣٨
٣٦	٣٨	٢٤١	١٥٢
٢٤٢	٣٩	٢٥٤	١٦٣
٢٠٣	٤٥	٢٢٨	١٦٩
٢٤٢	٧٤	١٩١	١٧١
٧٣	١٠٢	٢٥٧	١٧٤
٢٣٥	١٠٣	١٦٣	١٧٦
سورة هود		١٥٢	١٧٩
٥٩-٣٧	١٣	١٧٩	١٨٧
١٤٣	٢٤	٢١٧	١٩٣
٦٠-٢٧	٢٧	سورة الأنفال	
٢٤٢	٣٨	١٦٦	٥
١٥٨	٤٢	٢٠٤-٢٠٠	٦

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
٦٨	٢٠٤	١٨	١٤٤
٨٩	٢٤	٢١	٢١٧
٩٥	٢٤٢-٢٠٤	٢٤	١٤٤
١٠٢	٢٤٢	٢٦	١٤٤
١٠٩	١١٨	٣٠	٨١
١١٢	١١٨		سورة الحجر
٦	٢٣٥	٩٠	٢٤٢
٢١	٢٣٥		سورة يوسف
٢٢	٢٣٦	١٧	٢٠٩
٢٤	٢٣٦	٣١	٢٣٦
٥٦	٢٣٦	٣٣	٢٤٣
٦٤	١١٩	٣٥	٢٤٣
٧٥	١١٩	٧٦-٧٥	٢٢١
٧٦	٢٥٠	٧٧	١٣٢
٦٠	٦٠	٨١	٢٣٦
٤	٩٠		سورة الرعد
١٠	٢١٧	٩٢	١٣٨
١٤	١١٩		سورة الإسراء
١٦	٢٥٥-٢٢-٢١٩-٢٠٩-١٠٩	٧	١٢٧
١٧	٢٥٧-٢٢٨	٤٢	٢٤٣
١٨	٣٤	٨٤	٧٦
١٩	٢٥٩	٨٨	٢٢٦-٦٠-٣٧
٣٠	٢٤٩	٩٢	١٢٠
٣٧	٢٥٠	٩٩	٣٨
	سورة إبراهيم		سورة الكهف
١٠	٢٢٥-٥٩-٢٧	١٩	٢٥٥
١١	٢٢٥-٢٦	٢١	٢٥٦

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
٢٩	١٦٠	٤٠	١٤٤
٤٨	١٢٧	٦٠	١٤٤
٩١	٢٥٨	٩٦	١٢٧
٩٦	٢٢٤	١٠٩	٣٣
١١٠	٢٦	١١٠	٣٧
٧	٨٦	٣٧	٤٧
٩	٢٥٦	٣٧	٤٧
١٧	٢١	٢٧	٢٤
٢١	٢٥٦	٢٧	٣٣
٢٨	١٠٠	٢٨	٣٤
٦٥	٨٧	٦٢-٥٩-٢٨	٤٧
٥٨	٥٨-٣٥	٥٨	٨١
٨٧	٢٤٣	٢٤٣	١٧
٩٦	٢٤٣	٢٤٣	٣٥
٩٩	٢٤٩	٢٤٩	٣٩
١١٣	٢٥٠	٢٥٠	٤٠
١٢٦	٢٤٣	٢٤٣	٥٥
١٢٧	٢٤٤	٢٤٤	٥٨
٣	٢٧	٢٧	٥٩
٥	١٢٧	١٢٧	٦١
٢٩	٢٤٤	٢٤٤	٦٢
٨٤	٣٣	٣٣	٣١
٨٨	٢٣٧	٢٣٧	٣٢

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
٤٤	٤٧	١٥٢	٤٩
سورة الروم		سورة الشعراة	
٥٩	١٩	٢٣٨	٢٣٦
٦٣	٢٨	١٥٩	٦٣
٧٤	٥٥	١٢١	٧٤
٩٨-٩٧	٥٩	٢٢٥-٧٣	٩٨-٩٧
سورة لقمان		١٧	
١٣٦	٧	٢١٨	١٣٦
١٥٤	٢٨	٢٨	١٥٤
١٨٦	٣٢	٢٨	١٨٦
سورة المسجدة		٢٤٢	
٦٠	١٨	٢١٦	٦٠
سورة النمل		سورة الأحزاب	
٣٤	١٩	٢٤٤	٣٤
٤٢	٣٢	٢٥٧-٢٣٢-١٨٣	٤٢
٦٠	٦٩	٨٠	٦٠
سورة سبا		سورة القصص	
١٤	١٣	٢٢٨	١٤
٣١	٢٣	١٨٢	٣١
٤٨	٥٤	٢٥	٤٨
سورة فاطر		٦١	
٦٣	٩	٢٤٤	٦٣
٧٧	١٤	١٦٨	٧٧
٧٩	٢٢ إلٰ ١٩	٥٩ - ٣٤	٧٩
٨٢	٢٨	١٨٥-١٦١-١٦	٨٢
سورة العنكبوت		سورة يس	
٩٠	٣٦	١٣٣	٩٠
٤١	١٠	١٤٥	٤١

موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية
٥٨-٢٩	٤٠	٢٨	١٥
٢٤٦	٦٣	١٠٥	٣٩
٢٤٦	٧٤	٣٨	٨١
سورة فصلت			سورة العنكبوت
٢٦	٦	٢٤٥	٣٤
٨٢	٩	١٩٣-١٤	٤٩
٢٤	١٣	٢٢٩	٦١
٢٢٢-١٨٨	٣٤	١٩٧	٦٥
سورة الشورى			سورة العنكبوت
٢٥١	٣	٢٣٨	٨٠
٢٥١	٧	٢٣٨	١٠٥
١٦٨-١٠٦-٦٧-٣٩	١١	٢٣٨	١٢١
١١٩	١٥	٢٣٨	١٣١
١٥٩	٣٢	سورة حس	
٣٠	٤٠	٢٦٠	٢٨
٢٤٩	٥٢	٣٣	٤٣
سورة الزخرف			سورة الزمر
٢٥٦	١١	٨٢	٨
٢٤٦	٢٣	٢١٠	٢٣
٩٩	٤٨	٣٤	٤٧
سورة الدخان			سورة غافر
٢٤٦	٢٨	٢٤٥	٦
١٦٠-١٢١	٤٥	٢٤	٣٠
١٢١	٤٦	٢٤	٣١
٢٣٨	٥٤	٢٤٥	٣٤
سورة الجاثية			سورة غافر
٢٠٣	٨	٢٤٥	٣٥
٢٦٠-٢١٩	٢١	٢٤٥	٣٧

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
٣٤	٢٤٦	٣٤	سورة الطور
٢١٩	١٦	٢٤	سورة الأحقاف
١٩٤	٢٤	٤١	
٥٨-٣٧	٣٤	٩٩-٩٨	
٢٥	٢٤٧	٢١	سورة القمر
٣٥	٢٠٥-١٢١	٧	١٩٤
٣٠	سورة محمد صلى الله عليه وسلم	٢٠	١٩١
٣	٢٥٧	٣١	١٥٥
١٠	٦٤	٣٥	٢٣٩
١٢	١٢٨	٥٠	١٣٢
١٥	٢٦٠	١٤	سورة الرحمن
٣٨	٦٥-٦٢-٥٤	٢٤	١٦١
١٥	٢٥٧	٣٧	١٥٩-١٤
١٦	٢٤٧	٥٨	١٥٦
٢٩	١٤٥	٦١-٦٠	سورة الواقعة
٦٢	٢٢	٦٤-٣٨	١٧٣-٦٥-٦٢-٥٨-٥٦
١٠	٩٩	١٠	سورة الحديد
٢	١٢٢	١٠	
١١	٢٥٧	١٦	٢٢٣
٢٣	٤٨	٢٠	١٣٨
٣٠	٢٥٨	٢١	١٤٥
٤٢	١٠٥	٥	١٥١
٥٢	٢٤٧	١٨	سورة الجادلة
٥٩	٣١	٥	سورة الحشر
		١٥	١٤٦

رقم الآية	موضعها في الكتاب	رقم الآية	موضعها في الكتاب
١٦	١٤٦	١٦	سورة الجن
١٩	١٣٨	٧	١٢٢
٢٠	٢٢٢	٢٠	سورة المزمل
١١	٣٠	١٤	٢٥٠
١٣	١٢٢	٣١	٢٤٨
٤	١٧٦	٥٠	١٩٢
١٤	١٢٣	٢٨	٦٥ - ٣٩
٥	١٤٦	٢٢	١٦٠
٤	١٩٢	١٨	٢٤٨
٦	٢١٩	٣٣	١٩٥
٩٢	٣٣	٤٤	٢٣٩
٦٢	٣٣	٤٦	٢٠٥
١٧	٢٥٥	٨	٣٩
٢٠	١٥١	١٥١	سورة القارعة
٢٣	٢٤٧	٤	١٩٤ - ١٥٦
٣٥	٢٦٠	٥	١٩٤ - ١٥٦
٤٨	١٣٩		سورة الفيل
٧	١٩٢	٥	١٥٧
٨	١٦٠ - ١٥٦	٤	٨٦
٩	١٥٦		الحمد لله رب العالمين
٤٣	١٨٠		

دليل المصادر والمراجع

- ١- أولاً : صحيح البخاري - المطبعة البهية - أولى ١٣٤٣ هـ.
- ٢- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر - رشيد رضا - صحيح ١٣٧٩ هـ.
- ٣- أساس البلاغة للزنخشري - التسوير العربي - بيروت رابعة.
- ٤- الأطول للعصام - مطبعة أحمد كمال.
- ٥- الأغانى للأصفهانى - مذيب الحموى - الإعلانات الشرقية.
- ٦- الاكسيز فى علم التفسير للطوفى ق د. عبد القادر حسين (النموذجية).
- ٧- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير - الحلبي.
- ٨- الإيضاح للخطيب القزوينى - صحيح ١٣٩٠ هـ.
- ٩- البحر الخيط لأبى حيان - دار الفكر بيروت . ثانية.
- ١٠ البرهان للزركشى ق أبو الفضل إبراهيم - عيسى البابى ، أولى.
- ١١- بيان التشبيه د. عبد الحميد العيسوى - القاهرة الجديدة ، أولى.
- ١٢- تأویل مشکل القرآن لابن قبیبة ق السيد صقر دار التراث ، ثانية.
- ١٣- البيان للطبیق ق د/ هادی عطیہ - النہضۃ العربیۃ .
- ١٤- تحریر التحیر لابن أبی الاصلب ق حفی شرف - القاهرة ١٣٨٣ هـ.
- ١٥- التذكرة في القراءات لابن غلبون ق د. عبد الفتاح مجیرى، الزهراء للإعلام.
- ١٦- التصویر البیان. د. محمد أبو موسى - التضامن ، ثالثة .
- ١٧- تفسیر ابن کثیر - دار الفکر . ١٩٨٠
- ١٨- الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقدا ق د. الجوبين . المعارف. اسكندرية.
- ١٩- الجنى الدائى في حروف المعانى للمرادى ق فخر الدين قباوة- الآفاق الجديدة.
- ٢٠- جامع البیان - للطبری مطبعة البابی الحلی . ثالثة .
- ٢١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - مطبعة دار الشعب ، أولى.
- ٢٢- الحروف العاملة في القرآن الكريم - د. هادی عطیہ - النہضۃ العربیۃ، أولى.

- ٢٣ حاشية الأمير على مغنى الليبيب ، عيسى البابي الحلبي.
- ٢٤ حاشية الانباضي على الرسالة البابية للصلبان ، المطبعة الأمريكية .
- ٢٥ حاشية الدسوقي على المختصر - شروح.
- ٢٦ حاشية السيد على الكشاف البابي الحلبي.
- ٢٧ حاشية السيد على المطول ، مطبعة أحد كمال ، ١٣٣٠ هـ.
- ٢٨ الخصالص لابن جنفی ق محمد النجار ، المهدی للطباعة ، ثالیة .
- ٢٩ دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر - المراغی - المطبعة العربية .
- ٣٠ دیوان الأعشی ، دار صادر بيروت.
- ٣١ دیوان امری القیس - مصطفی عبد الشافی - دار الكتب العلمیة، بيروت.
- ٣٢ دیوان البحتری ، ق حسن الصیرفتی - المعارف ثالیة .
- ٣٣ دیوان حسان - صادر بيروت.
- ٣٤ دیوان الشماخ ق صلاح الدين الهادی ، دار المعارف.
- ٣٥ دیوان عنترة - ق فرزی عطورة - صادر بيروت.
- ٣٦ دیوان الفرزدق - صادر بيروت.
- ٣٧ سر صناعة الإعراب لابن جنفی ق وزارة المعارف ، مصطفی الحلبي.
- ٣٨ شرح الفوائد البابية طاشکبری زاده - الطباعة العامرة .
- ٣٩ شرح القصائد السبع الطوال - ابن القاسم الأنباری - هارون - دار المعارف .
- ٤٠ شرح المفصل لابن يعيش - الشیبی بالقاهرة .
- ٤١ شروح التلخیص - مطبعة السعادۃ .
- ٤٢ الشعر والشعراء لابن قیمة ق أحد شاکر - دار المعارف.
- ٤٣ صحیح البخاری - الطبعة الأولى - المطبعة البهیة المصرية - ١٣٤٣ هـ .
- ٤٤ عروس الأفراح للبهاء السبکی - شروح التلخیص .

- ٤٥ - العلاقات والقرآن في التعبير البayan - د. محمود حمدان - مكتبة وهبة القاهرة.
- ٤٦ - الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري - الآفاق الجديدة بيروت.
- ٤٧ - الكتاب لسيبوه - ق عبد السلام هارون - الخامنوي - ثلاثة.
- ٤٨ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ق أبو الفضل إبراهيم - عيسى الحلبي.
- ٤٩ - الكشاف للزمخشري - مصطفى البابي الحلبي.
- ٥٠ - لسان العرب لابن منظور - دار المعارف - أولى.
- ٥١ - المثل السائر لابن الأثير ق محيي الدين - البابي الحلبي.
- ٥٢ - مختصر في شواذ قراءات القرآن من البديع لابن خالويه - المتنبي بالقاهرة.
- ٥٣ - المزهر في علوم اللغة للسيوطى - البحاوي - عيسى الحلبي - أولى.
- ٥٤ - المطرول للسعد - مطبعة أحمد كمال ١٣٣٠هـ.
- ٥٥ - معجم الألفاظ القرآنية - محمد إسماعيل - دار الفكر العربي.
- ٥٦ - معان القرآن وإعرابه للزجاج ق د. شلبي - إحياء التراث.
- ٥٧ - معنى الليب لابن هشام - البابي الحلبي.
- ٥٨ - مفتاح العلوم للسكاكى - المطبعة الأدبية - أولى.
- ٥٩ - المفردات في غريب القرآن للراconte ق محمد كيلاني - مصطفى الحلبي.
- ٦٠ - المقتصب للمفرد - عالم الكتب - بيروت.
- ٦١ - المترع البديع للسجلماسي ق علاء الغازى - المعارف بالمنغرب.
- ٦٢ - منار المسالك إلى أوضح المسالك محمد التجار - الفجالة الجديدة.
- ٦٣ - مواهب الفتاح للمغربي = شروح.
- ٦٤ - البا العظيم للدكتور دراز ١٣٧٦هـ.
- ٦٥ - النكت في إعجاز القرآن للرماني (ثلاث رسائل) دار المعارف.
- ٦٦ - دفع الموضع على جمع الجواب مع للسيوطى - دار المعرفة.

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثالثة (٣)

مقدمة الطبعة الأولى (٥)

مدخل : التشبيه وأركانه (٩)

التشبيه : لغة واصطلاحاً ٩ - أركانه ١٣ - الفرق بين التشبيه والتشابه ١٣ - المقصود بأداة التشبيه وما يدخل تحتها ١٥ - القول بثروج ما عدنا (الكاف) و(كان) وتحريف القول في هذا المطلب ١٧ .

المبحث الأول: الأسماء والأفعال التي تفيد الحكم بال مشابهة (١٠-٢١)

كلمة (مثل) ووجوه الدلالة ٤٤ - ٢١ - الاتفاق في الجنس وشواهدہ ٤٣ - الدلالة على المساواة وبيان ثروق في هذه الدلالة ٤٥ - دلالة (مثل) على المشابهة ، وشواهدہ ٣٥ - الدلالة على تمام المماثلة وشواهدہ ٣٦ - بقاء ما يقع به العدد ٤١ - اختلاف المثلين في النوع ٤٢ - المبالغة في الدلالة على المماثلة ٤٣ - المماثلة بين الأفعال ٤٤ - رأى أبي حيان في دلالة (مثل) ومن الشبهة ٤٩ - تحليل شواهد وتوزيعها ٥١ - مجيء (مثل) بصيغتي الشبيهة والجمع ٥٨ - معان الصيغة الثلاث: صيغة الأفراد ٥٨ - صيغة الشبيهة ٦١ - صيغة الجمع وما تفيده من معان ٦٢ - زيادة (مثل) ومناقشة القول في ذلك ٦٦ - مجيء (مثل) للتشابه ٧٠ - كلمة (شبه) وما يتفرع منها ٧٠ - الفرق بينها وبين (مثل) ٧١ - الفرق بين (شبه) وشبيهه ٧٢ - مادة (ساوى) وصيغتها، وما جاء منها في القرآن الكريم ٧٣ - مادة (شكل) وتصاريفها ٧٤ - الفرق بين (شكل، ومثل) ٧٤ - الفرق بين (شكل ، وشبه) ٧٥ - مادة (عدل) ومعان صيغتها وشواهد لها ٧٧ - مادة (عد) ٨٠ - الفرق بينها وبين (مثل) ٨١ - شواهدہ في القرآن الكريم ٨١ - رأى أبي حيان في التجوز ٤٤ - مادة (ضها) ومعانيها ٨٣ - الفرق بين المضاهاة والمشاكلاة ٨٤ - مادة (كفه) وما تدل عليه صيغتها وشواهدہ في القرآن الكريم ٨٥ - كلمة (سي) وضربيها في الاستعمال ٨٦ - الضرب الأول وشاهده ٨٦ - الضرب الآخر وشاهده ٨٧ - وجوه في معنى الكلمة من كلام الزمخشري ٨٨ - التجوز ٤٤ وطريقه ٨٨٤.

(كلمات أخرى) نوعاتها : ٨٩ - النوع الأول ٨٩ - كلمة (نظير) وعناصر دلالتها ، وثروق بين (نظير) و (مثل) ٩٠ - كلمة (ضریب) وما ترجع إليه تصاريف مادتها من معان

وصلة ذلك بمعنى (شكل) و(مثل) ٩٠ - كلمة (محاك) وما تدل عليه المادة ٩١ - التجوز بالكلمة وطريقه ٩١ - كلمة (مضارع) بيان معناها ، والفرق بين المضارعة والحاكاة ٩٣ - كلمة (نحو) والفرق بينها وبين (مثل) والتجوز ٩٤ في المثلية ٩٣ - كلمة (موازن) ونوع المساواة ٩٤ - العلاقة بينها وبين المساواة ٩٤ .

- النوع الآخر: وهو كلمات لا تفيد الحكم بالمائلة ٩٥ - كلمتا (مواز وموازن) والفرق بينهما ٩٥ - كلمة (آخر) وكلام العلماء في حقيقة معناها وشهادتها من القرآن الكريم ٩٧ - مناقشة القول بأنها من أدوات التشبيه ٩٨ - كلمة (صنو) وأصل معناها ١٠٠ - بيان رأي الزمخشري في التجوز ١٠١ - رأينا في عدتها من كلمات التشبيه ١٠٢ - (العمل الخضيل) ومناقشة عدتها من أدوات التشبيه ١٠٢ - (باء النسب) ١٠٢ - وصيغة (فعل٣) - وكلمة (سواء) ومناقشة عدتها من كلمات التشبيه ١٠٣ .

المبحث الثاني : أدوات التشبيه ١٠٥ (٢٠٦)

أولاً: الكاف ١٠٥ - تأصيلها للدلالة على التشبيه وتحليل ذلك ١٠٥ المعانى التي ذكروها للكاف الحرفية ١٠٦ - التشبيه بالكاف ، وبيان معنى مجدها للتشبيه مطلقاً ، وما تختص به دون الكلمات الأخرى ومناقشة ذلك وتحقيقه ١٠٧ - تشبيه الأفعال والأحوال بالكاف وضرياه وتحقيق الفرق بينهما ١١٢ - الضرب الثاني ومعانى الكاف فيه ١١٤ - الكاف بمعنى (مثل) وشهادتها ١١٥ - الكاف بمعنى (شبه) وشهادتها ١٢٥ - الكاف بمعنى (مسار) وطبيعة دلالتها على هذا المعنى وشهادتها ومناقشات في تفسيرها ١٣٠ - الكاف ومعنى (نظير) ١٣٣ - تشبيه الذوات بالكاف وضرياه ١٣٤ - (الضرب الأول نوعان) النوع الأول وشهادتها ١٣٤ - تحقيق القول في الشهادتين التي مبنائهما النهي أو نفي التشبيه ١٣٦ - المائلة بين المعيالت في شهادتها ١٣٩ - الكاف بمعنى (مسار) ١٤٨ - النوع الثاني : شهادتها بمعنى (شبه) ١٥٠ - شهادتها بمعنى (مسار) ١٥٠ - (الضرب الثاني نوعان) نوعه الأول وشهادتها ١٥١ - النوع الثاني وشهادتها: الكاف بمعنى (شبه) ١٥٤ - الكاف بمعنى (شكل) ١٥٨ - شهادتها تفسر فيها الكاف بمعنى (مثل) على سبيل التوسيع ١٦٠ - الكاف ومعنى (التعليل) ١٦١ - آراء العلماء في ذلك وما نذهب إليه ١٦٦ - الكاف ومعنى التأكيد ١٦٨ - آراء الطبرى والزمخشري وابن الميزير ١٦٩ - رأينا في ذلك

ثالثاً: الأداة الأخرى (كأن) - تحقيق القول في أصلها ١٧٥ - المعان التي تأتي لها (كأن)
 - ١٧٦ - (معنى التشبيه) ١٧٧ - (معنى الظن) ١٧٧ - مناقشة القول بمجيئها للظن ١٧٨ -
 الظن مع الخبر المشتق: المدخل إليه وطبيعته ١٧٨ - تحليل شواهد ١٧٩ - الظن مع الخبر
 الجامد وتحليل شواهد له ١٨٢ - تحقيق الفرق بين الظن مع الخبر المشتق والجامد ١٨٢ -
 (معنى التحقيق) ووجوه الاستدلال بشواهده والرد عليها ١٨٤ - (معنى التقريب) شواهد
 وتحليل رجوعها إلى التشبيه ١٨٦ - شواهد للتشبيه مع إفادتها القرب ١٨٨ - مزايا التشبيه
 - (كأن) ١٨٩ - المزية الأولى وشواهد لها ١٨٩ - الثانية وشواهد لها ١٩٣ - الثالثة
 وشواهد لها ١٩٩ - الرابعة وشواهد لها ٢٠١ - الخامسة وشواهد لها ٢٠٤ - مطلب
 . ٢٠٦

المبحث الثالث : التشابه (٢٤٠-٢٠٤)

طبقاً للتشابه : الطريق الأول ٢٠٧ - كلماته : الكلمة الأولى (تشابه) وشواهد لها ٢٠٩ -
 الكلمة الثانية (مشابه) وشواهد لها ٢٠٩ - الكلمة الثالثة (مشتبه) وشواهد لها ٢١١ - تحديد
 دلالة هذه الكلمات الثلاث ٢١١ - الكلمة الرابعة (سواء) وشواهد لها ٢١٦ - الكلمة
 الخامسة (يساوي) وشواهد لها ٢٢٠ - الكلمة السادسة والسابعة (مساوي ومسوى)
 وشواهد لها ٢٢٤ - الكلمة الثامنة (مثلي) وشواهد لها ٢٢٥ .

الطريق الآخر: صيغة التشبيه مجرد الجمع بين أمرتين ٢٣٠ - بيان التشابه بهذا الطريق ووجه
 اختصاص (الكاف) به ٢٣٠ - شواهد في القرآن الكريم ٢٣١ - تنوع مقامات هذه
 الشواهد في القرآن الكريم ٢٣١ - أولاً : شواهد الحديث عن الأمانة والإيمان ٢٣٤ -
 ثانياً: شواهد الحديث عن الكفر والمعاصي وما يرتبط بذلك ٢٣٩ - ثالثاً: شواهد الحديث
 عن الوحي والرسول ٢٤٨ - رابعاً : شواهد في معرض الحديث عن الآيات وبها ولتفصيلها
 - خامساً : شواهد في الحديث عن الإبلاء والاختبار ٢٥٣ - سادساً : شواهد في
 الحديث عن الخلق والإحياء ٢٥٥ - سابعاً: في بيان الأحكام وضرب الأمثال ٢٥٧ -
 شواهد جعل ما من شأنه أن يكون مشبهاً به مشبهاً نظراً للتشابه ٢٥٨ - خاتمة ٢٦١ .

فهرس الآيات القرآنية ٢٦٣ .

دليل المصادر والمراجع ٢٧٢ .

والحمد لله الذي تم بفضل الله الصالحة .